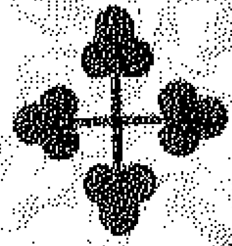
كنيستى الأرثوذكسية ...
ما أجملك !! (٢)



تقديم
نيافة الأنبا بيشوى
نيافة الأنبا موسى

إعداد
القس بيشوى حلمى
كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا



كنيستى الأرثوذكسية...

ما أجملك !! (٢)

مراجعة وتقديم

الحبرين الجليلين

نيافة الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ

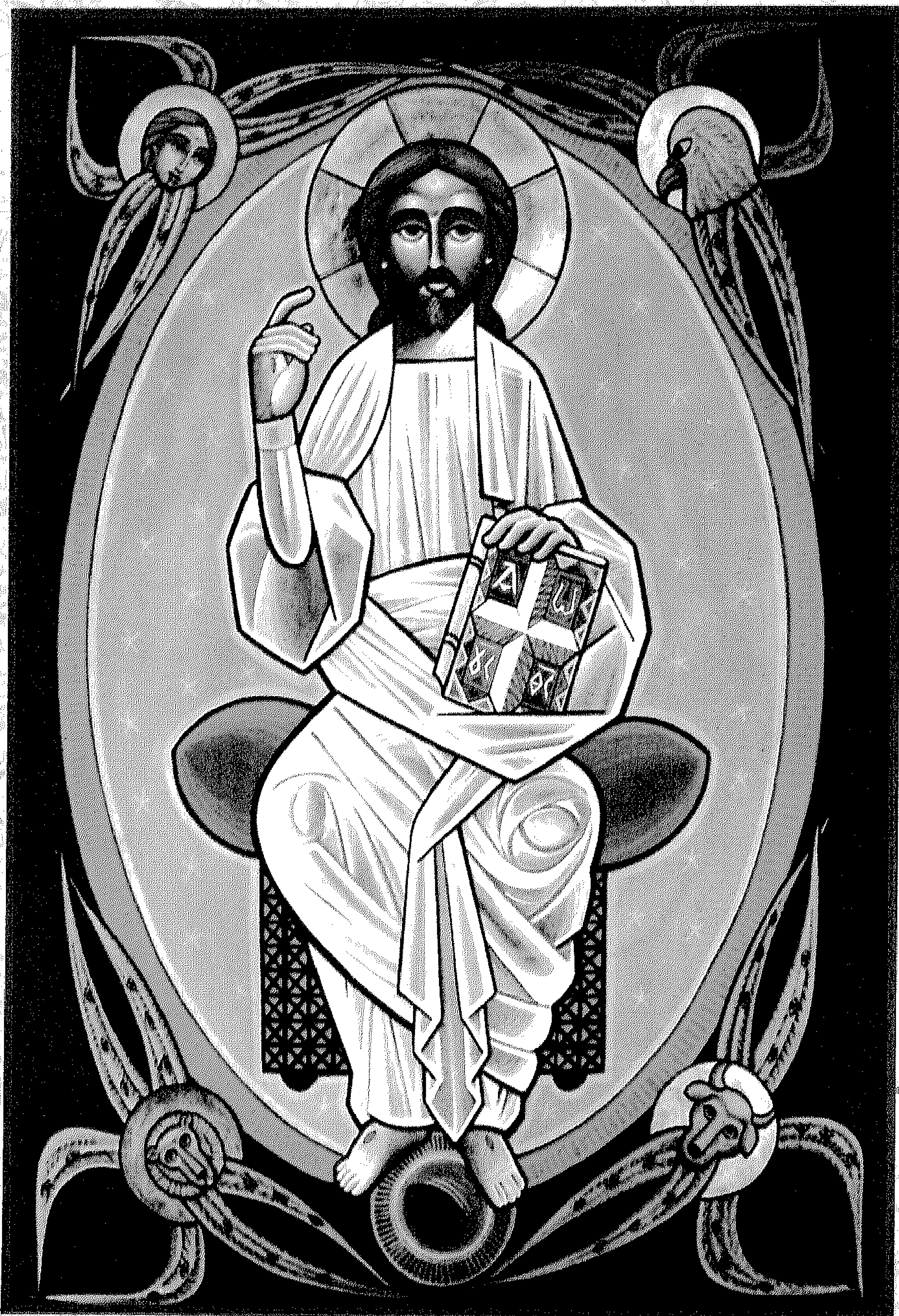
نيافة الأنبا موسى
أسقف عام الشباب

إعداد

القس بيشوى حلمى

كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا

الـــكـــتـــاب : كنيستى الأرثوذكسية ... ما أجملك (٢)
مراجعة وتقديم : الحبرين الجليلين : نيافة الأنبا بيشوى
نيافة الأنبا موسى
إعــــــداد : القس بيشوى حلمى - كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا
جمع تصويرى : مكتب ديزاين آرت ٢٤٣٣٠٨١٩
عماد إسحق ٠١٧١٠٠١٤٣٤
الـطـبـعـة : الأولى - نوفمبر ٢٠٠٩ م
المـطـبـعـة : دار نوبار للطباعة
رقم الإيـداع : ٢٠٧٦٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى : 0 - 7811 - 17 - 977

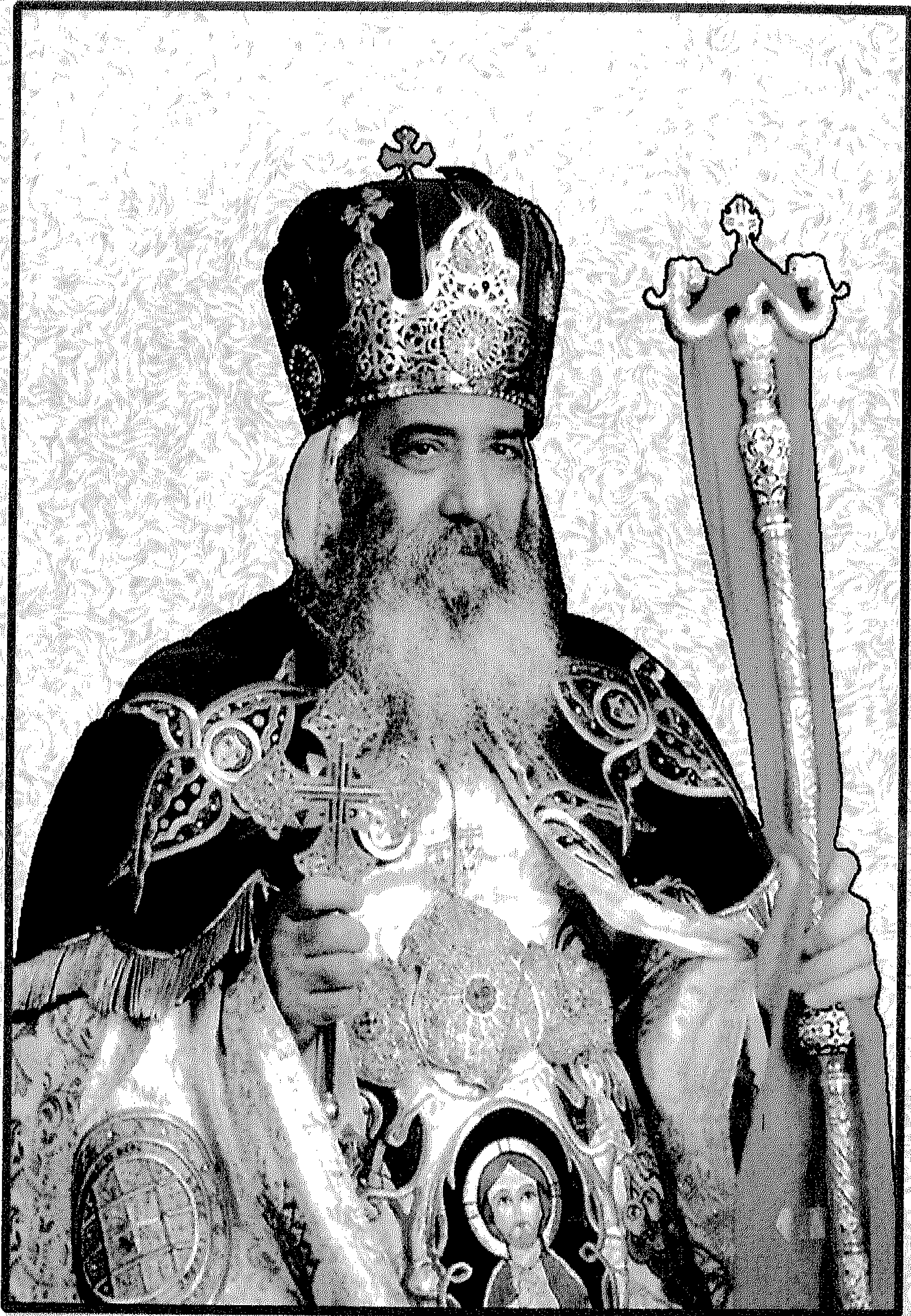


ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

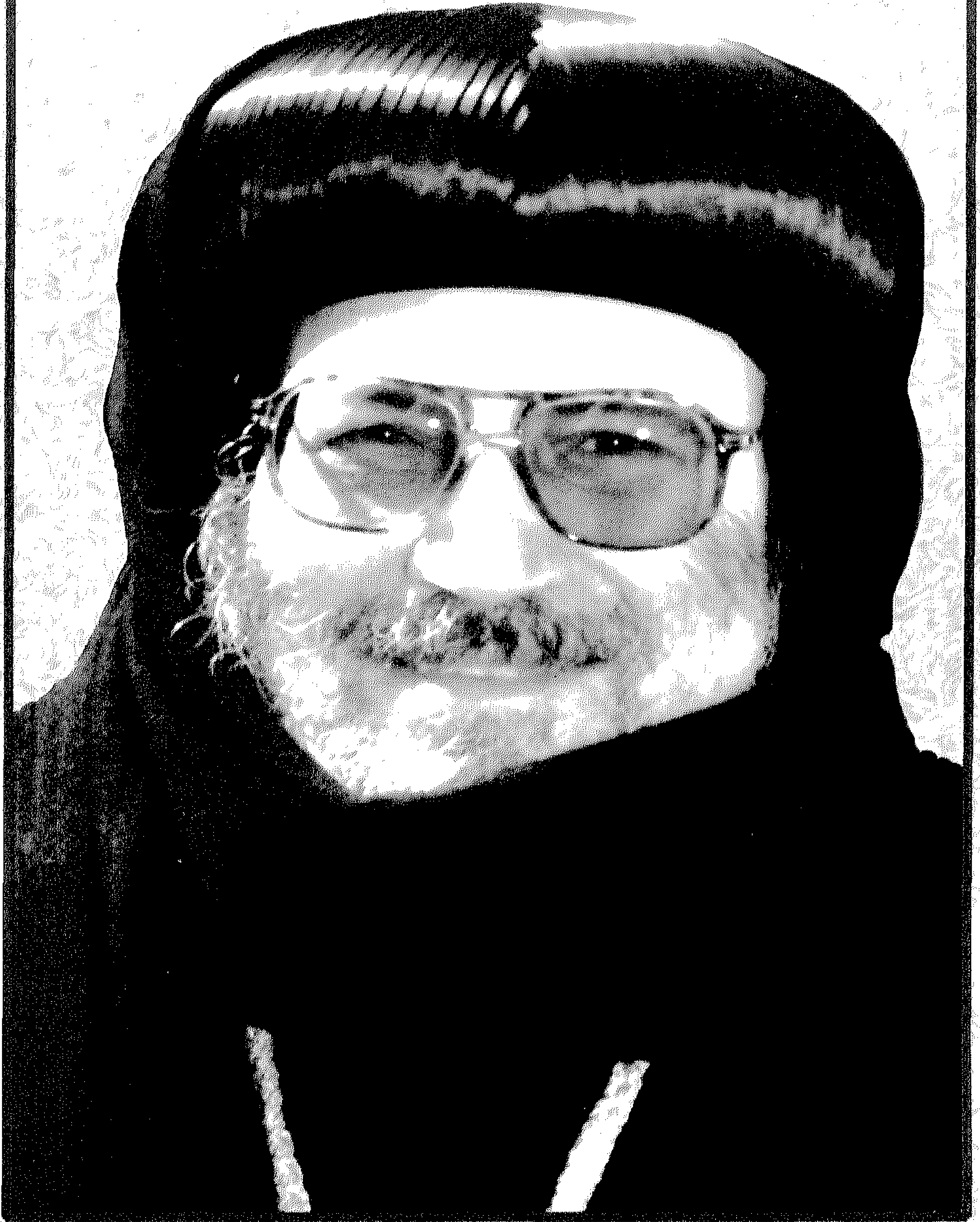


العذراء القديسة مريم والدة الإله

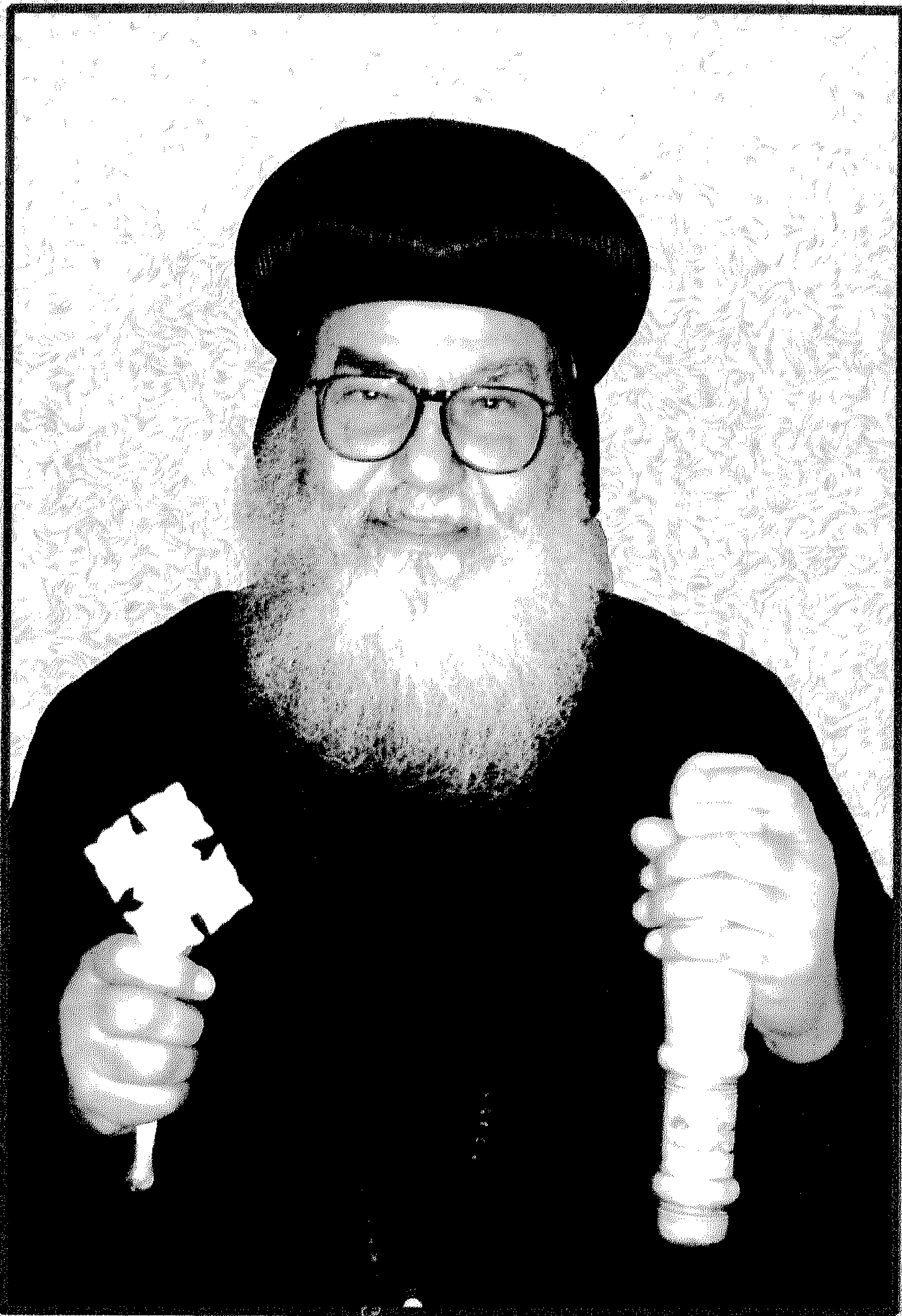
حاملة للطفل يسوع - ابن الله الكلمة المتجسد



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ
وسكرتير المجمع المقدس



نيافة الحبر الجليل الأنبا موسى
أسقف عام الشباب



قداسة البابا شنوده الثالث مع المؤلف وأسرته

فى المقر البابوى بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية يوم الاثنين ٢١ / ٥ / ٢٠٠٧ م

تقديم

الحبر الجليل نيافة الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
وسكرتير المجمع المقدس

من دواعى شكرى للرب أن يقوم جناب الأب المبارك القس بيشوى حلمى الذى يشاركنى التدريس بالكلية الإكليريكية ومعهدى الدراسات القبطية والرعاية والخدمة، بإصدار هذا الكتاب العقائدى فى شرح الإيمان الأرثوذكسى فى زمن كثرت فيه وسائل التعليم بحلوها ومُرّها وكثرت فيه البدع والهرطقات لكثرة وسائل الإعلام والنشر. وهذا يستدعى أن تسارع الكنيسة إلى الرد على كل مبتدع أسوة بما يفعله صاحب القداسة البابا شنودة الثالث فى سهره على مقاومة الهرطقات والبدع الحديثة.

والمقصود هنا أن يساهم جميع أساتذة ومدرسى العقيدة فى الرد على الهرطقات لكثرة الذين ينشرون أفكارهم الهدامة فى زماننا هذا.

وقد واجهت كنيستنا أخطر الهرطقات منذ فجر المسيحية ولذلك فقد أطلق على بابا الإسكندرية لقب "معلّم المسكونة" ولقب "قاضى المسكونة".

نشكر للأب المحبوب بيشوى حلمى كل مجهوداته فى نشر التعليم الصحيح بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث معلم الأجيال.

٢ أكتوبر ٢٠٠٩م

بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ
والبرارى

تقديم

الحبر الجليل نيافة الأنبا موسى
أسقف عام الشباب

● يرجع القس بيشوى حلمى إلى مراجع عديدة حين يكتب شيئاً ، ثم يكتب بأسلوب مرتب ومنظم فى نقاط محددة ، يستوفى فيها كل موضوع ، داعماً ما يكتبه بالعديد من الآيات ، وأقوال الآباء ، بعد أن درس بعمق كتابات قداسة البابا شنوده الثالث وأحبار الكنيسة وأساتذة الإكليريكية ، وبخاصة نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس . لهذا تأتى كتاباته وافية بالغرض ، من أى موضوع يطرحه .

● وقد كانت هناك تساؤلات فى الأيام الحاضرة ادعى فيها البعض ، أن الأرثوذكسية ـ وبالتالى كل الكنائس الرسولية والتقليدية ـ فيها الكثير من عبادة الأصنام . وهم يعرفون حق المعرفة أن هذه تهمة هزلية ، يستحيل أن يأخذها أى إنسان مأخذ الجد لكنها فرصة طيبة أن نستعيد معلوماتنا ونقدم دراساتنا للأجيال المعاصرة ، حول هذه الأمور ، ليتعرفوا على الأعماق الإنجيلية والآبائية لتعاليم كنيستنا ، فكل ما فيها هو الإيمان الذى سلمه لنا ـ مرة ـ القديسون :

١ ـ هل نحن نعبد خشبة الصليب ؟ فإن قلنا لا ، يقولون : إذن فلماذا تكرمونها خشبة وعلامة ؟

٢ ـ لماذا نكرم السيدة العذراء والآباء القديسين ؟ هل هذا أمر كتابى ؟ طبعاً ... فما الدليل ؟ وما المعنى ؟

٣ ـ وماذا عن الأيقونات فى الكنيسة ؟ ما معناها ، وما معنى تكريمها ، والتبخير أمامها ؟

٤ ـ والاكليروس أيضاً ؟ لماذا ؟ وما إنجيلية سر الكهنوت ؟ وكيف يكون تكريم الآباء أمراً له جذوره الكتابية والآبائية ؟

٥ ـ لماذا نسجد للخبز والخمر فى الإفخارستيا ؟ أليس لأنهما صارا جسداً ودماً للسيد المسيح ، وناسوته لا يفارق لاهوته لحظة واحدة ، ولا طرفة عين ؟ ألم يسجد المولود أعمى للسيد المسيح وهو فى الجسد ؟ وماذا عن سر الاستحالة ؟

● أسئلة هامة ، وقضايا مطروحة فى الساحة الكنسية والعامة ، وينبغى أن نتعرف على إجاباتها ، لنحيا معانى كنيستنا المباركة ، بكل عقائدها وطقوسها القويمة ، المستمدة من الكتاب المقدس .

أرجو بركة لكاتب هذه الدراسة ولكل قارئيها بصلوات راعينا الحبيب **قداسة البابا شنوده الثالث .**

الأنبا موسى
الأسقف العام للشباب
٨ أكتوبر ٢٠٠٩ م

تقديم الكاتب

● فى البدء أود أن أقدم كل الشكر والحمد لإلهنا القدوس المبارك ، الذى أعاننى على إنجاز هذا العمل .

● **عزيزى القارئ :** هذا الكتاب ـ الذى بين يديك ـ يلقى الضوء على بعض جوانب جمال الكنيسة الأرثوذكسية . فهو يبحث فى خمس من عقائدنا الأرثوذكسية الهامة ، وأيضاً فى الطقوس المتعلقة بها ، وهذه العقائد هى :

١ـ خشبة الصليب المجيد .

٢ـ العذراء والقديسيون .

٣ـ أيقونات القديسين .

٤ـ سر الكهنوت المقدس .

٥ـ سر التناول المقدس .

● كما أنه يقوم بتفنيد المفاهيم المغلوطة بشأنها ، والاعتراضات التى يثيرها بعض المعترضين ، ويقوم بالرد عليها بالأسانيد الكتابية والآبائية والتاريخية والعقلية .

● ولقد قمت بالبحث فى كتب المعترضين القديمة والحديثة ، وقراءة ادعاءاتهم قراءة جيدة فى مرات عديدة ، وفى كتب كثيرة أيضاً ، وخلصت بمجموعة من الأسئلة وقمت بالرد عليها بموضوعية تامة .

● وكان منهجى فى البحث هو أننى قمت بشرح العقيدة أولاً شرحاً تفصيلياً ، وكذلك الطقوس المتعلقة بها ، ثم عرضت للادعاءات الخاصة بكل عقيدة ، وأجبت عنها فى نهاية كل فصل ... هذا الكتاب يجيب على أربعين اعتراضاً حول هذه العقائد الأرثوذكسية الخمس ، والتى قد يجدها القارئ فى كتب غير الأرثوذكس ، أو فى المواقع التى تهاجم الأرثوذكسية على شبكة الإنترنت .

● ولا يسعنى فى هذا المجال إلا أن أقدم كل الشكر والتقدير لمعلم المسكونة والمدافع الأول عن الأرثوذكسية فى هذا الزمان ، **قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية** ، والذى تتلمذت على يديه وتعلمت منه الكثير والكثير ، سواء من خلال محاضرات قداسته الأسبوعية ـ التى كنت ومازلت حريصاً على حضورها ـ أو من خلال تلمذتى على يديه بالكلية الإكليريكية ثم معهد الرعاية ثم معهد الدراسات القبطية ، وأيضاً من خلال تلمذتى على كتب قداسته التى أجد فيها شبعاً

وارتواءً لروحي وعقلي وقلبي .

● ويعجز قلمي - بحق - عن وصف مشاعر البنوة والتقدير التى أكنها للحبر الجليل والعالم الضليع **نيافة الأنبا بيشوى ، مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى وسكرتير المجمع المقدس** ، رجل العقيدة واللاهوت الفذ للكثير جداً الذى تعلمته منه ، ولمشاعر الأبوة الفياضة التى يغمرنى بها دائماً ، ولتفضله بمراجعة هذا الكتاب والتقديم له .

● كما أشكر من كل قلبى الحبر الجليل **نيافة الأنبا موسى ، أسقف عام الشباب** - رجل الحب والسلام - والذى شرفنى بالخدمة معه منذ سنوات طويلة بأسقفية الشباب ، وكان لوجودى بالقرب منه أثر كبير فى تكوينى الروحى والوجدانى ، أشكر نيافته على تشجيعه الدائم لى ، وعلى تفضله بالمراجعة والتقديم لهذا العمل .

● كما أقدم - بكل مشاعر الإجلال والتقدير - خالص شكرى وامتنانى لرجل الله **الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس أستاذ العهد الجديد بكليات الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية** ، والذى استفدت كثيراً من كتاباته الثمينة والعميقة ، وكذلك من إشرافه الدقيق والأمين على رسالة الماجستير فى اللاهوت التى قمت بها ، وعلى تشجيعه الدائم لى .

● وأود أيضاً أن أقدم شكراً خاصاً لكل من كان له تعب معى فى إتمام هذا العمل ، وبخاصة أسرتى الصغيرة : والدى العزيز كبير خدام الأنبا أنطونيوس بشبرا ، وزوجتى الغالية التى توفر لى دائماً الجو الملائم للكتابة ، وهدية السماء لى ابنتى ماريا ... لهم جميعاً منى كل الحب والثناء والتقدير .

● **أطلب من الله - جل اسمه - استفادة وثمرة لكل من يقرأ هذا الكتاب بشفاعة فخر جنسنا القديسة العذراء مريم ، وطلبات العظيم فى اللاهوتيين الأنبا أثناسيوس الرسولى ، وأب جميع الرهبان الأنبا أنطونيوس ، وحبيب مخلصنا الصالح الأنبا بيشوى ، وصلوات صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث ، وشريكيه فى الخدمة الرسولية الحبرين الجليلين نيافة الأنبا بيشوى ، ونيافة الأنبا موسى ، إله السماء يحفظ لنا حياتهما سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة .**

ولإلهنا المجد والإكرام والعزة والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

القس بيشوى حلمى

تذكار عيد الصليب المجيد

١٧ توت ١٧٢٦ ش - ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٩ م

مقدمة

● «مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات ،
تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب .
قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى ،
لأن العصفور وجد له بيتاً ، واليمامة عشاً لتضع فيه فراخها ،
مذابحك يا رب إله القوات ملكى وإلهى ،
طوبى لكل السكان فى بيتك ... لأن يوماً فى ديارك خير من آلاف ...»
(مزمور ٨٤)

كنيستى القبطية الأرثوذكسية ... حقاً ما أجملك

ما أجملك فى **عقائدك** المستقيمة والسليمة .
ما أجملك فى **طقوسك** الروحية والمرتبة .
ما أجملك فى **قداساتك** المفرحة والمؤثرة .
ما أجملك فى **ألحانك** الجميلة والعذبة .
ما أجملك فى **أصوامك** وصلواتك ونسكك .
ما أجملك فى **شهدائك** وقديسيك وآبائك .
ما أجملك فى **تاريخك** الضارب بجذوره منذ بداية المسيحية .

كنيستى القبطية الأرثوذكسية :

● حقاً مباركة أنت يا من حباكِ الله بوعد دائم «مبارك شعبى مصر» (إش ١٩ : ٢٥) والتى جاءكِ السيد المسيح طفلاً مع أمه العذراء والقديس يوسف ، فباركك ببركات ونعم فريدة :

● فأنتِ كنيسة الصلاة والصوم والعبادة ، كنيسة النسك والزهد ، الكنيسة التى عُرفت فيها الرهبنة أول ما عُرفت .

● وأنت كنيسة العلم واللاهوت التى وقف رجالك اللاهوتيون فى المجامع المسكونية مدافعين عن الإيمان المستقيم ... واعترف العالم كله بالمكانة اللاهوتية العظمى التى لآبائك .

● وأنت كنيسة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، التى جاءك تلاميذ كثيرون من كنائس الكراسى القريبة والبعيدة ، ليتلقنوا ويتعلموا التعاليم اللاهوتية والروحية على أيدى أساتذتك العظام .

● وأنت كنيسة الشهداء التى قدمتى هذا العدد الضخم من أبنائك ، شهداء من أجل التمسك بالإيمان المسيحى السليم .

● وأنت كنيسة الكرازة التى خرج كارزوك إلى أماكن عديدة ، فى أفريقيا وأوروبا ينشرون الإيمان المسيحى المستقيم .

● وأنت الكنيسة التقليدية القديمة المحافظة :

- **التقليدية :** أى التى تتمسكين بالتقاليد التى تسلمتيها .

- **القديمة :** فقد أسسك القديس مرقس الرسول .

- **المحافظة :** أى التى تحافظين على ما تسلمتيه دون زيادة أو نقصان .

عزيزى القارئ : تأمل معى ما كتبته الكاتبة الإنجليزية المشهورة السيدة أ.ل. بتشر ، بشأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية :

« أما الكنيسة القبطية المصرية التى هكذا أسسها القديس مرقس ، فقد حافظت إلى الآن على نظامها وطقوسها الأصلية أكثر مما حافظت عليه أى كنيسة أخرى من عهد مؤسسها إلى هذا اليوم . فهى إذن أقل الكنائس اختلافاً عما كانت عليه حين نشأتها . فالكنيسة المصرية لم تزل باقية لليوم ، ولم تختلف فى شىء عن الكنيسة الأصلية . بل هى رسم جوهرها وصورة مجدها» (١) .

نعم فالكنيسة الأرثوذكسية تسلمت نظامها وطقوسها بدقة كاملة ، وسلمت ما تسلمته بأمانة بالغة .

حقاً حقاً ما أجملك ... يا كنيستى القبطية الأرثوذكسية :

● ولكنك يا كنيستى لست كنيسة الماضى فقط بل كنيسة الحاضر والمستقبل أيضاً . فها هو عصرنا الحالى عصر النهضة الروحية والعلم والرعاية عصر **قداسة البابا شنوده الثالث** البطريرك والراعى واللاهوتى والمعلم . فقد حظيت الكنيسة بنهضة روحية كبرى وامتدت واتسعت وانتشرت الكنيسة فى الداخل والخارج انتشاراً كبيراً وواسعاً ...

● **والأرقام تتحدث يا عزيزى القارئ (٢) :**

- فقد بلغ عدد الإيبارشيات داخل مصر ٥٠ إيبارشية ، وبلغ عدد الكنائس والمذابح حوالى

(١) السيدة أ.ل. بتشر : تاريخ الأمة القبطية ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

(٢) معهد الدراسات القبطية ومعهد الرعاية والتربية : قداسة البابا شنوده الثالث وحصاد السنين (٢) . سكرتارية المجمع المقدس بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية : دليل بيانات الآباء الكهنة بالكرازة المرقسية .

١٤٠٠ كنيسة ومذبح ، كما وصل عدد الكهنة إلى حوالى ٣٠٠٠ كاهن .

- أما خارج القطر فقد بلغ عدد الإيبارشيات ٢٧ إيبارشية وأسقفية . وعدد الكنائس فى حدود ٤٠٠ كنيسة ، وعدد الكهنة حوالى ٤٠٠ كاهن .

- وبلغ عدد أعضاء المجمع المقدس ٩٧ مطراناً وأسقفاً .

● ولأن الكنيسة الآن تعيش عصر العلم والمعرفة ، فيوجد الآن ١٨ فرعاً للإكليريكية : ١٢ فرعاً داخل مصر و ٦ فروع خارجها . غير معهد الرعاية الذى تأسس فى عهد قداسة البابا ، أما معهد الدراسات القبطية فقد امتد واتسع اتساعاً هائلاً فى عهد غبطته أيضاً ، وصار له أقسام عديدة فى شتى العلوم .

● وأخشى أن تكون الأرقام المذكورة غير دقيقة تماماً ، إذ أنه بين يوم وآخر تنشأ كنيسة قبطية أرثوذكسية جديدة فى بقعة ما من بقاع الأرض .

● وها بطريركها الحالى البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث - آدام الله حياته - وقد منحته جامعات العالم ثمانية درجات دكتوراه فخرية اعترافاً بمكانته العلمية المرموقة ، وها اجتماعه الأسبوعى - والذى عمره نحو خمس وأربعين عاماً - يدخل الموسوعات العالمية مسجلاً رقماً قياسياً فريداً .

حقاً ما أجملك يا كنيستى القبطية الأرثوذكسية .

عزيزى القارئ : أدعوك الآن لتتعرف على جمال بعض العقائد والطقوس الهامة التى للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ... والتى تعرضت فى الآونة الأخيرة لهجوم شرس من أعداء الأرثوذكسية (الطريق المستقيم) ... وهذه العقائد هى :

١ - خشبة الصليب المجيد .

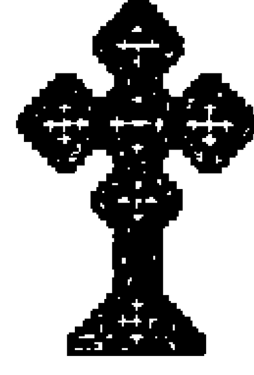
٢ - العذراء والقديسون .

٣ - الأيقونات المقدسة .

٤ - سر الكهنوت المقدس .

٥ - سر التناول المقدس .

أتركك الآن لتتجول بين صفحات هذا الكتاب ، لتتذوق جمال الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وتنعم بعطر شذاها وحلاوة ثمارها .



الفصـل الأول

الصليـب المقـدس

أولاً : الصليب فى العهد القديم

ثانياً : لماذا مات السيد المسيح بالصليب بالذات ؟

ثالثاً : قصة اكتشاف خشبة الصليب المجيد

رابعاً : لماذا نحن نكرم الصليب ونرشم علامته ؟

خامساً : استخدام علامة الصليب فى العبادة والحياة اليومية منذ بدء المسيحية

سادساً : الرد على أسئلة وادعاءات :

١ - هل تقديم البخور أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

٢ - هل إيقاد الشموع والأنوار أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

٣ - هل السجود أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

٤ - هل إنشاد التسابيح والتماجيد وإلقاء التحية (السلام) إلى خشبة الصليب هو لون من العبادة ؟

٥ - ماذا تعنى واقعة سحق الحية النحاسية من قبل حزقيا الملك فى العهد القديم ؟

٦ - هل حينما نسمى «باسم الصليب» فى طقوسنا فنحن نشرك بالمسيح إلهاً آخر نعبده إلى جانبه ؟

أولاً : الصليب فى العهد القديم

● معلوم أن أسفار العهد القديم مليئة بالنبوات والرموز عن السيد المسيح ومن بين هذه النبوات والرموز ما يختص بالصليب الذى مات فوقه الفادى ... من هذه الإشارات والرموز :

١ ـ فى حادث تقديم إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة محرقة حسب أمر الله ، حمل إسحق حطب المحرقة ، وهو رمز الصليب الذى حمله ربنا يسوع المسيح وهو ذاهب ليصلب ... وفى الموضع الذى حدده السيد الرب بنى إبراهيم مذبحاً وربط إسحق ابنه ووضعه فوق المذبح . وهذا رمز لما حدث مع المسيح حينما سُمر على الصليب (تك ٢٢ : ٦ ـ ٩ ، يوحنا ١٩ : ١٧)

٢ ـ وعندما قدم يوسف ابنيه إفرايم ومنسى لأبيه يعقوب ليباركهما قبيل موته ، مد يديه مثال الصليب وباركهما على غير ما كان متوقعاً (تك ٤٨) .

٣ ـ وأثناء محاربة بنى إسرائيل لشعب عماليق بعد خروجهم من مصر ، وقف موسى النبى أعلى التل باسطاً ذراعيه مثال الصليب . وفيما كان يفعل ذلك كان شعب إسرائيل ينتصر ، وحينما كان يُخفض ذراعيه وقتما يتعب كان الشعب ينهزم . ولهذا جئ بحور وهرون ليسندا ذراعى موسى ليظلا مرفوعين . وبهذا انتصر إسرائيل .

٤ ـ وعندما تذمر بنو إسرائيل فى البرية ـ عقب خروجهم من مصر ـ على الله وعلى موسى ، ضربهم الله بالحيات المحرقة ، فلدغت الشعب ومات عدد كبير منهم . ولما صرخوا واعترفوا بخطئهم أمر الله موسى أن يصنع حية من نحاس شبه الحية المحرقة تماماً ، ويرفعها على راية . وكل من لُدغ من الحية الحقيقية وينظر إلى حية النحاس يبرأ ويحيا (عد ٢١ : ٥ ـ ٩) ... كانت الحية النحاسية مثالاً للمسيح ، بينما كانت الخشبة التى رُفعت عليها عالياً رمزاً لخشبة الصليب . وإلى ذلك أشار السيد المسيح بقوله : «كما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية» . (يو ٣ : ١٤ ، ١٥)

٥ ـ كان خروف الفصح بعد ذبحه حسب الشريعة ، لا يؤكل نيئاً أو مطبوخاً بل مشوياً . وكان الخروف يُشوى على سفودين (سيخين) متعامدين على هيئة صليب .

٦ ـ شريعة تطهير الأبرص : كان الكاهن يخرج إلى خارج المحلة للرجل الذى أصيب بالبرص ، وعندما يتأكد من إتمام شفائه كان يأخذ عصفورين مع خشب أرز وقرمز وزوفا ، ويذبح أحد العصفورين فى إناء خزفى على ماء حى ، ثم يغمس العصفور الحى مع خشب الأرز

والقرمز فى دم العصفور المذبوح ، وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات ، ويطلق العصفور الحى على وجه الصحراء ، وبذلك يتطهر الأبرص من مرضه . (لا ١٤ : ١ ـ ٨) العصفوران يرمزان للفداء بالصليب : ذبح أحدهما إشارة لذبح ربنا يسوع ، وإطلاق الثانى حياً إشارة إلى قيامة ربنا يسوع . أما خشبة الأرز التى كانت تغمس فى الدم فهى تشير إلى خشبة الصليب التى تخضبت بدم المسيح الذكى ، وقطعة الصوف القرمزى بلونها هذا تشير أيضاً إلى لون الدم .

ثانياً : لماذا مات السيد المسيح بالصليب بالذات ؟ (١)

١ ـ بالصليب صار المسيح هو الكاهن والذبيحة فى آن واحد :

وهذا لم يكن ممكناً أن يتحقق فى أية ميتة أخرى (غرقاً مثلاً أو شنقاً أو ذبحاً بالسيف) .

ـ كيف كان كاهناً ؟ : تحقق هذا وهو رافع يديه نحو السماء مقدماً ذاته ذبيحة ؟

ـ كيف كان ذبيحة ؟ : تحقق هذا من وجود جراحات خارجية وداخلية كثيرة وعميقة جداً .

٢ ـ بالصليب كان هو الميت القائم :

هكذا كان المنظر على الصليب ولا يتحقق هذا إلا بموت الصليب . (هذا هو العجب) .

وهكذا كان المشهد فى سفر الرؤيا «خروف قائم كأنه مذبوح» . (رؤ ٥ : ٦)

لقد تكفن السيد المسيح بالطيب قبل موته وهكذا كان ميتاً وهو حى ، ولما مات كان حياً وهو ميت ... حقاً إنه يدعى عجيباً .

٣ ـ بالصليب عمل السيد المسيح الصلح بدمه :

ـ العمود الرأسى : كان نقطة الالتقاء بين السماء والأرض ، نقطة لقاء بين نظرنا نحن ونظر الآب السماوى : صالح الأرضيين مع السمائيين .

ـ العمود الأفقى : صالح اليهود والأمم أيضاً .

كما يقول **القديس أثناسيوس الرسولى** : «لهذا لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه حتى باليد الواحدة يجتذب الشعب القديم ، وبالأخرى يجتذب الأمم ويتحد الاثنان فى شخصه».

٤ ـ لكى يتحقق الجميع من موته :

موت الصليب أتاح للجميع أن يروا الأحداث ويتحققوا من شخص المصلوب ومن موته .

٥ ـ كان الصليب من أقسى الميتات وأشدها ألماً :

---

(١) بتصرف من كتاب لماذا الصليب بالذات ؟ لنيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ .

لأن موت الصليب يستلزم وقتاً طويلاً ، وكان ينفذ فى العبيد فقط ، وقد ارتضى المسيح هذه الميتة الشنيعة البشعة ، ليشارك المتألمين ويشرب كأس الآلام حتى الثمالة .

٦ـ موت الصليب يحمل إنكار الذات والاتضاع :

هذه هى فلسفة الصليب : بذل الذات حتى الموت .

٧ـ بالصليب ملك المسيح على خشبة :

ـ «الرب ملك على خشبة» . (مز ٩٥ : ١٠)

ـ وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة «هذا هو يسوع ملك اليهود» . (مت ٢٧ : ٣٧)

وكتبت هذه العبارة باللغات اللاتينية واليونانية والعبرانية . وهكذا أعلنوا أنه ملك بكل لغات العالم ، وأن عرشه هو الصليب.

٨ـ بالصليب أعلن عن الأحضان الإلهية المفتوحة للإنسان :

«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به» . (يو ٣ : ١٦)

«مررت بك وإذ زمنك زمن الحب» . (حز ١٦)

٩ـ الصليب أعطى فرصة ثلاث ساعات لإتمام العمل :

ليقول السيد المسيح خلالها عباراته الخالدة :

ـ «اليوم تكون معى فى الفردوس» : فتح الفردوس الذى تم بالصليب (لو ٢٣ : ٤٣)

ـ «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» . (لو ٢٣ : ٣٤)

هذا هو عمل الفداء الذى تم بالصليب : الغفران

ـ «أنا عطشان» .(لفدائكم) (يو ١٩ : ٢٩)

ـ «يا امرأة هوذا ابنك» ، «يا يوحنا هوذا أمك» . (يو ١٩ : ٢٦)

ـ «إلهى إلهى لماذا تركتنى» . (مت ٢٧ : ٤٦)

ـ «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى» . (لو ٢٣ : ٤٦)

ـ «قد أُكمل» (يو ١٩ : ٣) (قد أكمل الفداء) .

١٠ـ الصليب هو شجرة الحياة :

ـ يقول مارإفرام السريانى : «مبارك هو ذلك النجار الذى صنع بصليبه قنطرة لعبور المفديين»

كانت الشجرة أداة سقوط البشرية فاستخدم الرب نفس الأداة لنجاتها .

بالصليب فتح باب الفردوس «اليوم تكون معى فى الفردوس» . (لو ٢٣ : ٤٣)

ـ وانتصر على الشيطان «إذ جرد السلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه» . (كو ١ : ١٥)

- «خرج غالباً ولكى يغلب» . (رؤ ٦ : ٢)

١١ـ الصليب محا اللعنة :

- «المعلق ملعون من الله» . (تث ٢١ : ٢٣)
- لذلك أصر اليهود على أن يموت السيد المسيح صلباً لكى يثبتوا عليه اللعنة .

«ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا ومسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه و بحبره شفينا » . (إش ٥٣ : ٤ ، ٥)

- محا السيد المسيح لعنة الخطية بقيامته من الأموات . لهذا يقول القديس بولس الرسول :

«الذى أسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» . (رو ٤ : ٥)

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا» . (غل ٣ : ١٣)

- وحول الصليب من علامة اللعنة إلى علامة النصرة .
- يقول **القديس أثناسيوس الرسولى** : «لأنه إن كان قد أتى ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا فكيف كان ممكناً أن يصير لعنة ما لم يمت موت اللعنة الذى هو الصليب ، لأن هذا هو المكتوب (ملعون كل من علق على خشبة)» .

١٢ـ الصليب بفروعه الأربعة له مدلولات رائعة :

- رقم ٤ يشير إلى أن الخلاص قُدم للعالم كله فى أطراف الأرض الأربعة .
- رقم ٤ يشير أيضاً إلى العرش الإلهى الذى حوله الأربعة أحياء غير المتجسدين :

+ وجه الإنسان يشير إلى التجسد

+ وجه العجل يشير للذبيحة (الفداء)

+ وجه الأسد يشير إلى القيامة (النصرة)

+ وجه النسر يشير إلى الصعود

- ولكى ينتشر الإنجيل فى العالم كله انتشر من خلال الأربعة بشيرين .

١٣ـ وأخيراً بالصليب تمت النبوات :

- «ثقبوا يدى ورجلى» . (مز ٢٢ : ١٦)
- «يقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون» . (مز ٢٢ : ١٨)
- «وفى عطشى سقونى خلاً » . (مز ٦٩ : ٢١)
- وقول السيد المسيح نفسه : «كما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان» . (يو ٣ : ١٤) .

لهذا كله اختار السيد المسيح أن يموت مصلوباً .

ثالثاً : قصة اكتشاف خشبة الصليب المجيد

قصة اكتشاف خشبة الصليب المجيد حسب ما جاء بالكتب والوثائق التاريخية :

● ذكر **سقراط المؤرخ الكنسى** المشهور (٣٨٠ ـ ٤٥٠ م) : أن الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين سافرت إلى أورشليم فى سنة ٣٢٣ م وهى فى حدود السبعين عاماً ، لتبحث عن الصليب والقبر المقدس وهناك وبمساعدة أسقف أورشليم الأنبا مكاريوس تم لها ما أرادت إذ اكتشفت خشبة الصليب وقبر السيد المسيح تحت مكان مملوء بالأتربة والمخلفات ، وكان مبنياً على القبر المقدس هيكل وثنى للإله فينوس . وقد وجدت القبر المقدس وثلاثة صلبان على رمية حجر من مكان القبر . وقد وجدت على صليب الرب العنوان الذى كتبه بيلاطس " INRI " وقد تأكدوا من الصليب المقدس لما وضعوه على سيدة مريضة أمام القديس مكاريوس أسقف أورشليم وقتئذ فشفيت فى الحال ... وحملوا الصليب بإكرام شديد ووضعوه فى تابوت فضى ... هذا وقد أمرت الملكة ببناء كنيستين هناك الأولى فوق القبر المقدس والثانية فوق مغارة بيت لحم [(١)].

● وكتب **ثيؤدورت المؤرخ الكنسى** (٣٩٣ ـ ٤٢٨ م) نفس القصة أيضاً واتفق مع المؤرخ سقراط أن الملكة وجدت فى القبر المسامير التى سُمر بها المخلص وأرسلتها إلى ابنها الذى ثبت مسماراً منها على الخوذة الملكية التى يخوض بها المعارك ، كما أنها أرسلت قطعة من خشبة الصليب إلى القصر الإمبراطورى فى القسطنطينية ، أما بقية الصليب فقد وضُع فى تابوت من الفضة داخل كنيسة القيامة [(٢)] .

● ولقد أشار **القديس أمبروسيوس** أسقف ميلان (٣٣٩ ـ ٣٩٧ م) إلى حدث اكتشاف خشبة الصليب المجيد بواسطة الملكة هيلانة وذلك فى عظته عن انتقال ثيؤدوسيوس فى سنة ٣٩٥ م.

● وأشار كذلك **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) إلى نفس الحدث بقوله فى إحدى عظاته عن إنجيل يوحنا : « لأنه منذ ذلك الحين اندفنت خشبة الصليب إذ لم يوجد من يعتنى بها وقتذاك ... ولكن عندما فُتش عنها فيما بعد وُجدت الصلبان الثلاثة ملقاة معاً ، ولكن لم يكن صليب الرب مجهولاً إذ وُجد كما هو فى الوسط وعليه العنوان » [(٣)] .

● وكتب كثيراً **القديس كيرلس أسقف أورشليم** (٣١٥ ـ ٣٨٦ م) عن خشبة الصليب بحكم وجوده فى مكان الأحداث . فكتب فى إحدى عظاته التى ألقاها سنة ٣٤٨ م من داخل كنيسة

---

(1) Ecc. Hist. ch. XVIII.

(2) Ecc. Hist. ch. XVIII.

(٣) العظة ٨٥ على إنجيل يوحنا.

القيامة : « قد صُلب المسيح حقـاً ، ونحن إن كنا ننكر ذلك ، فهذه هى الجلجثة تناقضنى التى نحن مجتمعون حولها الآن . وها هى خشبة الصليب أيضاً تناقضنى ، التى وزع منها على كل العالم » [1] .

وكتب أيضاً : « وخشبة الصليب تشهد للمسيح التى نراها حتى اليوم بيننا الآن ، وقد ملأت كل العالم بواسطة المؤمنين الذين أخذوا قطعاً منها إلى بلادهم » [2] .

● هذا وقد أمر الملك قسطنطين بتوزيع قطع من خشبة الصليب المقدس إلى كافة الكنائس (الكراسى) الرسولية الموجودة وقتئذ . وقد احتفظت كنيسة روما بقطعة كبيرة ولعل هذا هو السبب فى الإكرام الشديد الذى لاتزال هذه الكنائس الرسولية تقدمه أمام هذه الذخيرة المقدسة ... وهذا الإكرام والتوقير والاحترام يُقدم فى هذه الكنائس الرسولية جميعها وليس فى الكنائس الأرثوذكسية وحدها . ففى كنيسة روما ـ على سبيل المثال ـ يقدم طقس تكريم خشبة الصليب المقدس فى يوم الجمعة الكبيرة بتوقير شديد .

● هذا وقد ظلت طقوس الاحترام والتوقير ـ من تسابيح وتماجيد وسجود ـ تُقدم لخشبة الصليب المقدس حتى بعد فقدان هذه الذخيرة من بعض الكنائس بمرور الزمن والأحداث .

وها هى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية مستقيمة الرأى والفكر والسلوك والتمجيد تقدم التسابيح والتماجيد والإكرام والسجود التى كانت تُقدم لخشبة الصليب المقدس ، ولكنها تقدمها الآن أمام أى صليب يخص المسيح للمعانى المقدسة التى صارت لهذه العلامة ، الأمر الذى سنوضحه فيما بعد .

✣ ظهور الصليب فى السماء :

يذكر لنا التاريخ عن ظهور علامة الصليب فى السماء كعمود نور ثلاث مرات على الأقل :

● **المرة الأولى :** « ظهر الصليب فى السماء للإمبراطور قسطنطين الكبير » .

ويذكر هذه الحادثة **يوسابيوس القيصرى** (٢٦٠ ـ ٣٤٠ م) [3] بدقة وينقلها عنه كل من المؤرخ سقراط وسوزومين ويضيف سوزومين أن يوسابيوس يؤكد أنه سمع الإمبراطور يعلن بقسم أنه بينما كانت الشمس قد مالت قليلاً بعد الظهر ، رأى فى السماء ومعه الضباط والجنود أيضاً علامة الصليب من نور وتحيط بها كلمات تقول : « بهذا تغلب » . وقد كان من تأثير المنظر أن تشجع قسطنطين على قبول المسيحية ، ودخل فى الحرب ضد الطاغية مكسينتيوس.

---

(1) Catachu. lect . X, 19.

(2) Catachu. lect . X111.,4

(3) Eusebius:De Vita Constant. 1 : 28, P.g 20 : 944.

● **المرة الثانية :** ظهور الصليب فى السماء للقيصر جاللوس :

وقد ذكر هذا سقراط ، أنه بعد أن أقام قسطنطين نسيبه جاللوس قيصراً وأعطاه اسمه ، أرسله إلى أنطاكية بسوريا لحماية الأقطار الشرقية . فعند دخول جاللوس أبواب مدينة أنطاكية ظهرت له فى الشرق علامة المخلص كعمود نور فى هيئة صليب أذهل جميع من رأوه . (١)

● **المرة الثالثة :** ظهور الصليب كعمود نور فى سماء أورشليم لكل الناس سنة ٣٥١ م :

يورد هذه الحادثة شاهد عيان أسقف قديس هو كيرلس الأورشليمى فى خطاب أرسله للإمبراطور يصف ما حدث بالتفصيل . يقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٣ - ٣٨٦ م) :

«فى الأيام المقدسة لعيد الخمسين وبالتحديد يوم ٨ مايو ونحو الساعة الثالثة من النهار ، ظهر فى السماء صليب ضخم فوق الجلجثة وإمتد حتى جبل الزيتون . ولم يره واحد أو اثنان ولكنه كان واضحاً جداً لكافة سكان المدينة ، ولم يختف بسرعة كما كنا نتوقع كأنه خيال ، ولكنه ظل مرئياً للنظر الطبيعى ممتداً فوق الأرض عدة ساعات مضيئاً بنور أكثر لمعاناً من أشعة الشمس . وبالتأكيد إذا لم يكن لمعانه المنظور أكثر من قوة الشمس لكانت الشمس أخفته وضيعته . وقد تدافعت كل المدينة مرة واحدة إلى مكان المشهد مشدوهين خائفين إنما فى فرح لرؤية هذا المنظر السماوى . وكل من كان فى المدينة تدفقوا ، صغاراً مع كبار رجالاً مع نساء من كل الأعمار ، ليس المسيحيون فقط بل والوثنيون من كل موضع ، وجميعهم كانوا يُسبحون للمسيح يسوع ربنا». (٢)

رابعاً : لماذا نحن نكرم الصليب ونرشم علامته ؟

● إن الصليب ليس مجرد أداة أتم بها السيد المسيح الفداء وانتهى الأمر عند هذا الحد ، كما أنه ليس مجرد علامة أو إشارة رمزية لحادثة صلب السيد المسيح .

ولكن للصليب مكانة فى قلب وعقل ووجدان كل مسيحى أرثوذكسى يعى قيمة ما تم على الصليب من أحداث ، وما وهب للمؤمن بواسطته من بركات وعطايا ونعم ، فعلى الصليب أتم السيد المسيح خلاص الإنسان وفداءه ، ونلنا غفران الخطايا والنصرة على الشيطان ، كما تم الصلح مع الآب السماوى .

● وهكذا صار للصليب بركات وعطايا عظمى مما تم عليه من أحداث هائلة ، ونتائج فائقة أعطته نعماً وقوى كثيرة لمن يؤمن به وبمن صُلب عليه . والصليب بطبيعة الحال ، يستمد قوته

(1) Ecc. Hist. ch. XVIII.

(2) Lib.of Christ.,CL.

وكرامته من السيد المسيح ذاته الذى صُلب عليه وتخضبت خشبته بدمائه .

ونحن نكرم الصليب لأسباب كثيرة ، منها أن :

١ ـ الصليب يحمل صفة شخصية ملازمة للسيد المسيح : المسيح المصلوب .

٢ ـ الصليب هو علامة المسيح وعلم المسيحية .

٣ ـ ونكرم الصليب أيضاً تقديراً لعمل المصلوب وافتخاراً بالصليب .

٤ ـ وإعلاناً عن تبعيتنا للمصلوب .

٥ ـ وتذكاراً للفداء الذى أتمه المسيح من أجلنا على الصليب ، وطلباً لمفاعيله فى حياتنا .

٦ ـ وتذكاراً لنصرة المسيح على الشيطان على الصليب لحسابنا ، و طلباً لهذه النصرة فى حياتنا.

٧ ـ وتذكاراً للصلح الذى عمله المسيح بدم صليبه ، و طلباً لمفاعيله فى حياتنا .

٨ ـ وتذكاراً للفضائل الكبرى المعلنة على الصليب ، و طلباً للسعى فى طريقها.

٩ ـ ونحن نرشم الصليب أيضاً لنتذكر العقائد المسيحية الأساسية .

١٠ ـ ونرشمه أيضاً لأنه يمنحنا قوة .

١ ـ الصليب يحمل صفة شخصية ملازمة للسيد المسيح (يسوع المصلوب):

ـ قال **الملاك** عن السيد المسيح للمريمتين بعد القيامة : « إنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب » . (مت ٢٨ : ٥)

ـ وقال **القديس بولس الرسول** : « نحن نكرز بالمسيح المصلوب » . (١ كو ١ : ٢٣)

وقال أيضاً : « لأننى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » . (١ كو ٢ : ٢)

● وأيضاً مما يؤكد أن الصليب صار صفة ملازمة للمسيح ما رآه القديس يوحنا فى رؤياه بعد القيامة بعشرات السنين ، إذ رأى السيد المسيح خروفاً قائماً كأنه مذبوح : « ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروفاً قائماً كأنه مذبوح ... ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين ...عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم : مستحق هو الخروف المذبوح » . (رؤ ٥ : ٦ ، ١١ ، ١٢)

● والخروف القائم وكأنه مذبوح يشير إلى السيد المسيح المصلوب والقائم فى آن واحد .

وهكذا صار الصليب صفة دائمة للسيد المسيح : لأن حادث الصلب ليس حادثاً عابراً حدث وانتهى بل هو حادث كان فى تدبير الله منذ الأزل ، وانتظرته البشرية كلها عبر كل الأزمنة

السابقة له ، ويعيش بفاعليته كل المؤمنين عبر كل الأزمنة .

٢ـ الصليب هو علامة المسيح وعلم المسيحية :

ـ الصليب هو علامة المسيح : وقد أشار **السيد المسيح** لهذا الأمر حين قال : « حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء .... ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء » .
(مت ٢٤ : ٣٠)

ـ وتنبأ أيضاً **سمعان الشيخ** عن صليب السيد المسيح كعلامة له فقال : « إن هذا ـ السيد المسيح ـ وضع ... لعلامة تقاوم » . (لو ٢ : ٣٤)

والصليب أيضاً هو عَلَمْ المسيحية الذى ترفعه كل الكنائس التقليدية على مبانيها من الخارج ، وعلى أجزاء عديدة داخل الكنيسة مثل حامل الأيقونات وفوق عرش المذبح وغيرها .

● فإذا كان الصليب هو علامة ابن الإنسان وهو عَلَمْ المسيحية ، فأى احترام وإكرام وتوقير ينبغى أن يكون له ، وإذا كان الأفراد والشعوب يعرفون كيف يكرمون أعلام بلادهم فكم ينبغى للإنسان المسيحى أن يوقر ويكرم علمه وهو الصليب؟ ، وإذا كانت تحيتنا للعَلم هى موجهة للدولة وليس للقماش فى حد ذاته فكذلك إكرامنا للصليب والسجود له ليس هو للخشب أو للذهب أو للفضة وإنما للإله المصلوب عليه ... فأى إكرام للصليب هو إكرام لشخص المصلوب عليه وليس للخشب فى حد ذاته .

ولقد صار الصليب علامة يتعارف بها المسيحيون جميعاً ، وفى هذا يقول **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م): « نحن نعرف أعضاء المسيح أنهم أعضاء المسيح حقيقة بحملهم الصليب » (١).

٣ـ ونحن نكرم الصليب تقديراً لعمل المصلوب وافتخاراً بالصليب :

● فى إكرامنا للصليب تقدير لعمل المصلوب الذى بذل ذاته من أجل خلاص العالم ، والذى أخلى ذاته آخذاً صورة عبد وأطاع حتى الموت موت الصليب من أجلنا (فى ٢ : ٨) والذى قدم نفسه ذبيحة حية مرضية .

● وفى إكرامنا للصليب والتشبث به افتخار به ، متمثلين **بالقديس بولس الرسول** الذى قال : « وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » . (غل ٦ : ١٤)

إذن فى إكرامنا للصليب افتخار به وتقدير للمصلوب عليه .

ـ ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : « لا تخجل يا أخى من علامة

---

(١) نيافة المتنيح الأنبا يوأنس : المسيحية والصليب ، ص ١٠٢ .

الصليب فهو ينبوع الشجاعة والبركات وفيه مخلوقين خلقة جديدة فى المسيح ... إلبسه وافتخر به كتاج » .

٤ ـ وإعلاناً لتبعيتنا ليسوع المصلوب :

ـ قال **السيد المسيح** : « من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » . (مت ١٠ : ٣٨)

ـ وقال أيضاً : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » .

(مت ١٦ : ٢٤ ، مر ٨ : ٣٤)

ـ وفى حديثه مع الشاب الغنى قال له : « اذهب بع كل مالك واعط الفقراء ... وتعال اتبعنى حاملاً الصليب » . (مر ٨ : ٣٤)

ـ وأيضاً قال : « من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى لا يقدرأن يكون لى تلميذاً » .

(لو ١٤ : ٢٧)

إذن فى إكرامنا للصليب ورشمه وحمله على صدورنا إعلان لتبعيتنا للمصلوب .

٥ ـ وتذكاراً للفداء الذى أتمه المسيح على الصليب لحسابنا ، وطلباً لمفاعيله فى حياتنا :

● كان موت المسيح النيابى على الصليب عنا هو فداء للإنسان من الموت الذى حُكم به عليه نتيجة تعديه وعصيانه . وفى هذا يقول **القديس بولس الرسول** : « الذى فيه لنا الفداء بدمه » . (أف ١ : ٧)

وصار الصليب هكذا علامة خلاصنا من الموت وفدائنا ، لأنه الأداة التى استخدمها السيد المسيح لإتمام هذا الفداء ، وليس هذا فحسب بل قد تخضب صليبه بدمه الذكى .

● وعلى الصليب تم دفع الدين الذى علينا فى الفرائض ، وفى هذا يقول **القديس بولس الرسول** : « وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف أجسادكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا . إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب » . (كو ٢ : ١٣ ، ١٤)

● وكان حكم الناموس علينا بالموت : « لأن أجرة الخطية هى موت » (رو ٦ : ٢٣)

وجاء السيد المسيح ومات نيابة عنا فمحا الصك الذى علينا فى الفرائض والذى كان ضداً لنا . وهكذا أحيانا بموته ، ومزق صك خطايانا بصليبه .

● وفى هذا يقول **القديس هيبوليتس** (١٦٠ ـ ٢٣٥ م) : « إذ تحمل صليب الرب إنما تحمل الغلبة على الموت فى داخلها » . [1]

---

(1) Quasten : patrology , vol 2 , p . 213

● ويقول **القديس إغناطيوس الرسولى** (استشهد ١٠٧ م) : « لتحسب روحى كلا شيء ونفاية من أجل الصليب . الذى صارة عثرة للذين لا يؤمنون أمَّا لنا فخلاصاً وحياة أبدية » . (١)

● ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ - ٣٧٣ م) : « علامة الصليب تذكار الانتصار فوْق الموت وفوق فساده » . (٢)

● ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦ م) : « إن كانت الحية النحاسية قد أبطلت سم الحيات فى العهد القديم فكم بالحرى صليب ربنا يسوع المسيح الذى رُفع عليه ، لا حية نحاسية ، بل رب المجد وسكب دمه على الصليب ليصير لنا بالدم الحياة وبالصليب النصرة » . (٣)

● ويقول **القديس غريغوريوس النيصى** (٣٣٥ - ٣٩٤ م) : « إن خشبة الصليب ذات قوة فعالة للخلاص لكل الناس ، ولو أنها كما أعلم جزء من شجرة بسيطة ربما أقل ثمناً من كافة الأشجار ، ولكن العليقة الى رأها موسى أيضاً كانت كذلك ، والله استُعلن بحضوره فيها ... فهذه كلها قد جُعلت واسطة لتكميل معجزات عظيمة لما قبلت قوة الله » . (٤)

٦ - وتذكاراً لنصرة المسيح على الشيطان لحسابنا وطلباً لهذه النصرة فى حياتنا :

● « إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (فى الصليب) » .
(كو ٢ : ١٥)

على الصليب انتصر المسيح على الشيطان ، وذلك حينما اقترب من المسيح وقت أن سلم الروح وأراد أن يقبض على روحه الطاهرة ، فقبض عليه المسيح وقيده وأذله ، ونزل المسيح إلى الجحيم وأخرج أرواح المحبوسين فى قبضة الشيطان ، وسبى سبياً وأعطى الناس عطايا ، وظفر بهم إلى الفردوس .

● وهذا ما تنبأ به **إشعياء النبى** إذ قال : « أنا الرب (الآب) قد دعوتك (المسيح) بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم .. لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة » . (إش ٤٢ : ٦ ، ٧)

● وقال **المسيح أيضاً فى سفر إشعياء** : « روح السيد الرب علىَّ لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين ... لأنادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق » . (إش ٦١ : ١)

---

(١) رسالة القديس إغناطيوس إلى أفسس XVIII.

(٢) تجسد الكلمة ، ف ٣٢.

(٣) نيافة الأنبا يوأنس المتنيح : المسيحية والصليب ، ص ١٠٢ .

(4) St . John , hom LIII.

● وقال **زكريا النبى** : « وأنت أيضاً فإنى بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذى ليس فيه ماء (الجحيم) ارجعوا إلى الحصن (الفردوس) يا أسرى الرجاء » . (زك ٩ : ١٢ ، ١١)

● وقال **هوشع النبى** : « من يد الهاوية أفديهم من الموت أخلصهم : أين أوباؤك يا موت وأين شوكتك يا هاوية » . (هو ١٣ : ١٤)

● ويقول **القديس بولس الرسول** فى هذا الأمر : « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما . لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس . ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » . (عب ٢ : ١٥ ، ١٤)

ـ ويقول أيضاً عن السيد المسيح : « إذ صعد المسيح إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا أما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى » . (أف ٤ : ٨ ، ٩)

● ويقول **القديس بطرس عن السيد المسيح** عن وقت موته : « فيما كان مماتاً فى الجسد كان محيياً فى الروح الذى فيه أيضاً ذهب فكرزللأرواح التى فى السجن » . (١ بط ٣ : ١٩)

✤ أقوال الآباء تشير إلى قوة الصليب على الشيطان فى الحروب الروحية :

● يقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ ـ ٣٧٣ م) : « أعطانا السيد المسيح إلهنا الصليب سلاحاً نافذاً ينفذ فى النار والهواء والماء والأرض ولا يحجبه شىء أو يعترض قوته عارض . فهو قوة الله التى لا تُقاوم . تهرب من صورته الشياطين حينما يُرسم به عليها » .

ـ كما يقول أيضاً : « بواسطة الصليب يستطيع الإنسان أن يطرد كل خداعات الشياطين » . (١)

● ويقول **القديس أمبروسيوس** (٣٣٩ ـ ٣٩٧ م) : « الصليب دواء الشهوة النجسة » . (٢)

● ويقول أيضاً **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : « الصليب دواء الغضب » . (٣)

● وجاء فى سيرة **القديس أنطونيوس** (٢٥١ ـ ٣٥٦ م) : التى كتبها البابا أثناسيوس الرسولى : « إن الشياطين إذا رأت المسيحيين ، سيما الرهبان ، مجدين بابتهاج ومتقدمين ، فإنها تهاجمهم أولاً بالتجربة ووضع الصعاب لعرقلة طريقهم محاولة أن تنفث فيهم الأفكار الشريرة ، ولكن لا مبرر للخوف من اغراءاتها لأن هجومها يرتد خائباً فى الحال بالصلاة والصوم ، ... سيما إن كان المرء قد سبق وحصّن نفسه بالإيمان وعلامة الصليب » . (٤)

٧ـ وتذكاراً للصلح الذى عمله المسيح بدم صليبه وطلباً لمفاعيله فى حياتنا :

(١) تجسد الكلمة فصل ٤٨ .

(2) Exhar ad . virg.

(3) On Matt , 27 . 44.

(٤) سيرة القديس أنطونيوس بحسب القديس أثناسيوس .

● السيد المسيح بالصليب صالح الخطاة بالله ، على أساس أنه مات بدلاً منهم فأخذ العدل الإلهى حقه إلى التمام .

● كما أن السيد المسيح بالصليب صالح الإنسان بأخيه الإنسان ، لأنه قتل العداوة التى فى داخل الإنسان تجاه أخيه الإنسان . فعلى الصليب صار العالم كله سواسية أمام الله ولا أفضلية لأمة على أخرى ولا لشعب على آخر إلا بالإيمان بالمسيح .

● كما أن السيد المسيح بالصليب صالح الإنسان على نفسه ، أى صالح الروح مع الجسد ، ووحَّد الرغبات والميول ، وقدس الغرائز والدوافع ، وصارت كل القوى التى فى الكيان الإنسانى - بالنسبة للإنسان المؤمن - تعمل معاً فى انسجام لمجد الله .

- يقول **القديس بولس الرسول** : « يصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » . (أف ٢ : ١٦)

فالذى يؤمن بالصليب وفاعليته ويتمسك به ويستخدمه مذكراً نفسه بمعانيه ، يستمد منه قوة الصلح والسلام التى حققها السيد المسيح عليه « عاملاً الصلح بدم صليبه » . (كو ١ : ٢٠)

٨ـ وتذكاراً للفضائل الجميلة المعلنة على الصليب ، وطلباً للسعى فى طريقها :

أ- على الصليب كان الاحتمال العظيم :

● على الصليب احتمل السيد المسيح كل الإهانات والتعييرات والآلام :

احتمل الخزى : « احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » . (عب ١٢ : ٢)

احتمل عار الصليب وخزيه .

احتمل التعيير : « كان اللصان اللذان صُلبا معه يعيرانه » . (مت ٢٧ : ٤٤)

يعيرانه بأنه خاطىء ومذنب ومرذول من الله .

احتمل الآلام : « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » . (فى ٣ : ١٠)

لقد قاسى السيد المسيح على الصليب آلاماً عديدة .

ب- وعلى الصليب كان الحب الأعظم :

- « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » . (يو ٣ : ١٦)

- « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » . (يو ١٥ : ١٣)

كان على الصليب الحب الإلهى العجيب المعلن للبشرية كلها .

ج- وعلى الصليب كان الاتضاع العجيب والطاعة الكاملة :

- « وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » . (فى ٢ : ٨)
على الصليب كانت الطاعة الكاملة من أقنوم الابن ، كما كان كذلك الاتضاع العجيب فى أن يرتضى أن يموت ميتة العبيد وقطّاع الطرق والقتلة .

٩ـ ونحن نرشم الصليب لأنه يجسد أمامنا العقائد المسيحية العظمى :

● فى رشمنا لعلامة الصليب تجسيد لكثير من عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية ، وكرازة صامتة بها ، فحقاً هو يُعد عظة عقائدية مدعمة بوسيلة إيضاح بسيطة وعميقة فى آن واحد .

ففى الصليب إعلان عن العقائد الآتية :

- وحدانية الله .
- تثليث الأقانيم .
- التجسد وإرسال الآب للابن .
- الفداء .
- عمل الروح القدس فى الكنيسة .

- ويقول **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ - ٢٢٠ م) : « أثناء رشم علامة الصليب نذكر الثالوث ، لأن الإيمان يُختم باسم الآب والابن والروح القدس » . (1)

● **على الصليب قدم السيد المسيح نفسه لله الآب بالروح القدس :**

وفى هذا يقول **القديس بولس الرسول** : « المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب » .
(عب ٩ : ١٤)

أى أن الابن قدم نفسه ذبيحة لله الآب بالروح القدس .
ولقد ذكر أن : « الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه » . (٢ كو ٥ : ١٩)
وفى ألحان الكنيسة نقول عن الابن المتجسد : « هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة » .
على الجلجثة : الابن قدم نفسه لله الآب ، والآب قبل الذبيحة ، والروح القدس أصعد هذه الذبيحة .

١٠ـ نرشم الصليب لأن الصليب يمنحنا قوة :

● يقول **القديس بولس الرسول** : « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » . (١ كو ١ : ١٨)

---

(1) De Bapt . Ch. 6.

أى أن مجرد ذكر كلمة « الصليب » أو رشمها بتأمل وإيمان فهى قوة الله .

لذلك نحن حينما نوقر الصليب ونرشم علامته ونذكر كلمة الصليب ، نمتلئ بقوة إلهية غير مرئية تنبع من الصليب مستمدة من المصلوب عليه ، وهى :

١ ـ قوة النصرة على الشيطان .

٢ ـ قوة النصرة على الموت .

٣ ـ قوة المصالحة .

٤ ـ قوة السعى فى طريق الفضيلة .

٥ ـ قوة إخراج الشياطين وعمل المعجزات .

خامساً : استخدام علامة الصليب فى العبادة والحياة اليومية منذ بدء المسيحية

● جاء فى **دائرة المعارف البريطانية** ما نصه : « لما كان المسيح مات صلباً أصبح الصليب علامة المسيحية وشعارها ، وهو يرمز إلى الحياة ... وكان المسيحيون فى أول عهد النصرانية يتعارفون برشم إشارة الصليب ، من ثم نقشوه ورسموه وأقاموه على أشكال تفوق الحصر ... ولما تراءات صورة الصليب فى الجو للإمبراطور قسطنطين ـ على ما جاء فى أخبار الكنيسة ـ زاد استعمال الصلبان شيوعاً وبعد أن كان المسيحيون يرسمونها وينقشونها على النواويس والمعابد تحت الأرض أخذوا يتظاهرون بها فى كل مكان وأقاموها فى كنائسهم ونقشوها على أختامهم ونقودهم وأبنيتهم ومدافنهم » . (١)

● منذ فجر المسيحية بدأ استخدام الصليب فى حياة الإنسان المسيحى اليومية وفى العبادة الكنسية ، وذلك لأنه كان يليق بالمسيحيين أن يعلموا العالم أن هذه العلامة التى كانت للعار والموت قد صارت رمزاً للغلبة والخلاص

● واعتادت الكنائس أيضاً أن تضع صليباً أو تنقشه على الحائط المواجه للمصلين فيتعرفوا به على اتجاه الشرق ، وفى هذا يقول **القديس بولس** لأهل غلاطية : « أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » . (غل ٣ : ١)

●وجاء المجموع الصفوى لابن العسال : «أمر الآباء الرسل المؤمنين أن يرشموا علامة الصليب على جباههم فى كل حين بإيمان قلبى ليهرب الشيطان» . (٢)

---

(١) دائرة المعارف البريطانية : مجلد١١ ، ص ١١ ، ١٢ ، أوردها كتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ، جـ ١ ، ف ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن العسال : المجموع الصفوى : جـ ١ ، ص ١٦٠ .

● ويحدثنا **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ - ٢٢٠ م) : عن انتشار استخدام هذه العلامة فيقول : « فى كل تصرفاتنا ، وفى دخولنا وخروجنا ، قبل أن نرتدى ملابسنا ، قبل الاستحمام ، عند إضاءة المصابيح فى العشاء ، عند الرقاد بالليل ، عندما نجلس للقراءة ، وفى كل تصرفات حياتنا اليومية نرشم جباهنا بعلامة الصليب » . (١)

- ويقول أيضاً : « نرسم الجسد بإشارة الصليب لكى يتقوى العقل والضمير بالإيمان » . (٢)

● ويقول **يوليوس الأفريقى** (١٦٠ - ٢٤٠ م) : « وحينئذ نرفع أيدينا ونرشم جبهتنا بعلامة الصليب ». (٣)

● ويقول **القديس أمبروسيوس** (٣٣٩ - ٣٩٧ م) : «وعلينا حينما نستيقظ أن نشكر المسيح ونبدأ نتمم أعمالنا اليومية بقوة الصليب » . (٤)

- ويقول أيضاً : « نرسم الصليب على جبهتنا ثم على قلبنا ، نرشمه على جبهتنا حتى نعترف علناً بالمسيح وعلى قلبنا حتى نظل نحبه ، ونرسمه على ذراعنا حتى يكون عملنا له » . (٥)

● ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦ م) : « فلا نخزى ، أن نعترف بالمسيح المصلوب بل ليت إشارة الصليب تكون ختماً نصنعه بشجاعة بأصابعنا على جبهتنا وعلى كل شىء ، على الخبز وعلى كأس الشرب ، فى مجيئنا وذهابنا ، قبل نومنا وعند يقظتنا ، وفى الطريق وفى البيت » . (٦)

● ويقول **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ - ٣٧٩ م) : « إن رشم علامة الصليب تسلمها المسيحيون ضمن التقاليد غير المدونة التى وصلت إليهم من رسل المسيح ، الذين علمونا أن نرشم بعلامة الصليب أولئك الذين وثقوا فى اسم الرب يسوع المسيح » . (٧)

● ووجدت **مخطوطة** ترجع للقرن الثانى الميلادى مكتوب عليها : « يا صليب طهرنى أطردك أيها الشيطان بحيث لا تبرح مقرك أبداً » . (٨)

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٤٥١ . Tertullian: De corno3 PL 2 :80

(2) De Res . Cornis., Ch8 .

(3) . Hist. Lib . VI.

(4) Serm . 43

(5) De . Isaac et Anima VII

(6) Catech . XIII,36

(7) Daniel Bible and Liturguy p.54

(٨) هذه الصحيفة موجودة بالمكتبة الأهلية بباريس ، فى قاعة الوسامات ، أوردها كتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ ٢ ، فـ ٤ ، ص ١٤٢.

● ويقول **القديس أثناسيوس** (٢٩٧ - ٣٧٣ م) : « إن كان كل تلاميذ المسيح يزدرون بالموت وجميعهم يواجهونه بقوة ، ولم يعودوا بعد يخشونه ، بل بعلامة الصليب وبالإيمان بالمسيح يطأونه كميت ، فإن هذا برهان غير قليل ، بل بالحرى دليل واضح على أن الموت قد أُبيد وأن الصليب قد صار هو الغلبة عليه ، وأن الموت لم يعد له سلطان بالمرة بل قد مات حقاً» . (١)

- ويقول أيضاً : «وعلى العكس من ذلك ، فبعلامة الصليب تبطل قوة السحر وتتلاشى كل قوات العرافة ، والأوثان تهجر وتترك . وكل الملذات غير العاقلة تكف ، ويرفع الجميع أنظارهم من الأرض إلى السماء فإن كان الميت لا يملك قدرة على العمل ، فمن هو الذى يستحق أن ندعوه ميتاً ؟ هل المسيح الذى يعمل أعمالاً كثيرة كهذه ، أو ذاك الذى لا يعمل بالمرة بل هو مطروح عديم الحياة ؟ وهذه هى حالة الأرواح الشريرة والأصنام ، إذ هى ميتة» . (٢)

● ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧ م) : « إن إشارة الصليب التى كانت قبلاً فزعاً لكل الناس ، الآن يحبها ويتبارى فى اقتنائها كل واحد ، حتى صارت فى كل مكان بين الحكام والعامة ، بين الرجال والنساء ، بين المتزوجين والعذارى ، بين المخطوبين وغير المخطوبين ، لا يكف الناس عن رسمها فى كل موضع كريم ومكرم ، يحملونها منقوشة على جباههم كأنها علامة ظفر على سارية ، نراها كل يوم على المائدة المقدسة ، نراها عند رسامة الكهنة ، نراها تتألق فوق جسد المسيح وقت التناول السرى . وفى كل مكان يحتفل بها فى البيوت ، فى الأسواق ، فى الصحارى ، فى الطرق ، على الجبال ، فى شقوق الأرض (مغاير الرهبان) ، على التلال ، فى البحار ، على المراكب ، فى الجزر ، فى المخدع ، على الملابس ، على الأسلحة ، فى الأروقة (المدارس) ، فى المجتمعات ، على الأوانى الذهبية ، على الأوانى الفضية ، على اللؤلؤ ، فى الرسومات على الحوائط ، على أجساد الذين مسهم الشيطان ، فى الحرب ، فى السلام ، فى الليل ، فى النهار ، فى رقصات المبتهجين ، فى جماعات المتنسكين ، وهكذا يتبارى الجميع فى اقتناء هذه العطية العجيبة كنعمة لا يُنطق بها » . (٣)

● وقال **القديس كيرلس الكبير** (٣٧٧ - ٤٤٤ م) : « إن يوليانوس عيَّر المسيحيين لأنهم كانوا يسجدون لعود الصليب ، ويرسمون إشارته على جباههم ، ويحفرونها فى أعتاب بيوتهم» . (٤)

---

(١) القديس أثناسيوس الرسولى : تجسد الكلمة ، فصل ٢٧.

(٢) المرجع السابق ، فصل ٣١ .

(3) St. Chrysost.,contra judacous.

(٤) العلامة الأسقف الأنبا إيسيذوروس : مرآة الحقائق الجلية ، ص ٣٣٦ .

● ويذكر **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) علامة الصليب كوسيلة للتعارف بين المسيحيين فيقول : « نحن نتعارف على أعضاء المسيح بواسطة علامة الصليب التى يحملونها » . (١)

● ويقول **القديس مار إفرآم السريانى** (٣٠٦ ـ ٣٧٣ م) : « بدلاً من أن تحمل سلاحاً أو شيئاً يحميك ، إحمل الصليب واطبع صورته على أعضائك وقلبك ، وارسم به ذاتك لا بتحريك اليد فقط بل ليكن برسم الذهن والفكر أيضاً ارسمه فى كل مناسبة : فى دخولك وخروجك، فى جلوسك وقيامك ، فى نومك وفى عملك ، ارسمه باسم الآب والابن والروح القدس » . (٢)

● ويقول **القديس العظيم الأنبا أنطونيوس** (٢٥١ ـ ٣٥٦ م) : « إن الشياطين توجه هجماتها المنظورة إلى الجبناء ، فارسموا أنفسكم بعلامة الصليب بشجاعة ودعوا هؤلاء يسخرون من ذواتهم . أما أنتم فتحصنوا بعلامة الصليب » . (٣)

ـ ويقول **القديس يعقوب الرسول** فى القداس الذى وضعه : « وليلبس (الكاهن) ثوبه البراق ويقف بجوار المذبح ويصنع رشماً بالصليب على جبهته بيده أمام كل الشعب ، ويقول نعمة الله القادر على كل شىء ومحبة ربنا يسوع المسيح وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم» . (٤)

✥ استخدام رشم الصليب أثناء الاستشهاد من قبل الشهداء :

وكان **القديس كبريانوس** (٢٠٠ ـ ٢٥٨ م) يشجع الشهداء ليحتملوا العذاب قائلاً : « اجعلوا وجوهكم تتقوى بالصليب» . (٥)

ـ ويقول أيضاً : « الوجه الذى تقدس بعلامة الله لا ينحنى للشيطان ، ولكنه يحفظ نفسه لإكليل الرب » . (٦)

ـ ويذكر **المؤرخ ثيؤدوريت** (٣٩٣ ـ ٤٢٨ م) : « ولم يشرب (الشهيد) الكأس قبل أن يصنع علامة الخلاص (الصليب) » . (٧)

---

(١) نيافة الأنبا يوأنس (المتنيح) : المسيحية والصليب ، ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع الأسبق ، ص ١٠٠ .

(4) A.N.F., Vol 1.

(5) Epp. S6 , s8 ch. 6.

(6) Dc lops . ch 2 tom . 1121.

(7) Div . instit : , Book iv . ch xxCll , ANF . vol . VII.

✤ **استخدام علامة الصليب فى إخراج الشياطين وإبطال السحر وعمل المعجزات :**

● يقول **المدافع المسيحى لكتانتيوس** : « يكفينا الآن أن نوضح القوة الفعالة العظيمة التى لعلامة الصليب ، وكيف أن هذه العلامة أصبحت فزعاً للشياطين ، لأنه كما أن المسيح عندما كان عائشاً يطرد الشياطين بكلمته ويعيد للمرضى والمنزعجين والمجانين صحتهم وحواسهم التى أفسدتها الشياطين بهجماتهم الخطيرة ، والتى اندست داخل أجسادهم . كذلك الآن فإن أتباع المسيح يُخرجون هذه الأرواح النجسة من الناس باسم المسيح وبعلامة الصليب ... فتخرج معذبة مصروعة معترفة أنها شياطين ومستسلمة لمصيرها بيد الله .

ولكن الشياطين لا تجرؤ أن تقترب من المسيحيين ، حينما ترى فيهم هذه العلامة السماوية (الصليب) التى تصير لهم كسور منيع يحميهم » . (١)

● ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ - ٣٧٣ م) : « ومن يريد أن يختبر هذا عملياً فليأتى وينظر ، كيف يبطل خداع الشياطين والعرافة الكاذبة وعجائب السحر ، بمجرد رشم الصليب ، فالشياطين تلوذ بالفرار » . (٢)

● ويقول أيضاً **القديس أثناسيوس الرسولى** : « والشياطين لم تعد تضل الناس بعد بخداعها وعرافتها الكاذبة وسحرها ، فإن هى تجرأت وأقدمت على ذلك ، فإنها تضبط بالخزى والفضيحة بواسطة الصليب » . (٣)

● ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧ م) : «هذه العلامة المقدسة منذ أيام آبائنا حتى اليوم أبطلت مفعول السموم ، وحلت قوة العقاقير ، وشفت عضة الوحوش السامة» . (٤)

● وجاء فى **سيرة الأنبا أنطونيوس للقديس أثناسيوس** : « قدم أنبا أنطونيوس بعض المرضى المعذبين من الأرواح النجسة إلى بعض فلاسفة الهراطقة قائلاً لهم : هل تستطيعون تطهيرهم بالحجج أو بأى فن أو سحر تختارون داعين أصنامكم ؟ وإلا كفوا عن منازعتنا ، إن عجزتم ، وعندئذ ترون قوة صليب المسيح . قال هذا ودعا المسيح ورشم المرضى ثلاث مرات بعلامة الصليب ، وفى الحال قام الرجال أصحاء وعقلهم سليم ، وقدموا الشكر للرب فى نفس اللحظة » . (٥)

---

(١) نيافة (المتنيح) الأنبا يوأنس أسقف الغربية : المسيحية والصليب ، ص ٩٩ .

(٢) القديس أثناسيوس الرسولى : تجسد الكلمة ، فصل ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، فصل ٤٧ .

(4) On Matt ., Hom . LIV.

(٥) سيرة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس للقديس أثناسيوس الرسولى .

● ويقول **القديس أنطونيوس أيضاً** : «حيث وجدت إشارة الصليب ، ضعف السحر وتلاشت قوة العرافة » .

✣ وقصص تاريخ الكنيسة تبرهن على فاعلية علامة الصليب [1] :

● فى قصة استشهاد الشهيد مارجرجس المعروفة :

استعان الملك دقلديانوس بساحر يدعى أثناسيوس ، وجهز لهم مشروبين فى كأسين الكأس الأولى أقل قوة من الثانية . بحيث لو شرب الكأس الأولى وأظهر خضوعاً ، لا يموت . وإلا فليشرب الكأس الثانية وبها سم قاتل ... لكن مار جرجس شرب الكأس الأولى بعد أن رشم عليها علامة الصليب بيده ، فلبث كما هو . فقال السحرة للملك : إن هذه العلامة ليست سوى السحر بعينه . فربطوا يدى الشهيد خلف ظهره وقدموا له كأس السم الثانية ليشربها . أما هو فقال لهم مشيراً برأسه أتريدونى أن أشربها من هنا أم من هنا أم من هنا أم من هنا... وكان بذلك يرشم علامة الصليب برأسه دون أن يفطنوا لذلك . ثم شربها فلم يقتله السم ... وكان هذا سبباً فى إيمان الساحر أثناسيوس .

● وفى قصة القديس الأنبا برسوم العريان :

وهو ابن كاتم سر شجرة الدر ، يذكر أنه توحد فى مغارة خارج مصر القديمة لمدة خمس سنوات ، ثم ترك المغارة وقصد كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة ليسكن فى حجرة بها أشبه بالمغارة منخفضة عن سطح الأرض ، وحينما دخلها لأول مرة وجد بها ثعباناً ضخماً فرسم نفسه بعلامة الصليب ، وكذا على الثعبان ، وردد مزمور داود « تطأ الأفعى وملك الحيات ، تسحق الأسد والتنين » ... ولبد الثعبان فى ركن بالمغارة ، ثم قال له القديس : «من الآن تكف عن إيذاء الناس وتخضع لى للسطان الذى منحه إياى ربى عليك» . وقد خضع الثعبان بالفعل ، وعاش مع القديس فى هذه المغارة ٢٠ سنة .

● وهناك كاهن معاصر يدعى أبونا ابراهيم كان على كنيسة بلدة بنى صامت قرب بنى مزار :

كان شيخاً قديساً وعمره طويلاً وتنيح منذ (عدة) سنوات ... وقد روى لى بنفسه هذه القصة ... غادر بلدته قاصداً القاهرة وقد حمَّله بعض الناس مبالغ لتوصيلها لذويهم بالقاهرة . وركب قطار السكة الحديد وفشل أحد النشالين فى سرقته وما أن وصل لمحطة القاهرة حتى استوقفه شخصان وقبلا يديه وشددا عليه أن يمضى الليلة معهما فى منزلهما فذهب معهما . وتناول العشاء ودخل إلى غرفة وأغلق الباب ورشم بيده علامة الصليب على الباب والنوافذ

---

(١) نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربية (المتنيح) : المسيحية والصليب ، ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

وهو يقول : « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » ... ونام ليلته . وفى الصباح قام وفتح باب حجرته وإذا بالشخصين اللذين استضافاه يسجدان تحت قدميه وهما يقولان له : « سامحنا يا أبونا » . فكان جوابه : « أسامحكم !!! مش كتر خيركم إنكم بيتونى وتناولت العشاء وشربت الشاى »... قالا له : « إحنا أتينا بك هنا لنسرقك وانتظرنا عليك حتى تنام . وكنا كلما اقتربنا من الحجرة نرى سيفاً من النار على الباب فلا نستطيع الدخول ... وكان هذا الأب بسيطاً جداً .

● **وفى قصة حياة البابا متاؤس البطريرك ٨٧ :**

أتاه يوماً أحد كتبة ديوان السلطان برقوق وهو مضطرب وقدم له ٥٠٠ دينار وقال له : « يا رجل الله تقبل منى هذا المال وصلى من أجلى ، لأن السلطان برقوق يريد قتلى اليوم ولا أجد مخرجاً من هذه الورطة » . أجاب البابا : « احتفظ بذهبك لنفسك لأن الصلاة التى بالذهب لا قيمة لها . وإن أردت أن تخلص أعد الذهب إلى مكانه وخذ صليبى ومنديلى معك وادخل بهما إلى حضرة السلطان » . ثم صلى على رأس الرجل وأعطاه الصليب والمنديل . وأطاع الكاتب أمر البابا ، وذهب إلى السلطان الذى كان فى شدة الغضب . ولكن ما أن رأى كاتبه حتى هدأت نفسه وأصغى إليه . لقد حدث تحول عجيب لم يكن يعرف سره إلا الكاتب والبابا متاؤس.

سادساً : الرد على أسئلة وإدعاءات

١ - هل تقديم البخور أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

الــرد :

١ - قانونية تقديم البخور فى أماكن العبادة :

أ - أمر الله **موسى** أن يقام مذبح خاص لإيقاد البخور فى خيمة الاجتماع ، وأمر بتقديم البخور عليه دائماً ، كما نهى الشعب عن استعمال البخور فى غير العبادة . (خر ٣٠)

ب - ونفس الأمر كان فى **هيكل أورشليم العظيم** الذى بناه سليمان . (لو ١ : ٩ - ١١)

ج - وتنبأ **ملاخى النبى** عن تقديم البخور فى كنيسة العهد الجديد وقال : « فى كل مكان يقرب لاسمى بخور ... لأن اسمى عظيم بين الأمم » . (ملا ١ : ١١)

د - وعند **ميلاد الرب يسوع** قدم المجوس له هداياهم التى تضمنت اللبان « البخور » (مت ٢ : ١١) وكان هذا علامة على امتداد تقديم البخور فى كنيسة العهد الجديد .

هـ - وأشار **يوحنا الرائى** أيضاً إلى تقديم البخور فى الكنيسة السماوية فقال :

- « خرت أربعة الحيوانات والأربعة والعشرون قسيساً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين » . (رؤ ٥ : ٨)

- «وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مجمرة من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين على مذبح الذهب الذى أمام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » . (رؤ ٨ : ٣ ، ٤)

و - وجاء فى **الدسقولية**: « ويحمل الأسقف البخور ويدور به حول المذبح ثلاث دفعات تمجيداً للثالوث القدوس ، ثم يدفع مجمرة البخور للقس فيدور بها على الشعب كله » .

(دسقولية باب ٣٨)

٢ - رمزية تقديم البخور :

● **تقديم البخور فى الكنيسة يشير إلى :**

- **حضرة الله وسط شعبه :** فالله كان يكلم الشعب فى القديم من وسط الدخان والأبخرة والسحاب (خر ١٩ : ١٨) ، وحين أتم سليمان بناء الهيكل وفى يوم تدشينه ملأ السحاب بيت الرب ، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا لأن مجد الرب ملأ البيت ووقف سليمان وقال : « قال الرب إنه يسكن فى الضباب » . (١ مل ٨ : ١٠ - ١٢)

- **تطهير الشعب الواقف للصلاة :** عندما قال الله لموسى إنه مزمع أن يفنى الشعب بسبب خطاياهم قال موسى لهرون : « خذ المجمرة واجعل فيها ناراً على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة » . وفعلاً عمل هارون هذا ... فامتنع الوباء فقبل الله الباقين ولم يفنهم . (عد ١٦ : ٤٤ - ٤٧)

٣ - التبخير فى الطقس القبطى :

● تقديم البخور فى الطقس القبطى له ترتيب خاص فالكاهن فى القداس الإلهى يبخر أولاً أمام المذبح وحوله ، ثم عند باب الهيكل فى الجهات الأربع ، ثم أمام الإنجيل ، ثم أمام رفات القديسين ، ثم قدام الأسقف ، ويقبل يدى الكهنة زملائه ، ثم ينزل أخيراً ويبخر فى وسط الشعب ، ثم يعود مرة أخرى إلى الهيكل .

- وتقديم البخور فوق المذبح وأمامه ، إشارة إلى تقديس المكان وحلول الرب فيه .

- وتقديم البخور للإنجيل ، إشارة إلى كرامة وتوقير كلمة الله .

- وتقديم البخور أمام رفات وأيقونات القديسين ، إشارة إلى الشركة مع السمائيين فى الصلاة

من جهة ، وللإكرام والتقدير من جهة أخرى .

ـ وتقديم البخور للأساقفة للشركة فى الصلاة كذلك ، وأيضاً للإكرام والتقدير.

ـ وتقديم البخور إلى الكهنة يراد به اشتراكهم جميعاً فى تقديم البخور لله ، ولذلك يُسمى (شركة البخور) .

ـ والمرور بالبخور وسط الشعب للبركة من جهة ، ولرفع صلواتهم والعودة بها إلى المذبح من جهة ثانية ، و لأخذ الاعترافات السريعة من الجهة الثالثة .

٤ ـ التبخير أمام الصليب :

● ينبغى أن يكون هذا الأمر واضحاً عند كل أحد ، وهو أن البخور يقدم فقط أمام خشبة الصليب الحقيقية التى تخضبت بدم المسيح ، أو أمام أيقونة الصليب المدشنة بالميرون المقدس.

والتبخير أمام هذه أو تلك يحمل المعانى الروحية الآتية :

١ ـ يذكرنا إحراق البخور أمام الصليب بذبيحة المحرقة التى قدمها السيد المسيح على الصليب ، إذ كانت ذبيحة المحرقة تقدم بكاملها مثل حبات البخور التى تُحرق بكاملها . ويقول المرنم : « كالماء انسكبت ... صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط أمعائى » . (مز ٢٢ : ١٤)

٢ ـ وتذكرنا رائحة البخور الذكية أمام الصليب برائحة ذبيحة المسيح الذكية ... الذبيحة المقبولة أمام الآب و .. الذبيحة التى بلا عيب والتى اشتمها الآب وقت المساء فى الجلجثة « ذبيحة الله رائحة طيبة » . (أف ٥ : ٢)

٣ ـ وتشير حلقات البخور الصاعدة إلى أعلى أمام الصليب إلى :

ـ ذبيحة السيد المسيح التى أصعدت هكذا إلى السماء :

« هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا ، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة » كما تقول الكنيسة فى لحن : « فاى إيتاف إنف » .

ـ كما تشير إلى أنه حينما عُلق المسيح هكذا على الصليب بين السماء والأرض أتم الفداء ، وفتح باب السماء ، وصالح الأرضيين مع السمائيين ، تماماً مثل حلقات البخور الواصلة بين الأرض والسماء .

إذن ليس التبخير أمام الصليب هو لون من ألوان العبادة بل هو : عبادة للمصلوب وإكرام وتقدير للصليب من أجل المصلوب عليه . تماماً مثل علم الدولة الذى يمثل الدولة فحينما ينحنى أحد ليقبل العلم فهو بطبيعة الحال لا يقدم التعظيم للقماش ولكن للدولة لأن هذا القماش (العلم) يمثل هيبة الدولة .

٤ ـ كما أن التبخير أمام الصليب يذكرنا بالمعانى الروحية الهامة المتعلقة بالصليب وما تم عليه ،

والتى ذكرناها من قبل .

٢ـ هل إيقاد الشموع والأنوار أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

الـــرد :

١ـ قانونية إيقاد الأنوار فى الكنيسة :

ـ أمر الله موسى أن توقد المناير فى خيمة الاجتماع أمام مائدة البخور ، وخبز الوجوه . (خر ٢٧ : ٢٠)

ـ كما أمر أيضاً باستخدام الأنوار فى هيكل سليمان . (٢ أخ ٤ : ٢٠)

ـ وجاءت كنيسة العهد الجديد فسارت على نفس النظام .

ـ فالتقليد يذكر أن السيد المسيح عمل العشاء السرى ليلاً وكانت الشموع والمسارج تضئ العلية .

ـ وجاء فى سفر الأعمال أن التلاميذ كانوا مجتمعين لكسر الخبز فأطال بولس الكلام إلى نصف الليل ، وكانت مصابيح كثيرة فى العلية التى كانوا بها . (أع ٢٠ : ٧ ، ٨)

ـ وجاء فى **الدسقولية** : « يجب أن تكون الكنيسة مُنارة بأنوار كثيرة مثل السماء ولاسيما عند قراءة فصول الكتب الإلهية » . (باب ٣٥)

ـ وأشار **القديس غريغوريوس النزيانزى** (٣٢٩ ـ ٣٩٠ م) : إلى أن استعمال الشموع والقناديل كان من جملة الطقوس المُستعملة فى الكنيسة عند مباشرة الأسرار . (١)

٢ـ غاية استعمال الأنوار فى الكنيسة :

ـ الأنوار تُشير إلى حضرة الله الساكن فى نور لا يدنى منه . (١ تى ٦ : ١٦)

ـ وأيضاً تُشير إلى عظمة ومجد الله المتسربل بالمجد والجلال ... (مز ٩٣ : ١) الماسك السبعة كواكب (رؤ ٢ : ١) والذى أمام عرشه سبعة مصابيح نار . (رؤ ٤ : ٥)

ـ وأيضاً تُشير إلى كلمة الله : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » . (مز ١١٩ : ١٠٥)

ـ وأيضاً تُشير إلى عمل السيد المسيح الذى أضاء على الجالسين فى الظلمة فهو النور الحقيقى الذى يُنير لكل إنسان . (يو ١ : ٩)

ـ وأيضاً تُشير إلى تجلى السيد المسيح وسط كنيسته ، فالسيد المسيح لما تجلى على الجبل كان وجهه مُضيئاً كالشمس وثيابه بيضاء كالنور . (مت ١٧ : ٢)

ـ وأيضاً تُشير إلى السماء المنيرة حيث إن الكنيسة تمثل السماء على الأرض .

(١) القمص يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة ، جـ ١ ، الباب ١ ، ف ١٨.

- وأيضاً تُشير إلى وجود الملائكة في المكان فهم نار ملتهبة . (عب ١ : ٧)
- والأنوار تذكرنا بالقديسين الذين يُضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم . (مت ١٣ : ٤٣)
- والأنوار تذكرنا أيضاً بدورنا فى العالم فقد قال المسيح : « أنتم نور العالم » . (مت ٥ : ١٤)

٣- المعانى الروحية من استعمال الأنوار فى العبادة فى الكنيسة

✣ إضاءة الأنوار قدام الذبيحة :

- للدلالة على سمو ومجد وجلال ذبيحة العهد الجديد .
- للدلالة على نور المسيح الذى يشرق من خلال الذبيحة .

✣ إضاءة الأنوار وقت قراءة الكتب الكنسية :

- للدلالة على نور الإنجيل الذى سطع على كل أقطار المسكونة . (٢ كو ٤ : ٤)
- للدلالة على أن كلام الله هو نور : « الوصية مصباح والشريعة نور » . (أم ٦ : ٢٣)
- قال **القديس إيرونيموس** (٣٣١ - ٤٢٠ م) : « إن الكنيسة تضئ الأنوار وقت الإنجيل إظهاراً بفرحها بالبشارة التى سمعناها من الإنجيل عن يسوع نور العالم » .(١)

✣ إضاءة قنديل الشرق الدائم المعلق فى الشرقية :

- يُشير إلى النجم الذى قاد المجوس فى المشرق ليلاً ونهاراً . (مت ٢ : ٩)

✣ إضاءة الشموع أمام أيقونات القديسين :

- للدلالة على كونهم نور العالم . (مت ٥ : ١٤)
- وللدلالة على أنهم كواكب مضيئة فى سماء الكنيسة . (دا ١٢ : ٣)

✣ مسك الشمامسة للشموع المضيئة :

- مسك الشمامسة للشموع المضيئة ووقوفهم حول الكاهن يشير إلى الخمس عذارى الحكيمات وهن يحملن المصابيح المضيئة ويستقبلن العريس .

٤- مواد الإنارة فى الكنيسة :

- كانت الكنائس الأولى تُضاء بالقناديل الزيتية أو بالشموع ، وحالياً تُضاء الكنائس بالمصابيح الكهربائية إلى جانب هذه .

✝ القناديل أو السرج :

- كانت تُصنع من الزجاج المنقوش أو من المعدن .

(١) المرجع السابق .

● ولابد أن يُستخدم زيت الزيتون فقط كوقود لها ، فقد أمر الله موسى باستخدام هذا الزيت دون غيره وذلك لنقاوته : « وأنت تأمر بنى إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقياً لإصعاد السرج دائماً » . (خر ٢٧ : ٢٠)

- والزيت يُشير إلى الأعمال الصالحة التى هى ثمرة الروح القدس داخل الإنسان .
- والزيتون هو رمز السلام فهو يعبر عن طبيعة إله الكنيسة رئيس السلام .

✝ الشموع :

● من خواص الشمع أنه :

- يعطى ضوءاً هادئاً : دلالة على الخشوع والوداعة .
- يحتاج إلى مصدر خارجى للإضاءة : دلالة على حاجته للمصدر الحقيقى للنور.
- يحترق ويذوب لينير للآخرين : دلالة على البذل والتضحية .
- له لون أبيض : دلالة على النقاوة والطهارة .
- الفتيلة الداخلية هى التى تُضئ : دلالة على أهمية الحياة الداخلية .

● واختارت الكنيسة الشمع النحلى دون غيره :

- لنقاوة وبهاء نوره .
- لخلوه من الدهون والشحوم الدسمة ذات الرائحة الكريهة .
- ولأن النحل ينتجه من النباتات والزهور المتنوعة ذات الرائحة العطرية ، وهذا يُشير إلى الفضائل المتنوعة التى يجب أن يتحلى بها المؤمنون .

● ملاحظات طقسية :

- يجب أن تُضاء الكنيسة كلها أثناء القداس ، حتى فى النهار.
- تزاد الإضاءة فى أوقات مُعينة من القداس مثل عند قراءة الإنجيل ، والتقديس ، والتناول .
- لا يغنى استعمال الضوء الكهربى عن استخدام الشموع سواء بالمذبح أو خارجه لما لاستخدامها من معان روحية .

٥- إيقاد الشموع أمام الصليب يحمل معان روحية عديدة :

والآن لنتوقف قليلاً عند المعانى الروحية التى يعنيها إيقاد الشموع أمام الصليب :

١ - إيقاد الشموع أمام الصليب لا يمكن أن يكون لوناً من ألوان العبادة بل هو نوع من الاحترام والتوقير للصليب ، وبطبيعة الحال للمصلوب عليه ، وهو لون من التقدير للمعانى الروحية الجميلة التى تجلت فى صلب السيد المسيح .

٢ ـ وإيقاد الشموع أمام الصليب يذكرنا بالمسيح نور العالم الذى صُلب عليه ، وأشع فى العالم المظلم نوراً بعمله الفدائى العجيب .

وهذا ما يفعله الأب الكاهن فى صلاة : « إفنوتى ناى نان ـ اللهم ارحمنا » التى يصليها فى رفع بخور عشية وباكر وكثير من خدمات الكنيسة الأخرى إذ يضع ثلاثة شموع مضيئة على الصليب إشارة من جهة إلى أنه على الصليب استعلن بوضوح الثالوث القدوس الابن على الصليب يقدم نفسه ذبيحة والآب فى السماء يقبل الذبيحة والروح القدس يُصعد الذبيحة ، كما أن الثلاثة شموع المضيئة تُشير من جهة أخرى إلى الله النور الحقيقى الذى أشع بنوره للبشر وأنار لهم الحياة بعمله الفدائى العجيب على الصليب .

٣ ـ كما نتذكر بالشموع المضيئة أمام الصليب أن السيد المسيح بذل حياته على الصليب ، مثل الشمعة التى تذوب وتحترق من أجل الإنارة للآخرين .

كل هذا نتذكره بإنارة الشموع أمام الصليب .. فلسنا إذن نعبد الصليب بل نكرمه ونوقره ، من أجل ما تم عليه من أحداث ، وما هو حامله فى طياته من بركات وقوى غير منظورة .

٣ ـ هل السجود أمام الصليب هو لون من العبادة ؟

الــرد :

السجود هو على ثلاثة أنواع :

١ ـ السجود لله وهو للعبادة :

● عن هذا الأمر قال السيد المسيح مؤكداً شريعة العهد القديم :

« مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » . (مت ٤ : ١٠) ويُقصد بالسجود لله العبادة من المخلوق للخالق ، وإليك بعض الأمثلة :

ـ جاء عن لعازر الدمشقى خادم إبراهيم : « فخر الرجل وسجد للرب » . (تك ٢٤ : ٢٦)

ـ وقال هو : « وخررت وسجدت للرب وباركت الرب » . (تك ٢٤ : ٤٨)

ـ ويقول المرنم : « أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة ، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية : ويسجد كل الملوك . كل الأمم تتعبد له » . (مز ٧٢ : ٩ ـ ١٢)

ـ وجاء فى الإنجيل بحسب القديس متى : « وفيما هو (يسوع) يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً : إن ابنتى الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا » . (مت ٩ : ١٨)

ـ وقال السيد المسيح للمرأة السامرية : « الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغى

أن يسجدوا » . (يو ٤ : ٢٠ـ ٢٥)

٢ ـ السجود لأشخاص من البشر والملائكة وهو للتوقير والاحترام :

● ويُقصد به الإكرام ، وهو غير سجود العبادة الذى يُقدم لله فقط ، وإليك بعض الأمثلة الكتابية :

ـ فقال (يوسف) : « إنى حلمت حلماً أيضاً وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لى . وقصه على أبيه وعلى إخوته . فانتهره أبوه وقال له : ما هذا الحلم الذى حلمت هل نأتى أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض » . (تك ٣٧ : ١٠)

ـ « ثم رفع (عيسو) عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال : ما هؤلاء منك!! فقال : الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك . فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما وسجدتا . فقال ماذا منك كل هذا الجيش الذى صادفته !! فقال : لأجد نعمة فى عينى سيدى» . (تك ٣٣ : ٥ ـ ٨)

ـ « فأرسل الملك سليمان فأنزله (أدونيا) عن المذبح فأتى وسجد للملك سليمان فقال له سليمان : اذهب إلى بيتك » . (١ مل ١ : ٥٣)

ـ « فدخلت بتشبع إلى الملك سليمان لتتكلم عن أدونيا . فقام الملك للقائها وسجد لها وجلس على كرسيه ووضع كرسياً لأم الملك فجلست عن يمينه » . (١ مل ٢ : ١٩)

ـ « حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور » . (دا ٢ : ٤٦)

ـ وسجود لملائكة مثل سجود لوط للملاكين فى سدوم . (تك ١٩ : ١)

وهكذا نجد أن السجود بغرض التوقير والاحترام هو أمر متكرر فى كثير من المواقف الكتابية .

● **لا يتنافى سجود الإكرام للقديسين مع السجود لله :**

ـ لا يتنافى سجود الإكرام الذى يُقدم للقديسين مع سجود العبادة الذى يُقدم لله وحده ، ومثال هذا ما حدث مع داود النبى : « ثم قال داود لكل الجماعة باركوا الرب إلهكم . فبارك كل الجماعة الرب إله آبائهم وخروا وسجدوا للرب والملك » . (١ أى ٢٩ : ٢٠)

هنا سجد الشعب للرب سجود العبادة ، وسجدوا للملك سجود التوقير والاحترام ، إذن لا تعارض بينهما .

٣ ـ السجود لأماكن وأشياء مقدسة وهو أيضاً للاحترام والتوقير :

مثل أن يسجد الإنسان أمام الهيكل أو المذبح ، أو لخشبة الصليب المقدسة ، أو مثلما كانوا يسجدون فى القديم أمام تابوت العهد .

ـ السجود أمام الهيكل :

ـ « أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك وأسجد قدام هيكلك المقدس » . (مز ٥ : ٧)

ـ « أمام الملائكة أرتل لك وأسجد قدام هيكلك المقدس » . (مز ١٣٧)

ـ السجود أمام تابوت الشهادة :

ـ « وسقط يشوع على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل » . (يش ٧ : ٦)

ـ والسجود للهيكل هو سجود لرب الهيكل وصاحبه .

ـ والسجود أمام تابوت العهد هو سجود للإله الحال فى التابوت.

ـ والسجود لجزء من خشبة الصليب المقدسة هو هكذا أيضاً سجود للمصلوب عليه .

عزيزى القارئ التفت جيداً للكلام الآتى فإن فيه رد كافٍ على السؤال السابق :

ـ قال السيد المسيح للكتبة والفريسيين :

« ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجُهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يُقدس الذهب . ومن حلف بالمذبح فليس بشىء ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم . أيها الجُهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذى يُقدس القربان فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه » . (مت ٢٣ : ١٦ ـ ٢٢)

● أخى الحبيب هل فهمت كلام السيد المسيح هذا جيداً ؟ أضع بعض العبارات مرة أخرى أمامك لتستوعب ما قصده السيد المسيح :

ـ من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه .

ـ من حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه .

ـ ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه .

اسمح لى أن أكمل لك بكل سلاسة ويسر نفس الفكرة فأقول :

ـ زمن حلف بالصليب فقد حلف به وبمن صُلب عليه .

ـ ومن سجد للصليب فقد سجد للصليب وبمن صُلب عليه .

ـ ومن يُكرم الصليب فقد أكرم الصليب ومن صُلب عليه .

● يقول **الأب يوحنا الدمشقي**[1] : «اعلموا يا أحبائى أننا حينما نسجد للصليب فنحن نسجد للمصلوب وليس للخشب ، وإلا كنا ملزمين أن نسجد لكل شجرة فى الطريق .
إن الصليب والأيقونات ليست آلهة نعبدها وإنما هى تدعونا لعبادة الإله الحى وحده» . [2]

٤ ـ هل إنشاد التسابيح والتماجيد وإلقاء التحية (السلام) إلى خشبة الصليب هو لون من العبادة ؟

● يقول أحد المعترضين على عقائد وطقوس الكنيسة الأرثوذكسية إن إنشاد التسابيح وإلقاء التحية (السلام) إلى خشبة الصليب إنما هو لون من العبادة ، ويستند على اللحن الآتى ليدلل على صدق منطقه :

« أيها المؤمنون فلنسبح الرب يسوع ونسجد لصليبه الخشبة المقدسة غير المائتة .. نفخر بك أيها الصليب الذى صُلب عليك يسوع لأنه من قبل مثالك صرنا أحراراً .. نحملك على أعناقنا أيها الصليب ناصر المسيحيين وبشجاعة نصرخ جهاراً : السلام لك أيها الصليب » .
(ذكصولوجية عيد الصليب)

الــرد :

هذه الكلمات هى موجهة لصليب السيد المسيح الفعلى الذى صُلب عليه ، وتخضبت خشبته بدمه الكريم .

ولنشرح النص معاً لنرى هل فى كلماته ما يشير إلى عبادة للصليب ؟

ـ أيها المؤمنون فلنسبح الرب يسوع :

إذن فاللحن يبدأ بإعطاء المجد والتسبيح للرب يسوع . وهذا هو منهج الكنيسة دائماً .. وهو المنهج الأرثوذكسى الأصيل إعطاء المجد أولاً لله ، فى كل الممارسات والطقوس الكنسية .

ـ ونسجد لصليبه :

وهنا السجود لخشبة الصليب الفعلية التى مات عليها السيد المسيح وليس لأى خشبة أخرى ، فالصليب منسوب للمسيح (صليبه) إذن فنحن لا نعرف الصليب بعيداً عن المسيح ... والصليب بدون المسيح لا معنى له ، فالمسيح هو الذى أعطى الصليب قيمته ومعناه بصلبه عليه ... نسجد لصليبه أى نعطيه التوقير والاحترام والتقدير ، وهذا من أجل المصلوب عليه ، ومن أجل الدم الكريم الذى سال عليه وخضبه .

---

(١) من آباء كنيسة الروم الأرثوذكس بسوريا فى القرن الثامن الميلادى .
(٢) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٩٩ .

- الخشبة المقدسة غير المائتة :

نعم فهو الخشبة المقدسة التى تقدست بدم المسيح المنسكب عليها ، والمعطى حياة للعالم كله ... نعم لقد تخضبت الخشبة بدمه وعرقه ، فكيف لا تكون مقدسة !!!

ثم هى مصدر قوة وينبوع خيرات ...

انظر حين لمست المرأة نازفة الدم هدب ثوب المسيح شفيت ، وكان هدب ثوب المسيح مصدر شفاء ، فهل تستصعب أن يكون صليب المسيح الذى تخضب بدمه ينبوع خيرات وبركات وحياة لمن يؤمن به وبفاعليته ، وليس بطبيعة الحال لمنكريه وجاحديه ؟؟

- نفتخر بك أيها الصليب الذى صلب عليك يسوع :

ماذا فى هذه الكلمات يشير إلى عبادة الصليب من قريب أو بعيد ؟

أليس هذا هو الحق الكتابى ، كما أعلنه **القديس بولس الرسول** قائلاً : « حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » . (غل ٦ : ١٤)

أم أن المعترض ينكر - ضمن ما ينكر - كلام القديس بولس الرسول أيضاً ، ولا يعجبه كلام الوحى المقدس أيضاً !!! ولا يقبل أن يفتخر بالصليب .

- لأنه من قبل مثالك صرنا أحراراً :

نعم بواسطة صليبك أيها المسيح ، عن طريق صليبك الذى اتخذته أداة لإتمام الفداء صرنا أحراراً من سلطان إبليس ومن سلطان الموت ، فقد مزقت الصك المكتوب علينا فى الفرائض على الصليب ، فنلنا الحرية .

- نحملك على أعناقنا :

نعم فالمسيحى الأرثوذكسى الذى يقدر قيمة العمل الذى قام به السيد المسيح على الصليب يفخر بالصليب ، ويعلقه على صدره ويضعه على مكتبه وعلى جدران بيته ، ويبدأ بهذه العلامة المقدسة كل أعماله ، ألم يسجل هذا الأمر **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ - ٢٢٠ م) إذ رصد هذه الظاهرة وسجل انتشار استخدام هذه العلامة من قبل كل المسيحيين فى القرن الثانى الميلادى فى كل مكان - كما سبق أن ذكرت .

- أيها الصليب ناصر المسيحيين : ..

نعم فالصليب هو أحد أسلحة النصرة التى يستخدمها المؤمن فى حربه مع الشيطان وجنوده ... وإن كنت أيها المعترض فى شك من هذا :

فاسأل الشياطين والأرواح النجسة التى تخرج برشم هذه العلامة .

اسأل التاريخ يا أخى .. اسأل الشهيد مار جرجس ، الذى انتصر به على السم .
اسأل القديس أنطونيوس ، الذى أوقف به الحيوانات المتوحشة .
اسأل الأنبا برسوم العريان ، الذى تحكم به فى الثعبان الكبير فى مغارته .
اسأل الملك قسطنطين ، الذى رأى هذه العلامة المقدسة تملأ السماء أمامه ، وسمع صوتاً يقول له : « بهذا تغلب » .

ـ وبشجاعة نصرخ جهاراً السلام لك أيها الصليب :

نعم بشجاعة نشهد للصليب فلسنا ننكره أو نخاف من أحد ممن ينكرونه ، نعم نصرخ جهراً ودائماً ، نصرخ بفرح وتقدير ، نصرخ باحترام وإكرام : « السلام لك أيها الصليب » .

٥ ـ ماذا تعنى واقعة سحق الحية النحاسية من قبل حزقيا الملك فى العهد القديم؟

ـ جاء فى سفر الملوك الثانى : « وفى السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا . كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك تسعاً وعشرين سنة فى أورشليم . واسم أمه أبى ابنة زكريا . وعمل المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه . هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان . على الرب إله إسرائيل أتكل وبعده لم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولا فى الذين كانوا قبله . والتصق بالرب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه التى أمر بها الرب موسى . وكان الرب معه وحيثما كان يخرج كان ينجح وعصى على ملك أشور ولم يتعبد له » . (٢ مل ١٨ : ١ ـ ٧)

يستند المعترض على الواقعة السابقة ليبرهن على ضرورة سحق الصلبان التى انحرف الأرثوذكس فعبدوها ، مثلما انحرف اليهود فى القديم وعبدوا الحية النحاسية التى قام حزقيا الملك بسحقها .

الـرد :

● نعم لقد انحرف بنو اسرائيل فى هذه الواقعة ـ كما انحرفوا من قبل بصناعة العجل الذهبى ـ وعبدوا الحية النحاسية وشخصوها وأعطوها اسماً « نحشتان » أى شخصوها وتعاملوا معها كشخص ، فقام الملك حزقيا وحطم الأصنام التى عبدوها وحطم ضمن ما حطم الحية النحاسية أيضاً التى عبدوها .
فأين نحن ـ الكنيسة الأرثوذكسية ـ من هذا كله ؟
هل نحن شخصنا الصليب وأعطيناه اسماً كشخص ؟

هل نحن عبدنا الصليب واتخذناه إلهاً وتركنا الإله الحقيقى ؟
بالطبع لا فنحن لم نعبد الصليب فى أى وقت من الأوقات ، فنحن نحترمه ونوقره من أجل المصلوب عليه ، والبركات المنسكبة منه بفاعلية الفعل الذى تم عليه وهو الفداء العظيم .

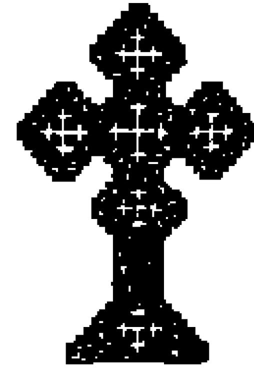
٦. هل حينما نسمى (باسم الصليب) فى طقوسنا فنحن نشرك بالمسيح إلهاً آخر نعبده إلى جانبه ؟

الرد :

● عجبى على هذا المنطق فى التفكير ... فنحن نقول باسم مصر فهل نحن نعبد مصر إلى جانب الله ؟ ونقول باسم الإخوة فهل نحن نعبد الإخوة إلى جانب الله ؟ ونقول باسم الفن فهل نحن نعبد الفن إلى جانب الله ؟ ... إلى آخره .
حينما نسمى باسم الصليب فمن جهة نسمى باسم المصلوب عليه ، ومن جهة أخرى نطلب قوة الصليب التى أعلن لنا عنها القديس بولس إذ قال : « كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » . (١ كو ١ : ١٨)
لقد عرف الأرثوذكس قوة الصليب والنعم والبركات المنسكبة على الإنسان من مجرد ذكر اسم الصليب بإيمان فرددوا اسم الصليب كثيراً ، وهم يدركون جيداً أنهم لا يفصلون الصليب عن المصلوب عليه ، وأن فى ذكر الصليب ذكر للمصلوب عليه .

● **عزيزى القارئ : فى ختام هذا الفصل ، أضع أمامك هذه العبارات لتستوعبها جيداً :**

١ ـ نحن لا نعرف الصليب بعيداً عن المصلوب .
٢ ـ قيمة الصليب تنبع من المصلوب عليه .
٣ ـ نحن نُكرم الصليب ونوقره فقط ، ولكننا نعبد المصلوب عليه .
٤ ـ نحن نسجد فقط لخشبة الصليب التى صلب عليها السيد المسيح وليس لأى خشبة أخرى ، وكذلك نسجد لأيقونات الصليب المدشنة بالميرون المقدس .



الفصل الثانى

العذراء والقديسون

أولاً : عقيدة الشفاعة

ثانياً : إكرام السيدة العذراء مريم

ثالثاً : قانونية الاحتفال بالعذراء والشهداء والقديسين

رابعاً : الرد على أسئلة وإدعاءات :

١ - ادعُ الآن فهل لك من مجيب وإلى أى القديسين تلتفت (أى ٥ : ١) هل هذه الآية هى ضد الشفاعة ؟

٢ - هل نحن نتشفع بالعذراء والقديسين شفاعة كفارية ؟

٣ - هل الاحتفاظ برفات القديسين ومتعلقاتهم فى دور العبادة هو لون من العبادة ؟

٤ - هل إخفاء جسد موسى من قبل الله يعنى رفضه لإكرام رفات القديسين ؟

٥ - هل نحن نقدم الصدقات والصلوات والأصوام للقديسين وعلى رأسهم السيدة العذراء ؟

٦ - هل نحن نعبد العذراء مريم والقديسين فى صلوات الأجبية ؟

٧ - هل نحن نقدم التسبيح والتمجيد والتعظيم للقديسين بما يعنى عبادتهم ؟

٨ - هل فى قطعة «نعظمك يا أم النور الحقيقى» نعطى التعظيم للعذراء أكثر من السيد المسيح ؟

٩ - هل ظهورات القديسين هى عمل شيطانى ، وهل لم يذكر الكتاب المقدس أية ظهورات للملائكة أو قديسين ؟

أولاً : عقيدة الشفاعة

(١) أنواع الشفاعة

الشفاعة هى الوساطة وطلب المعونة ، ويوجد ثلاثة أنواع للشفاعة هى :

١ . شفاعة كفارية خاصة بالسيد المسيح :

● السيد المسيح وحده هو الذى يشفع دائماً فى المؤمنين لمغفرة خطاياهم ، باعتباره الكفارة التى نابت عن البشر فى دفع ثمن الخطية ، وهكذا يقف المسيح وسيطاً وحيداً وفريداً بين الآب والناس ، وفى هذا يقول **الكتاب المقدس** :

ـ « إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » . (١ يو ٢ : ١ ، ٢)

ـ « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس . الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » . (١ تى ٢ : ٥ ، ٦)

٢ . شفاعة الروح القدس :

● الروح القدس هو المحامى والمدافع عنا ، وهو أيضاً المعين والمعزى ، وهو يشفع فى صلواتنا بأنات لا ينطق بها :

ـ يقول **القديس بولس** : « وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » . (رو ٨ : ٢٦، ٢٧)

٣ . شفاعة توسلية خاصة بالملائكة والقديسين (١) :

● هى طلب صلاة الملائكة والقديسين من أجلنا أمام الله ، وهو أمر له سند كتابى :

ـ **فيعقوب الرسول** يوصينا : « صلوا بعضكم لأجل بعض » . (يع ٥ : ١٦)

ـ **وبولس الرسول** يقول لأهل تسالونيكى : « صلوا لأجلنا » . (٢ تس ٣ : ١)

ـ ويطلب نفس الطلبة من العبرانيين . (عب ١٣ : ١٨)

ـ ويقول لأهل أفسس : « مصلين بكل صلاة وطلبة ... لأجل جميع القديسين ولأجلى » . (أف ٦ : ١٨)

● فإن كان القديسون ـ مثل القديس بولس ـ يطلبون صلواتنا أفلا نطلب نحن صلواتهم ؟! وإن كنا نطلب الصلاة لأجلنا من البشر الأحياء الذين لا يزالون تحت الآلام مثلنا ، أفليس يليق

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : لاهوت مقارن جـ ١ ، ص ٦٥ ـ ٨٢ .

بالأحرى أن نطلبها من القديسين الذين أكملوا جهادهم وانتقلوا إلى الفردوس وهم الآن « يضيئون كالكواكب إلى أبد الدهور » . (دا ١٢ : ٣) ؟!

(٢) قانونية شفاعة القديسين

١ ـ دالة القديسين والأبرار عند الله :

✥ للقديسين والأبرار مكانة عظيمة عند الله ، وإليك بعض الأدلة :

● كان الله أحياناً يتسمى بأسماء القديسين فيقول: « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » . (خر ٣ : ٦)

● وكان الأنبياء والآباء يذكرون أسماء هؤلاء القديسين أمام الله ، ووعوده لهم ، حتى يشفق عليهم ، فمثلاً موسى النبى حينما وقف يشفع فى الشعب قال : « اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء » . (خر ٣٢ : ١٣)

● وجاء فى سفر الخروج فى قصة خروج شعب بنى إسرائيل من أرض مصر : « فذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر إلى إسرائيل » . (خر ٣ : ٦)

✥ وكان الله يصنع خيراً مع الناس من أجل قديسيه :

● لقد ذُكر أن الرب قال لإسحق : « لا تخف لأنى معك أباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى » . (تك ٢٦ : ٢٤)

● ولما أعلن الله أنه سيقسِّم المملكة بسبب خطية سليمان الملك قال له : « إلا أننى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها . على أنى لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطى سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدى » . (١ مل ١١ : ١٢ ، ١٣)

ـ ويكرر نفس الكلام مع يربعام : « ها أنذا أفرق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط . ويكون له سبط واحد من أجل داود عبدى » . (١ مل ١١ : ٣١ ، ٣٢)

ـ « ولا آخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيساً كل أيام حياته . لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى وفرائضى » . (١ مل ١١ : ٣٤)

وهكذا نرى أن الله يكرر عبارة (من أجل داود عبدى) ثلاث مرات فى أصحاح واحد .

● وخلص الله أورشليم من يد آشور إكراماً لداود عبده قائلاً : « وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى » . (٢ مل ١٩ : ٣٤)

● ولما ضايق حزائيل ملك آرام شعب بنى إسرائيل يقول الكتاب: « فحن الرب عليهم

ورحمهم والتفت إليهم لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب . ولم يشأ أن يستأصلهم وأن يطرحهم عن وجهه » . (٢ مل ١٣ : ٢٢ ، ٢٣)

✤ وكان الله يدافع عن أولاده :

● ووبخ الله هرون ومريم لما تكلما على موسى النبى ، ونزل فى عمود السحاب وقال لهما أمام موسى : « إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز . وشبه الرب يعاين فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى » . (عد ١٢ : ٥ ـ ٨)

✤ وأعطى الله قديسيه السلطان على عمل المعجزات :

● فالعهد القديم زاخر بقصص الأنبياء والقديسين الذين صنع الرب معهم أو بهم معجزات مثل : موسى ، وإيليا ، وإليشع ، ودانيال ، والثلاثة فتية وغيرهم .

● وأعطى الرب أيضاً قديسيه فى العهد الجديد قوة الشفاء وإخراج الشياطين وعمل المعجزات باسمه ، حتى أن المناديل والعصائب التى كانت توضع على جسد بولس الرسول كان لها بركة شفاء الأمراض وإخراج الأرواح الشريرة . (أع ١٩ : ١٣)

✤ وأمر الله الناس بطلب شفاعة القديسين :

● فقد أمر الله أبيمالك الملك بأن يطلب شفاعة إبراهيم حتى لا يموت . (تك ٢٠ : ٧)

● وأمر الله أصحاب أيوب بأن يسترضوا أيوب البار ، ويطلبوا صلاته من أجلهم فيرحمهم الله . (أيو ٤٢ : ٧ ، ٨)

● ولهذا قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين : « الذى يسمع منكم يسمع منى والذى يرذلكم يرذلنى» . (لو ١٠ : ١٦)

● وقال أيضاً : « إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب » . (يو ١٢ : ٢٦)

٢ ـ القديسون الأحياء لهم معرفة واسعة :

● إليك بعض الأدلة الكتابية على هذا :

ـ استشير صموئيل النبى فى موضوع الأتن الضائعة ، وقال الناس عنه : « هوذا رجل الله فى هذه المدينة والرجل مكرم . كل ما يقوله يصير . لنذهب الآن إلى هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها » . (١صم ٦ : ٩)

ـ عرف إليشع النبى وهو على الأرض بما فعله جيحزى تلميذه فى الخفاء حين أخذ هدايا نعمان السريانى . (٢ مل ٥ : ١٥ ، ٢٧)

وقال عنه واحد من عبيد ملك آرام لسيده الملك : « إليشع النبى الذى فى إسرائيل يخبر ملك

إسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضجعك » . (٢مل ٦ : ١٢)
- وعرف إليشع النبى فى وقت المجاعة دون أن يخبره أحد ، أن ملك إسرائيل قد أرسل رسولاً ليقتله . (٢مل ٦ : ٣٢)
- وعرف القديس بطرس الرسول بما فعلاه حنانيا وسفيرا فى الخفاء . (أع ٥ : ٣ ، ٩)
- وعرف القديس بولس الرسول أنه بعد ذهابه ستدخل بين أهل أفسس ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية ، وأخبر هو بنفسه بهذا الأمر. (أع ٢٠ : ٢٩)

● ولم تكن معرفة القديسين الواسعة خاصة بالأمور الأرضية فقط بل شملت أيضاً الأمور السمائية ، فقد رأى الكثير من القديسين رؤى وأحلاماً سماوية ، سواء من آباء العهد القديم مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى ويشوع وجدعون وإشعياء ودانيال وغيرهم ، أو من قديسى العهد الجديد مثل بطرس وبولس ويوحنا اللاهوتى وغيرهم . وسواء كان أولئك أو هؤلاء ففى أغلب هذه الرؤى والإعلانات السمائية أعلن الله عن ذاته لرجاله بمعرفة جديدة لم تكن عند البشر من قبل ، وهكذا كانت معرفة هؤلاء القديسين عن الله والسماء أكثر من غيرهم من البشر .

فإذا كانت هكذا هى معرفة القديسين وهم فى الجسد ، فكم وكم تكون معرفتهم بعد أن تخلصوا من الجسد وصاروا فى الروح !!

٣- القديسون المنتقلون يعرفون أحوالنا على الأرض :

● القديسون الذين انتقلوا مازالوا أحياء ، فقد قال السيد المسيح للصدوقيين : « أما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات بل إله أحياء » . (مت ٢٢ : ٣١ ، ٣٢)

إذن هؤلاء القديسون الذين انتقلوا مازالوا أحياء .

● لاشك أن معرفة السماء أكثر من معرفة الأرض ... والدليل على ذلك قول القديس بولس الرسول: « فإننا الآن ننظر فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه . الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت » . (١ كو ١٣ : ١٢)

إذن معرفتنا فى العالم الآخر ستزيد بعد أن نخلع هذا الجسد المادى الذى يقيد الروح .

● يتضح هذا الأمر من قصة الغنى ولعازر التى قالها السيد المسيح وذكر فيها أن إبراهيم وهو فى الفردوس كان يعرف أن لعازر على الأرض قد احتمل البلايا ، والغنى قد تنعم ، وقال عن أهل الغنى إنه عندهم موسى والأنبياء ، بينما أبونا إبراهيم انتقل من الأرض قبل مجيء موسى النبى بمئات السنين . (لو ١٦)

• وفى سفر الرؤيا رأى يوحنا الرائى نفوس الذين استشهدوا تحت المذبح يصرخون بصوت عظيم قائلين : « حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض فأعطى كل واحد ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا زماناً قليلاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم سلسلة الشهداء » . (رؤ ٦ : ٩ ، ١١) إذن هؤلاء الشهداء بعد وفاتهم بسنين عديدة ، عرفوا أن الرب لم ينتقم لهم بعد من الذين ظلموهم على الأرض .

هذه الأمثلة وغيرها تدل على أن القديسين المنتقلين هم أحياء ، ويعرفون أحوالنا على الأرض.

٤ - أمثلة لشفاعة القديسين الأحياء :

✥ عهد قديم :

- طلب بنو إسرائيل من موسى النبى مرات عديدة أن يتشفع عنهم أمام الله ، فصلى موسى لله ، وطلب من أجل شعبه ، وتشفع فيهم وقال لله : « ارجع يا رب عن حمو غضبك » . وقبل الله شفاعته فى شعبه . (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢ ، عد ١١ : ٢)

- وطلب فرعون من هرون وموسى عدة مرات أن يصليا عنه لله ، ليرفع عنه الضربات ، فصليا ، وقبل الله صلواتهما . (خر ٨ ، ٩ ، ١٠)

- وتشفع إبراهيم من أجل سدوم وعمورة ، ووقف يخاطب الله : « حاشاك يا رب أن تفعل هذا » . (تك ١٨ : ٢٣)

- وتشفع لوط من أجل صوغر أن يسمح الرب بعدم هلاكها ، وقبل الرب طلبه .
(تك ١٩ : ١٨)

- وتشفع موسى عن مريم أخته حين أصابها البرص فصرخ إلى الله قائلاً : « اللهم إشفها » .
(عد ١٢ : ١٣)

- وتشفع موسى لأجل هرون أخيه وقال: « فصليت لأجل هرون فقبل الله صلاتى» .
(تث ٩ : ٢١)

- وطلب بنو إسرائيل من صموئيل النبى أن يصلى عنهم ويشفع فيهم أمام الله ، وقالوا له : « صلِّ عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت » . (١ صم ١٢ : ٩)

- وكان صموئيل يصلى من أجلهم كثيراً حتى قال لهم ذات مرة : « وأما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم » . (١ صم ١٢ : ٩)

- ولما فعل شاول الشر فى عينى الرب ، وأعلمه صموئيل بغضب الرب عليه ، طلب شاول منه أن يصلى لأجله (١ صم ١٥ : ٣٠ ، ٣١) .

- ويربعام ملك إسرائيل لما شُلت يده (إذ رفعها على نبى الله) طلب إليه قائلاً : « تضرع إلى وجه الرب إلهك وصلِّ من أجلى فترجع يدى إلىَّ فتضرع رجل الله فرجعت يده إليه وكانت كما فى الأول » . (١مل ١٣ : ٦)

- وحزقيا الملك لما هدده سنحاريب بعث إلى إشعياء النبى قائلاً : « ارفع صلاة من أجل البقية الموجودة » . (٢ مل ١٩ : ٤)

- وحزقيا الملك لما ضايقه نبوخذ نصر طلب من إرميا النبى أن يصلى لأجله ولأجل شعبه .
(إر ٢٧ : ٣)

- والمرأة الشونمية استغاثت بإليشع النبى من أجل ابنها فصلى وقام الولد حياً . (٢مل ٤ : ٣٠)

✥ عهد جديد :

- تشفعت العذراء مريم للرب يسوع فى عرس قانا الجليل ، من أجل إزالة حرج العريس . فحول السيد المسيح الماء إلى خمر غير مسكر . (يو ٢)

- وسيمون الساحر لما تجرأ وطلب مواهب الله بالمال ووبخه بطرس وزجره ، عاد يطلب من بطرس أن يصلى إلى الرب من أجله لكى يرحمه ويغفر له . (أع ٨ : ٢٤)

- والقديس بولس الرسول طلب من المؤمنين أن يساعدوه بالصلاة من أجله ومن أجل المؤمنين، وكان يكرر هذا فى رسائله كثيراً . (٢ كو ١ : ١١ ، ٢ تس ٣ : ١)

- والقديس بولس أيضاً طلب من تلميذه تيموثاوس أن يصلى من أجل الملوك وكل من فى منصب ولأجل جميع الناس . (١ تى ٢ : ٢)

- والقديس بولس أيضاً تشفع فى الرجال الذين كانوا معه فى السفينة ، وقبل الرب شفاعته وقال له : « ها قد وهبت لك جميع المسافرين معك » . (أع ٢٧ : ٢٤)

- وكانت الكنيسة تصلى وتطلب بلجاجة من أجل القديس بطرس . (أع ١٢ : ٥)

٥- أمثلة لطلب شفاعة الأبرار المنتقلين :

- موسى النبى فى تضرعه عن شعبه تشفع بالآباء الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب فصلى لله قائلاً : « اذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك » .
(خر ٣٢ : ١٣)

- ودانيال النبى ورفاقه طلبوا شفاعة الآباء الأولين قائلين لله : « لا تنقض عنا عهدك ولا تنزع عنا رحمتك من أجل إبراهيم حبيبك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك » . (دا ٣ : ٣٥)

- وآساف النبى تشفع قائلاً لله : « اذكر جماعتك التى اقتنيتها منذ القديم وفديتها سبط

ميراثك ». (مز ٧٤ : ٢)

● وإشعياء النبى طلب رحمة الله لشعبه متشفعاً برؤساء أسباط إسرائيل فصلى : « ارجع من أجل عبيدك أسباط إسرائيل ». (إش ٦١ : ١٧)

● وسليمان الملك صلى طالباً إنجاز وعد الرب متشفعاً بداود أبيه قائلاً : « اذكر مراحم داود عبدك ». (٢ أى ٦ : ٤٢)

● ويقول المرنم أيضاً : « من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك ». (مز ١٣٢ : ١٠)

٦ - شهادة الآباء والليتورجيات لعقيدة الشفاعة :

● يقول **العلامة أوريجانوس** (١٨٥ - ٢٥٤ م) : « إن جميع أولئك الذين غادروا هذه الحياة يحتفظون بمحبتهم لأولئك الذين تركوهم تحت (على الأرض) ، ويكونون مشغولى البال على سلامتهم ويساعدونهم بصلواتهم وتشفعاتهم إلى الله ». (١)

● ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٣ - ٣٨٦ م) فى شرحه للقداس للموعوظين : « ثم نصنع أيضاً تذكار أولئك الذين رقدوا قبلنا ، أولاً البطاركة ، ثم الأنبياء ، فالرسل ، ثم الشهداء ، لكى بصلواتهم وشفاعاتهم يقبل الله تضرعنا ». (٢)

● ويقول **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ - ٣٧٩ م) فى عظة عن الأربعين شهيداً بسبسطية موجهاً الخطاب إليهم : « أيتها الجوقة الطاهرة . أيتها الفرقة المقدسة ... أنتم أيها الكرماء شركاء اهتماماتنا . أنتم أيها المعاونون لصلاتنا . أقوى الشفعاء ». (٣)

● ويقول **القديس مار افرآم السريانى** (٣٠٦ - ٣٧٣ م) فى مديح له للشهداء : « أنتم أيها الشهداء المنتصرون الذين تحملتم العذابات بفرح من أجل الله والمخلص ، أنتم يا من لكم دالة الحديث إلى الرب نفسه ، أنتم أيها القديسون ، تشفعوا من أجلنا نحن البشر الخطاة الخجلون الكسالى لكى تحل علينا نعمة المسيح ... ». (٤)

● ويقول **القديس چيروم** (٣٤٢ - ٤٢٠ م) : « إن كان الرسل والشهداء يستطيعون وهم بعد

---

(١) العلامة أوريجانوس : تفسيره على نشيد الأناشيد - كتاب حالة أرواح الراقدين للشماس الدكتور إميل ماهر ، ص ٩٦ .

(٢) القديس كيرلس الأورشليمى : شرح القداس للموعوظين ٢٣ : ٩ - كتاب حالة أرواح الراقدين للشماس الدكتور إميل ماهر ، ص ٩٦ .

(٣) القديس باسيليوس الكبير : عظة عن الأربعين شهيداً بسبسطية - كتاب حالة أرواح الراقدين للشماس الدكتور إميل ماهر ، ص ٩٦ .

(٤) القديس افرآم السريانى : مديح للشهداء - كتاب حالة أرواح الراقدين للشماس الدكتور إميل ماهر ، ص ٩٦ .

فى الجسد أن يصلوا من أجل الآخرين فى وقت كانوا فيه لا يزالون قلقين على أنفسهم فكم بالأكثر بعد أن اكتسبوا أكاليلهم وحققوا انتصاراتهم وفوزهم » . [1]

● وفى **قداس القديس كيرلس السكندرى** بعدما يصلى الكاهن المجمع طالباً النياح لجميع القديسين يقول : « إننا أيها السيد لسنا أهلاً أن نتشفع فى طوباوية أولئك بل هم قيام أمام منبر ابنك الوحيد ليكونوا هم عوضاً عنا يتشفعون فى مسكنتنا وضعفنا . كن غافراً لآثامنا من أجل سؤالاتهم المقدسة ومن أجل اسمك المبارك الذى دُعى علينا » . [2]

● ونفس الوضع نجده فى **قداس القديس باسيليوس ، وقداس القديس غريغوريوس** ، فبعدما يقيم الكاهن تذكار القديسين يختم بقوله : « وكل مصاف قديسيك . هؤلاء الذين بسؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معنا ، وانقذنا من أجل اسمك القدوس الذى دُعى علينا » . [3]

(٣) شفاعة الملائكة فى البشر

✥ الملائكة تعرف أحوالنا على الأرض :

● معرفة الملائكة بأحوالنا على الأرض واضحة من قول الرب يسوع إنه : « يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى التوبة » .

(لو ١٥ : ١٠)

ومعنى هذا أن أخبار الأرض تصل إلى سكان السماء .

✥ الملائكة تحمل صلوات القديسين إلى عرش الله :

● يقول يوحنا الرائى : « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب . وأُعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش . فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » .

(رؤ ٨ : ٣ ، ٤)

✥ أمثلة من شفاعة الملائكة :

● نرى فى سفر زكريا النبى مثالين لشفاعة الملائكة هما :

أ ـ شفاعة ملاك الرب فى أورشليم إذ صلى قائلاً : « يا رب الجنود إلى متى أنت لا ترحم

---

(١) القديس چيروم : الرسالة ضد فيجيلانتيوس (٦) ـ كتاب حالة أرواح الراقدين للشماس الدكتور إميل ماهر ، ص ٩٧ .

(٢) الخولاجى المقدس : حسب طبعة دير المحرق العامر .

(٣) المرجع السابق .

أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة » . (زك ١ : ١٢) ، فإن كان ملاك الرب يشفع هكذا فى أورشليم حتى دون أن يُطلب هذا منه ، فكم بالأكثر إن طلبنا صلواته ؟

ب ـ شفاعة ملاك الرب فى يهوشع الكاهن ، ووقوفه ضد الشيطان الذى يقاومه وقوله له : « لينتهرك الرب يا شيطان . لينتهرك الرب ... أفليس هذا شعلة منتشلة من النار » .
(زك ٣ : ١، ٢)

● وهناك حدث ناطق لشفاعة الملائكة نجده فى سفر طوبيا إذ يقول الملاك رفائيل لطوبيا : « إنك حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى ... وتترك طعامك وتخبأ الموتى فى بيتك نهاراً وتدفنهم ليلاً كنت أنا أرفع صلواتك إلى الرب » . (طو ١٢ : ١٢)

● وورد فى (تك ٤٨ : ١٦) أن يعقوب طلب شفاعة الملاك الذى رافقه وخلصه من كل شر أن يبارك (غلامى يوسف) .

● كما ورد فى (مت ١٨ : ١٠) أن ملائكة الأطفال الصغار واقفون أمام الله ليلاً ونهاراً يتشفعون فيهم وقد حذر السيد المسيح من تحقير هؤلاء الصغار .

(٤) المعانى الروحية فى عقيدة الشفاعة

١ ـ الشفاعة هى شركة بين أعضاء الكنيسة الواحدة بعنصريها السمائى والأرضى ، فالكنيسة هى جسد واحد ، المسيح رأسه وكلنا أعضاؤه سواء فى السماء أو على الأرض ... والحب والصلوات أمور متبادلة بين أعضاء الجسد الواحد . نحن نصلى عن الراقدين ، وهم يشفعون فينا أيضاً بصلواتهم عنا ... إنها رابطة قوية لا تنفصم .

٢ ـ الشفاعة بالقديسين تحمل معنى الإيمان بالحياة الأخرى ، والإيمان بأن الذين انتقلوا مازالوا أحياء ، وكذلك الإيمان بالصلة الدائمة بين السماء والأرض .

٣ ـ والشفاعة بالقديسين تحمل أيضاً معنى إكرام القديسين .

٤ ـ كما تحمل الشفاعة فى طياتها تواضع القلب ، فالذى يطلب الشفاعة هو إنسان متضع ومنسحق القلب يعلن احتياجه الدائم لمعونة الآخرين ، واضعاً أمامه كلمات القديس بولس الرسول : « صلوا لأجلنا » . (عب ١٣ : ١٨)

٥ ـ والشفاعة دليل على عدل الله ومبدأ تكافؤ الفرص ، فإن كان الشيطان يحارب أولاد الله ويجربهم ، فيقتضى العدل ومبدأ تكافؤ الفرص أن يسمح الله للملائكة وللأرواح الخيرة أن يساعدوا المؤمنين على الأرض .

ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : « الذين يؤمنون بالشفاعة ينتفعون برابطة الحب التى بينهم وبين القديسين وهم لا يخسرون شيئاً ... أما منكرو الشفاعة فإنهم يخسرون هذه الصلة وهذه الصلوات بلا مقابل » . (1)

✤ الشفاعة هى واقع نعيش فيه :

وختاماً نقول إن الشفاعة هى واقع نعيش فيه ، إنه تاريخ حى على مدى الأجيال يروى الرابطة العجيبة التى بين القديسين المنتقلين وإخوتهم المؤمنين الذين يعيشون على الأرض ... إن المعجزات اليومية التى تحدث بيننا بأسماء القديسين تشهد وتنطق بصدق عقيدة الشفاعة فيوجد بهذه العقيدة دلائل كثيرة بالقلب أكثر وأهم من تلك التى فى الكتب .

ثانياً : إكرام السيدة العذراء مريم

(١) العذراء والدة الإله

✤ قانونية هذه العقيدة :

● قول **اليصابات** للعذراء مريم : « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ ». (لو ١ : ٤٣)

ـ قول **الملاك** للعذراء مريم : « فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » . (لو ١ : ٣٥)

ـ قول **الملاك** للرعاة : « وُلد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » . (لو ٢ : ١٢)

ـ ونبوة **إشعياء النبى** : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » . (إش ٧ :١٤)

● ومقدمة قانون الإيمان التى وضعها الآباء المجتمعون بأفسس (٤٣١ م) تنص على هذا الأمر : « نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ... » .

(٢) العذراء دائمة البتولية

تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بدوام بتولية العذراء مريم ، للأسباب الآتية :

أ ـ رؤيا حزقيال :

ـ « ثم ارجعنى إلى طريق باب المقدس الخارجى المتجه للشرق وهو مغلق فقال لى الرب : هذا الباب يكون مغلقاً لايُفتح . ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً » . (حز ٤٤ : ١ ـ ٣)

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن ، ص ٧٩ .

● فسر **القديس أوغسطينوس** هذا النص فقال :

- « ما معنى (باب مغلق فى بيت المقدس) إلا أن القديسة مريم تكون على الدوام بلا دنس مالكة لخاتم بتوليتها » .

- « وما معنى قوله : (لا يدخل منه إنسان) ، إلا أن القديس يوسف لم يعرفها قط » .

- « ومامعنى أن (هذا الباب يكون مغلقاً لايُفتح) . إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً » . (١)

ب- نبوة إشعياء :

- « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » . (إش ٧:١٤)

جاءت كلمة (العذراء) معرفة بالألف واللام ، وهذا يعنى أن هذا هو لقبها ووضعها الدائم ، أى أنها عذراء قبل الحبل المقدس وبعده وإلى نهاية العمر ... وإلى الأبد فهذه هى صفتها الدائمة.

جـ- أقوال الآباء وصلوات الكنيسة :

- يقول **العلامة أوريجانوس** (١٨٥ - ٢٥٤ م) : « لقد وصل إلينا - من التقليد - أن بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التى تداولتها الكنيسة المسيحية منذ نشأتها » . (٢)

- ويقول **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ - ٣٧٩ م) : « إن المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا (من هرطوقى) بزواج العذراء . بعد ولادتها للسيد المسيح لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم » . (٣)

- وتقول قسمة الصوم الميلادى : « ولدته وهى عذراء وبتوليتها مختومة (مصانة) » .

- والتسابيح والألحان الكنسية زاخرة أيضاً بما يعبر عن هذه العقيدة .

(٣) إكرام السيدة العذراء

● تكرم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية العذراء مريم ، وتلقبها بالممتلئة نعمة حسب قول الملاك جبرائيل لها ، كما تلقبها بالسماء الثانية ، وخيمة الاجتماع أو قبة موسى لأن ابن الله الكلمة قد حل فى أحشائها ، وهى أم النور ، وأم القدوس ، ووالدة الإله ، وهى قسط المن ، وعصا هرون، والمنارة الذهبية ، وتابوت العهد ، وسلم يعقوب ، وعليقة موسى ، وهى الحمامة الحسنة .

---

(١) القمص ميخائيل مينا : موسوعة علم اللاهوت ، ص ٤٢٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع الأسبق .

● ولقد كرمها الملاك جبرائيل فى حديثه معها إذ قال لها : « السلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة . الرب معك . مباركة أنتِ فى النساء » . (لو ١ : ٢٨)

● وقابلتها اليصابات بإكرام شديد وقالت لها : « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ . هوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى » . (لو ١ : ٤٤)

● وهناك نبوات كثيرة تتكلم عن كرامة السيدة العذراء وإكرامها ، منها :

- « قامت الملكة عن يمينك أيها الملك » . (مز ٤٥ : ٩)
- « كل مجد ابنة الملك من داخل » . (مز ٤٥ : ١٣)
- « نساء كثيرات نلن كرامات ، ولم تنل مثلك واحدة منهن » . (أم ٣١ : ٢٩)

- وفى الواقع أن الذى يكرِّم والدة الإله فهو يكرِّم الله . والذى يكرِّم القديس فهو يكرِّم القداسة ، وهذا ما تفعله الكنيسة الأرثوذكسية بوعى إذ أنها تعرف جيداً أنها حين تكرم العذراء مريم فهى تكرم أيضاً الفضائل الروحية التى تتمتع بها .

● ونحن نكرم السيدة العذراء ونطوبها قائلين لها مع اليصابات : «طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قل الرب» . (لو ١ : ٤٥)

ومع هذه المرأة التى صرخت ليسوع : «طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما». (لو ١١ : ٢٧)

● ونحن نكرم السيدة العذراء ونطوبها طبقاً لنبوتها هى شخصياً حين قالت : «هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» . (لو ١ : ٤٨)

وإذا كانت المرأة التى سكبت الطيب على قدمى السيد المسيح قد سمعت من السيد المسيح : «حينما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها» . (مر ١٤ : ٩) فكم بالأحرى ينبغى أن يكون تكريم هذه الأم التى هى والدة لابن الله الكلمة المتجسد .

● لهذا كله تعيد الكنيسة لها بأعياد واحتفالات خاصة .

ثالثاً : قانونية الاحتفال بالعذراء والشهداء والقديسين

١ ـ الكتاب المقدس :

١ ـ يقول الوحى المقدس :

- « ذكر الصديق يدوم إلى الأبد » . (مز ١١٢ : ٦)
- « ذكر الصديق للبركة » . (أم ١٠ : ٧)

ودوام ذكر الصديق يكون فى أحسن صوره بتخصيص أيام معينة تصنع فيها ذكراهم وتقرأ

سيرهم المقدسة ، وإذا كان أهل العالم يفعلون هذا من أجل تخليد رؤسائهم فهل الكنيسة أقل وفاء لأبطالها الروحيين !!!

٢ - يقول السيد المسيح : « حيث أكون أنا هناك يكون خادمي . وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب » . (يو ١٢ : ٢٦) ... فإن كان الآب يكرم قديسيه وخدامه أفلا نكرمهم نحن !!

٣ - ولقد مدح السيد المسيح عمل المرأة التي سكبت الطيب على قدميه ، وأمر الآباء الرسل بإذاعة خبرها والتحدث بعملها فقال : « حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها » . (مر ١٤ : ٩) . وهكذا نحن نسير على نفس الطريق ونمدح القديسين وأعمالهم الحسنة .

٤ - ولقد وعد الله رجاله القديسين على لسان **القديس بولس الرسول** قائلاً : « الذين يضايقونكم يجازيهم (الله) ضيقاً » . (٢ تس ١ : ٦)

٥ - ولقد أوصانا **القديس بولس** صراحة : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » . (عب ١٣ : ٧)

٢ - تعاليم الرسل :

● جاء في **الدسقولية** : « فليمتنعوا عن العمل في أعياد الرسل ، وفي عيد استفانوس أول الشهداء ، وفي أعياد القديسين الذين فضلوا المسيح على حياتهم » . (دسقولية ٣١)

٣ - التاريخ الكنسي :

● جاء في الرسالة التي بعثت بها كنيسة أزمير إلى الكنائس الأخرى بشأن استشهاد الأسقف بوليكاربوس (١٥٦م) : « ومن ثم جمعنا فيما بعد عظامه التي كانت أثمن من الحجارة الكريمة وأغلى من الذهب ، ووضعناها في مكان مناسب... هناك نرجو أن يسمح لنا الرب أن نجتمع معاً على قدر إمكاننا في غبطة وانشراح ، لنحتفل بذكرى استشهاده ، إحياء لذكرى من سبقوا أن جاهدوا ، وتدريباً وإعداداً لمن سوف يتمثلون بهم» . (١)

● وجاء في القانون رقم ٩١ **للبابا أثناسيوس** (٢٩٧ - ٣٧٣ م) : «وأعياد الشهداء لتكن باحتفال عظيم وترتيب عظيم ، وتعمل لهم اجتماعات ، وتقيموا الليل كله ساهرين في المزامير والصلوات والقراءات الطاهرة» . (٢)

---

(١) يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، ك ٤ ف ١٥ .

(٢) مركز دراسات الآباء : الكنيسة في فكر الآباء ، ص ٧ .

رابعاً : الرد على أسئلة وإدعاءات

١ ـ ادع الآن فهل لك من مجيب وإلى أى القديسين تلتفت (أى ٥ : ١)؟

يستند أحدهم على هذه الآية ليبرهن بها على عدم قانونية شفاعة القديسين .

الـرد :

نرجع إلى النص الكتابى من سفر أيوب النبى ، لنعرف مناسبة هذا القول والكلام الآخر الذى قيل حوله ، حتى لا نقع فى خطأ استخدام الآية الواحدة الذى يحذر منه قداسة البابا شنوده الثالث فى مرات عديدة ، والذى كثيراً ما يلجأ إليه أصحاب البدع والهرطقات لإثبات منطقهم الباطل :

«... والآن إذا جاء (الله) عليك ضجرت ، إذ مسك ارتعت . أليست تقواك هى معتمدك ، ورجاؤك كمال طرقك ؟ اذكر : من هلكِ وهو برىء ، وأين أُبيد المستقيمون ؟ كما قد رأيت : أن الحارثين إثماً ، والزارعين شقاوة يحصدونها . بنسمة الله يبيدون ، وبريح أنفه يفنون... ألإنسان أبر من الله ؟ أم الرجل أطهر من خالقه ؟» (أى ٤ : ١ ـ ٩) وهنا نرى المعانى الآتية :

١ ـ هذا القول هو لأليفاز التيمانى قاله لصديقه أيوب أثناء التجربة التى ألمت به ، وهذا الكلام ليس بالضرورة أن يكون كله صحيحاً أو مستقيماً أو متمشياً مع الفكر الإلهى ، فهو كلام صديق لصديقه نقله الوحى الإلهى كما هو ...

٢ ـ افترض أصدقاء أيوب أن التجارب التى أصابته هى نتيجة لتخلى الله عنه ، لخطاياه وأثامه وعدم التفات القديسين إليه ، وأن عليه بالتوبة إذا أراد النجاة والخلاص مما هو فيه .

فعنف أليفاز أيوب لأنه لم يعمل معروفاً مع أحد من قبل ، ولم يساند أحداً فى ضيقة ، وقال له إن الله ليس بظالم حتى يهلك أحداً وهو برئ ، وإن ما هو فيه نتيجة خطاياه .

ثم قال له نتيجة لهذا : « ادعُ الآن فهل لك من مجيب وإلى أى القديسين تلتفت » .

يعنى نتيجة خطاياك وآثامك يا أيوب لن يستجيب لك الله ، ولن يسمع صراخك أحد من القديسين ، مهما صرخت وطلبت وتشفعت .

فهذه الآية على عكس ما ادعى المعترض فهى تؤكد الشفاعة ولا تنفيها ، لأنها تشير إلى أن عقيدة الشفاعة كانت معروفة ومستقرة فى هذا الوقت ، وهى أن الإنسان يلتفت للقديسين فى مشاكله ويطلب معونتهم ومساعدتهم فى الضيقات ، ولكن بالنسبة لأيوب فلن يلتفت إليه أحد منهم ، نتيجة أنه كان (فى نظر أصدقائه) لم يعمل معروفاً مع أحد من قبل .

فهذا القول الذى قاله أليفاز التيمانى يؤكد إذن على عقيدة التشفع بالقديسين ، وأنها كانت معروفة للناس فى هذا الوقت وأنهم كانوا يمارسونها بالفطرة .

٢ـ هل نحن نتشفع بالعذراء وبالقديسين شفاعة كفارية ؟

يقول أحد المعترضين :

● «الكنيسة الأرثوذكسية تتشفع بالقديسين والملائكة ليس فقط طلباً للمعونة أو السند فى أمر ما أو نوال عطية أو معجزة ما ، بل وأيضاً طلباً لمغفرة الخطايا ونوال الخلاص (ألا تكون بهذا شفاعة كفارية ؟!!) كما فى مجمع التسبحة وختام القداسات والاجتماعات ، وكما فى لحن الهيتينيات الذى يقال فى بداية القداس» .

الرد :

١ـ السيد المسيح هو الشفيع الكفارى الوحيد :

● نحن ـ الأرثوذكس ـ نعرف جيداً أن السيد المسيح هو الوسيط الوحيد والشفيع الوحيد من الناحية الكفارية .

ـ كما ذكر **القديس بولس الرسول :** «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية عن الجميع » . (١ تى ٢ : ٥)

ـ وكما ذكر أيضاً **القديس يوحنا :** « إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم » . (١ يو ٢ : ١ ، ٢)

إذن السيد المسيح هو الشفيع الوحيد من ناحية الشفاعة الكفارية ، هذا الأمر يعرفه ويدركه جيداً كل أرثوذكسى .

٢ـ الشفاعة التوسلية هى طلب شركة القديسين فى صلواتنا :

● ولكن مع هذا هناك شفاعة توسلية وهى طلب شركة القديسين فى صلواتنا أمام الله أياً كانت نوعية صلواتنا وطلباتنا .

● فنحن نقدم صلواتنا وطلباتنا مشفوعة بصلوات القديسين وهذه هى شركة الكنيسة الواحدة معاً فى الصلاة ، بل هذا هو مفهوم الكنيسة الواحدة : أن الذين انتقلوا لم ينفصلوا عنا ، بل يصلون معنا ، ويطلبون طلباتنا ، ويقفون معنا يرددون صلواتنا مادامت وفقاً لمشيئة الله .

● فإذا كنا نحن نطلب من أجل إنقاذنا من الضيقة ، فهم يشتركون معنا فى الصلاة من أجل هذا الأمر .

● وإذا كنا نحن نطلب من أجل نجاح أولادنا فى الامتحانات ، فنشركهم معنا فى هذا الطلب .

● وإذا كنا نحن نطلب من أجل التوفيق فى أحد الأمور ، فنحن نشرك القديسين معنا فى هذا

الأمر بالروح الواحد والإيمان الواحد الذى لنا .

● وإذا كنا نحن نطلب من أجل غفران خطايانا ، فبروح الشركة نشرك القديسين معنا أيضاً فى هذا الطلب .

فماذا فى هذا الأمر لا يروق لك أيها الأخ المعترض ؟

٣ ـ نحن لا نطلب من القديسين أن يغفروا هم خطايانا :

● نحن لا نطلب من القديسين أن يغفروا هم خطايانا حتى تقول إننا نتشفع بهم شفاعة كفارية بل نحن نطلب من الله أن ينعم لنا بغفران الخطايا ونقول له إن الكنيسة تطلب من أجل هذا الأمر بشقيها السماوى والأرضى .... الكنيسة بعنصريها معاً تطلب يا رب منك ألا تنظر لخطايانا .

ـ بروح البنوة نطلب منك أن تغفر لنا خطايانا .

ـ وبروح الشركة مع القديسين نشركهم معنا فى نفس الطلب ، ونحن نثق أن هؤلاء القديسين يهمهم خلاصنا ويطلبون من أجلنا نفس الطلب .

٤ ـ الفكر الكتابى يؤكد هذا :

ـ مصلين بكل صلاة وطلبة لأجل جميع القديسين ولأجلى :

ـ يقول **القديس بولس** : « مصلين بكل صلاة وطلبة ... لأجل جميع القديسين ولأجلى » . (أف ٦ : ١٨)

ـ القديس بولس يطلب من أهل أفسس أن يصلوا من أجله بكل صلاة وطلبة ... وعبارة «بكل صلاة وطلبة» تعنى أن القديس بولس لم يستثنِ طلب المغفرة من الله من أهل أفسس بل طلب منهم أن يصلوا من أجله ومن أجل جميع القديسين بكل نوع من الصلاة والطلبة . كل نوع .... طلب معونة .... طلب شفاء .... طلب مغفرة .... بكل صلاة وطلبة .

٥ ـ الألحان الكنسية تؤكد نفس المعنى :

● تأمل يا أخى كلمات لحن : بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ، يا رب انعم لنا بمغفرة خطايانا . أى أن غفران الخطايا هو من الله وحده صاحب هذا السلطان . وطلب المغفرة هو منى ومن القديسين ومن المحيطين بى .

● وكلمات مجمع التسبحة تدل أيضاً بوضوح على هذا الأمر ، مثل :

ـ اشفعوا فينا : أيها العساكر الملائكية والطغمات السمائية : ليغفر لنا خطايانا ...

ـ اطلب من الرب عنا : يا رئيس الشمامسة المبارك استفانوس : ليغفر لنا خطايانا ...

ـ اطلب من الرب عنا : أيها الشهداء المجاهدون يوليوس ومن معه : ليغفر لنا خطايانا ...

ولا يوجد لحن واحد فى الكنيسة الأرثوذكسية يطلب مباشرة من العذراء أو قديس من القديسين غفران الخطايا . فنحن لا نقول يا قديس ... انعم لنا بغفران الخطايا بل بشفاعة القديسين ... يا رب أنعم لنا بغفران الخطايا ... وهكذا يتضح جلياً أننا نؤمن أن الله وحده هو صاحب هذا السلطان الأصيل فى غفران الخطايا .

٣- هل الاحتفاظ برفات القديسين ومتعلقاتهم فى دور العبادة هو لون من العبادة؟

الــرد :

١- كانت المعجزات تحدث من متعلقات السيد المسيح :

- ورد فى (مر ٥ : ٢٥ - ٢٩) «وامرأة بنزف دم منذ اثنتى عشرة سنة ... لما سمعت بيسوع جاءت فى الجمع من وراءه ومست ثوبه لأنها قالت إن مسست ولو ثيابه شفيت . فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها أنها قد برئت من الداء» .

- وورد أيضاً فى (مت ١٤ : ٣٦) «وطلبوا إليه (إلى يسوع) أن يلمسوا هدب ثوبه فقط فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء» .

٢- وعد السيد المسيح :

يقول السيد المسيح : «الأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها» . (يو ١٤ : ١٢) وهكذا وعد السيد المسيح رسله والمؤمنين فى كل زمان أن يعملوا أعمالاً مماثلة لأعماله المعجزية أو على الأقل مثلها .

- تحقق هذا إذ إن ظلَّ بطرس الرسول (أع ٥ : ١٥ ، ١٦) وعصائب ومناديل القديس بولس كانت تشفى المرضى وتُخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩ : ١١ ، ١٢).

٣- الميرون مسح أجسادنا وقدسها :

● فى أثناء سر الميرون المقدس يتم مسح المعمد بزيت الميرون ٣٦ رشماً ، فيصير الإنسان كله مقدساً روحاً وجسداً ، فجسد الإنسان المسيحى هو مقدس بالميرون . والقديس إنسان عمل الروح القدس فى داخله بعطاياه ومواهبه بقوة ، والقديس أيضاً إنسان استخدم جسده فى الصلاة والصوم وأعمال الرحمة وتقرب إلى الأسرار وحارب ضد الشهوات ، فصار هكذا جسده مقدساً . يقول القديس بولس : «إنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع» . (غل ٦ : ١٧)

● وإذا كان الروح القدس قدس الإنسان أثناء حياته جسداً وروحاً ، فمازال جسد القديس بعد نياحته مقدساً ومدشناً للرب ، لم يفقد جسده هذه الخاصية بعد نياحته وهذا هو السر فى

عمل المعجزات بواسطة رفات القديسين .

● ومازالت أيضاً متعلقاته الشخصية التى تقدست بالقداسات والصلوات مقدسة لم تفقد هذه الخاصية بعد نياحته ، وهذا هو السبب فى عمل المعجزات بواسطتها أيضاً .

● **يقول الأب يوحنا الدمشقى :**

ـ «إنه مستحيل أن يكمل فرحنا وتهليلنا الروحى بدون ذكر الرسل والقديسين وأعمالهم ، لأنهم هم تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم . وفى أثناء حياتهم كان الروح القدس هو العامل فيهم ، وعندما انتقلوا بأرواحهم بقى عمل النعمة وأثره فى أجسادهم ؛ فعظام إليشع أقامت الميت وذلك ليس بطبيعتها المائتة وإنما بعمل النعمة الكائن فيها» .

ـ ويقول أيضاً : «امتلأ القديسون بالروح القدس أثناء حياتهم وبعد رحيلهم تسكن نعمته فى أرواحهم كما فى أجسادهم فى القبر وتعمل فى أشكالهم وأيقوناتهم المقدسة لا سكنى الجوهر بل كنعمة وقوى إلهية» . (١)

٤ ـ الاهتمام بعظام القديسين له سند كتابى :

ـ جاء عن يوسف الصديق أنه أوصى من جهة عظامه (تك ٥٠ : ٢٤ ، ٢٥).

ـ وجاء عن موسى النبى وهو خارج من مصر أنه أخذ عظام يوسف معه (خر ١٣ : ١٩) .

٥ ـ ظهور العجائب والمعجزات من رفات ومتعلقات القديسين :

✣ **جاء فى العهد القديم :**

ـ ورد فى (خر ١٤ : ٤٦) قال الله لموسى : «وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة» .

ـ وورد فى (عدد ١٧ : ٨ ، ١٠) : «وفى الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون لبيت لاوى قد أفرخت وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً .. وقال الرب لموسى رد عصا هرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبنى التمرد فتكف تذكرهم عنى لكى لا يموتوا». وقد استمرت هذه العصا موضوع إكرام بنى إسرائيل زمناً طويلاً .

ـ وورد فى (٢ مل ٢ : ١٤) : «فأخذ إليشع رداء إيليا الذى سقط عنه وضرب الماء وقال أين هو الرب إله إيليا . ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا فعبر إليشع» .

ـ وورد فى (٢ مل ١٣ : ٢١) «وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر إليشع فلما نزل الرجل ومس عظام إليشع عاش وقام على رجليه» .

✣ **وجاء فى العهد الجديد :**

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ١٧٤ .

- ورد فى (أع ٥ : ١٥ ، ١٦) أنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم ... وكانوا يبرأون جميعهم . - وورد أيضاً فى (أع ١٩ : ١١ ، ١٢) كان الله يصنع على أيدى بولس قوات غير معتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم .

٤ - هل إخفاء جسد موسى من قبل الله يعنى رفضه إكرام رفات القديسين؟

يقول أحد المعترضين :

● [إننا نتساءل هنا لماذا أخفى الله جسد موسى بعد موته ولم يعرف أحد من شعبه (بنى إسرائيل) مكانه ؟ ولماذا حدثت مخاصمة (منازعة) بين إبليس ورئيس الملائكة ميخائيل الذى خاصمه محاجاً عن جسد موسى؟

« فمات موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » . (تث ٣٤ : ٦) .

« أما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم إفتراء بل قال لينتهرك الرب » . (يه ١ : ٩) » .]

الـرد :

● لقد أخفى الله جسد موسى بعد موته للأسباب الآتية :

١- لأن الشعب كان فى مرحلة البداوة الروحية لا يستطيع أن يميز بين الإكرام الذى يُقدم لرفات رجال الله وبين العبادة التى تُقدم لله وحده .

وكان موسى ذا مكانة كبيرة بينهم فقد أخذوا الوصايا والشريعة عن طريقه ، كما كان يكلم الرب وجهاً لوجه ، وهو الذى قادهم فى الخروج من أرض مصر ، وفى صحراء سيناء .

٢ - كانت أيضاً عادات بعض الشعوب المجاورة عبادة أجساد بعض ذويهم من الموتى من أصحاب المكانة العالية .

٣ - كما كان الشعب اليهودى قد وقع من قبل فى عبادة آلهة غريبة وصنعوا عجلاً ذهبياً وعبدوه .

لهذا كله أخفى الله جسد موسى عن الشعب حتى لا يعبدوه ، أما الإنسان المسيحى الأرثوذكسى فليس هو كذلك بل هو فى مرحلة النضج الروحى يستطيع أن يُدرك الفرق بين الإكرام الذى يُقدم للقديسين ورفاتهم والعبادة التى تُقدم لله وحده ، والدليل على هذا أنه عبر تاريخ المسيحية الطويل لم يحدث أن أخفى الله جسد أحد من القديسين بعد موته عن الناس منعاً لعبادته .

● وهناك دليل عملى آخر إذ أنه لم يقع أرثوذكسى عبر التاريخ فى عبادة قديس من القديسين فلم نسمع عن أحد من الأرثوذكس عبد مثلاً تلميذاً من تلاميذ المسيح ، أو أحد عبد شهيداً أو قديساً رغم المكانة الكبرى لهؤلاء فى قلوب الجميع ، ولو كان الله بسابق علمه يعرف أن هذا يمكن أن يحدث مع جسد أحد من القديسين لكان فعل به مثلما فعل بجسد موسى وأخفاه ... فالمثال الذى ذكره المدعى عن إخفاء جسد موسى يقف ضده وليس معه ، وهو برهان على عكس ما يدعى .

٥. هل نحن نقدم الصدقات والصلوات والأصوام للقديسين وعلى رأسهم السيدة العذراء ؟

يقول أحد المعترضين :

● [فمع أن الرب يسوع سبق وعلم بوضوح فى عظة الجبل عن أن الصدقات والصلوات والأصوام (أركان العبادة) ينبغى أن تقدم لله الذى يرى فى الخفاء ويجازى علانية « متى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ... فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو الذى يجازيك علانية ... ومتى صليت ... صلى إلى أبيك الذى يرى فى الخفاء ... متى صمت ... لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء » . (مت ٦ : ١ ـ ١٨)

ومع ذلك فالكنيسة القبطية الأرثوذكسية تصوم صوماً للرسل وصوماً آخر للعذراء بخلاف وإلى جانب الأصوام التى تصومها لله . وتشهد الطقوس والصلوات التى تؤدى فيهما على أن هذه الأصوام تخصص وتقدم لمن تسمى بأسمائهم (الرسل أو العذراء) وليس لله . ففى صوم الرسل تُصلى العديد من الألحان والصلوات التى تخص الرسل والذى ينتهى بعيد الرسل . وكذلك فى صوم العذراء يمتلئ طقس الكنيسة الأرثوذكسية بكل مظاهر عبادة العذراء من تماجيد وتسابيح تقدم لها ، وتشفعات باسمها لنوال غفران الخطايا ، ودورات بأيقوناتها ، والتبخير والسجود أمامها ، وعمل نهضات بالكنائس باسمها ، بحيث يكون كل التركيز والاهتمام فيها بشخص العذراء إلى جانب بل وأكثر من شخص الرب يسوع نفسه » .]

الــرد :

١ ـ العبادة تقدم لله وحده :

● نحن ندرك جيداً أن أركان العبادة الأساسية (الصوم ـ الصلاة ـ الصدقة) تقدم لله وليس لآخر ، فنحن نصلى لله وليس لآخر ، ونصوم لله وليس لآخر ، كما أننا نقدم الصدقة لله فى شخص إخوته الأصاغر . وعلى هذا فالصلاة تُقدم لله وحده وليس للقديسين ، وإذا كانت هناك كلمات نخاطب بها القديسين فهذه مناجاة وطلب شفاعة وليست صلاة مثل تلك التى تُقدم لله .

● والصوم أيضاً يُقدم لله وليس لأحد غيره ، والإنسان الأرثوذكسى يُدرك هذا جيداً . يُدرك أنه حين يصوم فهو يصوم لله وليس للعذراء ولا للرسل ولا لنيئرى ولا لغيرهم ....

● والصدقة أيضاً تقدم لله فى شخص إخوته الأصاغر ، مثلما يقول الحكيم : «من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » . (أم ١٩ : ١٧)

إذاً فأركان العبادة الثلاثة تُقدم لله وليس لغيره . والآن لنبحث هذا الأمر بشىء من التوضيح :

١ ـ الأصوام

١ ـ الصوم فى المفهوم الكنسى :

● الصوم فى المفهوم الكنسى الأرثوذكسى هو ليس فرضاً موضوعاً على المؤمنين ، بل هو تخلى إرادى عن الأطعمة الشهية من أجل الانطلاق بغير معطل نحو الله .

وليس حرماناً فقط من بعض الأطعمة ، لكنه زُهد اختيارى من أجل إنعاش الروح فى عبادة الله.

فما علاقة هذا المفهوم الذى يتضمن علاقة المؤمن بالله ، بعلاقة المؤمن بالقديسين .

٢ ـ أنواع الصوم :

ـ الصوم الجماعى : (العام) : هو ما وضعته الكنيسة لكل المؤمنين وفقاً لترتيبات معينة نظراً لما تراه الكنيسة من فائدة كبرى للصوم تنعش المؤمن روحياً وتنشط علاقته بالله .

ـ الصوم الفردى : (الخاص) : هو ما يصومه فرد بمفرده بإرشاد أب اعترافه ، وذلك لظروف خاصة به .

والصوم الجماعى لا يمنع الصوم الفردى ، كما أنه ينبغى أيضاً ألا يمنع الصوم الفردى الإنسان من ممارسة الصوم الجماعى .

٣ ـ قانونية الصوم الجماعى فى الكتاب المقدس [1] :

١ ـ فى العهد القديم :

ـ صام الشعب كله أيام أستير الملكة ، وتذلل بالمسوح . (أس ٤)

ـ وصام أهل نينوى معاً بعد مناداة يونان لهم بالتوبة . (يون ٣)

ـ وصام كذلك الشعب كله أيام نحميا القائد . (نح ٩ : ١)

ـ وصام الشعب كله أيضا أيام عزرا الكاهن . (عز ٨ : ٢١)

ـ وصرخ يوئيل النبى لكل الشعب : « الآن يقول الرب ارجعوا إلىَّ بكل قلوبكم وبالصوم

---

(١) القس بيشوى حلمى : عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية ، ص ٣٥٦ .

والبكاء والنوح ... قدسوا صوماً نادوا باعتكاف اجمعوا الشعب » . (يؤ ٢ : ١٢ - ١٧)
- وحدد إشعياء النبى شروطاً ومواصفات للصوم المقبول والصوم المرفوض وحذر الشعب من الصوم بتهاون وعدم روحانية . (إش ٥٨)

٢. فى العهد الجديد :

● يذكر سفر الأعمال عن الآباء الرسل : « وفيما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه . فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى » . (أع ١٣ : ٢ ، ٣)

● وصام القديس بولس الرسول هو وكل أهل السفينة الذين كانوا معه . (أع ٢٧ : ٢١)

وهكذا ترى - عزيزى القارىء - أن الصوم الجماعى هو تعليم كتابى مارسه شعب الله فى القديم ، كما مارسته الكنيسة الأولى ممثلة فى الآباء الرسل وجماعة المؤمنين .... ولا يخفى ما للصوم الجماعى من فائدة فى توحيد قلوب المؤمنين ، فيشتركون معاً فى العبادة بفكر واحد واهتمام واحد مقدمين توبة جماعية .

٤- قانونية الصوم النباتى فى الكتاب المقدس :

● يقول **قداسة البابا شنودة الثالث :** « لقد خلق الله الإنسان نباتياً ، ففى جنة عدن لم يكن آدم وحواء يأكلان سوى البقول والأثمار (تك ١ : ٢٩) ، وبعد طرد الإنسان من الجنة قال الله لآدم : « وتأكل عشب الحقل » (تك ٣ :) أى أنه سمح له أن يأكل إلى جانب البقول والأثمار عشب الحقل أى الخضروات .

- ولم يُصرح للإنسان أن يأكل اللحم الحيوانى إلا بعد الطوفان (تك ٩ : ٣ ، ٤) .

- وعندما قاد الله شعبه فى برية سيناء قدم له أولاً طعاماً نباتياً هو المن وهو كبذر الكزبرة وطعمه كرقاق بالعسل ... ولما صرح الله لهم بأكل اللحم (السلوى) فعل ذلك بعد تذمرهم. (خر ١٦)

- وكان الطعام النباتى هو أكل الثلاثة فتية القديسين ودانيال النبى أيضاً ، إذ كانوا يأكلون القطانى (البقول) ، وبارك الرب طعامهم ، وصارت صحتهم أفضل من كل غلمان الملك . (دا ١ : ١٢) ويقول دانيال النبى عن صومه هذا : « لم آكل طعاماً شهياً . ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر . ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » . (دا ١٠ : ٣)

- وكان الطعام النباتى أيضاً هو أكل حزقيال النبى فى صومه الذى كان بأمر من الله نفسه إذ قال له : « وخذ أنت لنفسك قمحاً وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وكرسنة (ذرة بيضاء) » . (حز ٤ : ٩)

- ويقول المرنم : « ركبتاى ضعفتا (ارتعشتا) من الصوم . ولحمى تغير هزل من أكل الزيت». (مز ١٠٩ : ٢٥) [١]

٥- فوائد الصوم :

● من الناحية الروحية :

- يساعد الإنسان على الانسحاق ، والتذلل ، وممارسة التوبة .
- يعين الإنسان على حياة اليقظة ، والغلبة فى الحروب ، والنصرة على الشيطان .
- يساعد الإنسان على ممارسة الوسائط الروحية ، وإعطاء وقت أوفر للعبادة .

● من الناحية النفسية :

- يعمل على تقوية الإرادة ، وترويض الغرائز .
- يعين الإنسان على ضبط النفس ، والهدوء ، والبعد عن الثورة والغضب .

● من الناحية الجسمية :

- الطعام النباتى طعام خفيف ليس فيه ثقل اللحوم ودهونها ، وهو لا يحتاج لمجهود كبير فى هضمه أو امتصاصه ، لهذا فهو لا يثقل على المعدة والأمعاء والكبد .
- يقلل من كمية الدهون المترسبة فى الشرايين ، وبالتالى يقلل ضغط الدم ، ويخفف العبء على عضلة القلب .

٦- سلطة الكنيسة وتنظيم الأصوام الجماعية :

● لكل الفوائد الروحية والنفسية والجسمية السابقة للصوم رتب الآباء الرسل وآباء الكنيسة الأولون أصواماً جماعية للمؤمنين بمواعيد ثابتة ، وتركوا الأصوام الفردية الخاصة لكل مؤمن كيما يرتبها مع أب الاعتراف ... ومارس الآباء هذا السلطان المعطى لهم من قبل السيد المسيح لأجل تدبير شئون الكنيسة ورعايتها .

● اعتراض والرد عليه :

- يقول **القديس بولس** : « فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين . مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتناول بالشكر» . (١ تى ٤ : ١ - ٣)

كلام القديس بولس هنا لا علاقة له بالصوم ، إذ هو يتكلم عن أصحاب بدعة نادوا بتحريم الزواج وبتحريم اللحم باعتباره شراً وحاربتهم الكنيسة وحرمتهم ونحن لا نمتنع عن أكل

---

(١) قداسة البابا شنودة الثالث : روحانية الصوم ، الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس ، ص ٢٨ - ٣٠ .

اللحم باعتباره شر ، لأنه لو كان اللحم شراً فى الصوم لكان شراً أيضاً فى غير الصوم ، ولما سمحت الكنيسة به فى الأيام العادية .

٧ـ أصوام الكنيسة القبطية الأرثوذكسية :

درجة النسك	الصوم	المدة	الموعد
١ ـ أصوام الدرجة الأولى لايجوز فيها أكل السمك	١ ـ الصوم الكبير ٢ ـ صوم يومى الأربعاء والجمعة ٣ ـ صوم نينوى ٤ ـ برمون الميلاد برمون الغطاس	٥٥ يوم يومان اسبوعياً ثلاثة أيام من يوم إلى ثلاثة أيام من يوم إلى ثلاثة أيام	متغير حسب موعد عيد القيامة أسبوعياً عدا الخمسين المقدسة يسبق الصوم الكبير بأسبوعين قبل عيد الميلاد مباشرة قبل عيد الغطاس مباشرة
٢ ـ أصوام الدرجة الثانية يجوز فيها أكل السمك	١ ـ صوم الميلاد ٢ ـ صوم الرسل ٣ ـ صوم العذراء	٤٣ يوماً متغير ١٥يوماً	من ١٦هاتور حتى ٢٩ كيهك من اليوم التالى لعيد العنصرة حتى ٥ أبيب من ١ ـ ١٦مسرى

٨ـ قانونية صوم السيدة العذراء :

● هذا الصوم قديم جداً فى الكنيسة حتى أن كثير من الآباء ذكروا أن الرسل هم الذين رتبوه بأنفسهم بعد نياحة السيدة العذراء ـ من أجل التحقق من صعود جسدها إلى السماء ، وبعض آخر قالوا إن العذارى بعد ذلك فقط استمرن فى حفظ هذا الصوم ثم بدأ المؤمنون بالتدريج يصومونه أيضاً .. على أى الأحوال فهذا الصوم قديم جداً ، والدليل على هذا هو إجماع جميع الكنائس الرسولية عليه مما يدل على وجوده قبل الانشقاق (٤٥١ م) .

● ولدينا دليل آخر على قدم هذا الصوم هو أن الأنبا يوحنا مطران نيقية فى القرن الثالث الميلادى قد ذكره ضمن الأصوام التى كانت معروفة فى عصره .

● ودليل ثالث على قدمه هو أن مجمع القسطنطينية (٣٨١ م) قد ذكر هذا الصوم وثبته

وأمر به ، مما يدل على أنه كان قائماً قبل هذا التاريخ أيضاً .[1]

٩ـ قانونية صوم الرسل :

ـ لما سُئل السيد المسيح : « لماذا لا يصوم تلاميذك ؟ » أجاب بأنه : « سيأتى أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » . (مت ٩ : ١٥)

ـ وجاء فى سفر الأعمال عن الآباء الرسل : « وبينما كانوا يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : أفرزوا لى برنابا وشاول » . (أع ١٣ : ٢ ، ٣)

ـ وجاء أيضاً : « ولما مضى زمان طويل وصار السفر فى البحر خطراً إذ كان الصوم أيضاً قد مضى » . (أع ٢٧ : ٩)

من الآية السابقة يتضح أنه كانت هناك مواعيد ثابتة للصوم فى عصر الرسل.

ـ وجاء فى الدسقولية :« إنكم بعد أن تعيدوا عيد العنصرة .... عيدوا أسبوعاً آخر وبعده صوموا » . (باب ٣١)

ـ وقال الأب يوحنا مطران نيقية (ق ٣ م) : « إننا لم نتسلم سوى صوم الأربعاء والجمعة ، والصوم الكبير الأربعينى المقدس ، وصوم جمعة آلام الرب الموقرة ، وصوم ميلاد المسيح ، وصوم الرسل القديسين وصوم والدة الإله » .[2]

ـ وقال **الأنبا خريستوزولوس البطريرك السادس والستين** (١٠٤٦ ـ ١٠٧٧م) : « ويجب على المؤمنين صوم الرسل الحواريين ..... صياماً متصلاً إلى اليوم الخامس من أبيب ويعيدوا فيه كما جرت العادة » .[3]

ـ وتجمع كل الكنائس الرسولية على حفظه مما يدل على قدمه .

✝ مدة الصوم وموعده :

● مدة هذا الصوم متغيرة لأن الصوم بدايته متغيرة ولكن نهايته ثابتة ، فهو يبدأ من يوم الإثنين التالى مباشرة لعيد العنصرة وينتهى بعيد الرسل يوم ٥ أبيب ، وموعد عيد العنصرة غير ثابت إذاً هو يتغير كل عام تبعاً لموعد عيد القيامة .

● وطبقاً للحساب الأبقطى فإن أقرب موعد ممكن لعيد القيامة هو ٢٦ برمهات وفى هذه الحالة يكون عيد العنصرة ١٥ بشنس ، وصوم الرسل ١٦ بشنس ، وتكون مدة الصوم ٤٩ يوماً ، وهى أطول مدة ممكنة للصوم .

---

(١) القس بيشوى حلمى : كنيستى الأرثوذكسية ما أجملك ، ص ٢٦٤.

(٢) العلامة الأنبا إيسيذوروس : مرآة الحقائق الجلية ، ص ٢٧٥.

(٣) القس بيشوى حلمى : كنيستى الأرثوذكسية ما أجملك ، ص ٢٦٣ .

● وطبقاً للحساب نفسه فإن أبعد موعد ممكن لعيد القيامة هو ٣٠ برمودة ، وفى هذه الحالة يكون عيد العنصرة ١٩بؤونة ، وبدء صوم الرسل ٢٠ بؤونة ، وتكون مدة الصوم ١٥يوماً ، وهى أقصر مدة ممكنة للصوم .

ملحوظة : إن الرسل لم يسموا هذا الصوم باسمهم ، بل أن آباء مجمع نيقية هم الذين سموه بهذا الاسم إكراماً لهم ، وقد كان فى زمانهم يُدعى صوم العنصرة . (١)

لماذا نسمى بعض الأصوام بأسماء القديسين إن كانت الأصوام تقدم لله وحده؟

١ـ لارتباط هذه الأصوام بمناسبات لهؤلاء القديسين :

ـ فصوم السيدة العذراء سُمى هكذا لأنه ينتهى بعيد تذكار ظهور جسد السيدة العذراء مريم ، ولأن جماعة التلاميذ صامته أولاً (طبقاً لكثير من التقاليد القديمة) من أجل أن تتحقق من صعود جسد السيدة العذراء للسماء فعلاً .

ـ وصوم الرسل سُمى هكذا لأنه ينتهى بعيد الرسل وتذكار شهادة الرسولين بطرس وبولس ، ولأن الرسل طبقاً لوصية السيد المسيح نفسه قد صاموه أولاً فسُمى الصوم باسمهم .

٢ـ لتمييز الأصوام عن بعضها :

ـ فالأصوام عندنا متعددة فى الكنيسة الأرثوذكسية ونحن نفخر بهذا أننا كنيسة صوم وصلاة ، فلتمييز صوم عن آخر استخدم المؤمنون هذه الأسماء للتمييز ، وبخاصة أن كل صوم يرتبط بمناسبة تتعلق باسم القديس أو القديسة كما سبق وذكرنا .

ولقد سمى الله شريعته باسم موسى عبده الذى تلقاها من يده إذ قال : «اذكروا شريعة موسى عبدى» . (ملا ٤ : ٤) فهل هذا يعنى أن واضعها هو موسى النبى ؟ بالطبع لا .

ـ ونحن حينما نقول «هيكل سليمان» فهل يعنى هذا أن سليمان هو صاحب الهيكل ؟

ـ ونحن كذلك نسمى الكنائس بأسماء الملائكة والقديسين ، فهل هذا يعنى أنهم أصحاب هذه الكنائس أم أن الكنيسة هى ملك لله وحده فهو صاحبها ومؤسسها وفاديها .

ـ وعلى هذا فإن إسناد الشيء لواضعه أو قائله ، لا يعنى بالضرورة أن هذا الشيء له بكامله .

ـ فنحن لسنا إذن نصوم للعذراء مريم ولا للرسل بل نصوم لله وحده .

ولا يوجد فى الكنيسة أرثوذكسى واحد لا يعرف هذا ... فإذا كان أحد عاش فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وخرج منها وهو لا يدرك هذا ، فلست أعتقد أن العيب فى النظام الموضوع !!!

---

(١) العلامة الأنبا إيسيذوروس : مرآة الحقائق الجلية ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

٢ـ الصلوات

هل الصلوات والألحان التى تقال فى صومى السيدة العذراء مريم والرسل تدل على أن الصوم يقدم للعذراء أو الرسل ، وليس لله ؟ :

١ـ صوم السيدة العذراء :

فى صلوات القداس لا تُقال ألحان إضافية كثيرة فى صوم السيدة العذراء ، فلا يوجد إلا مرد لإنجيل عشية ، ومرد لإنجيل باكر ، ومرد لإنجيل القداس ، وها هى كلمات هذه المردات :

ـمرد إنجيل عشية :

نساء كثيرات نلن كرامات تعاليت أنت أكثر من جميعهن ، لأنك أنت فخر العذارى يا مريم والدة الإله ، اشفعى فينا .

ـمرد إنجيل باكر :

كل ملوك الأرض يسيرون فى نورك ، والأمم فى ضيائك ، يا مريم أم الله ، اشفعى فينا ....

ـمرد إنجيل القداس :

نُعظمكِ باستحقاق : مع اليصابات نسيبتكِ : قائلين مباركة أنتِ فى النساء : ومباركة هى ثمرة بطنك ، اشفعى فينا ...

إذن فجميعها عبارة عن تأمل في جمال وفضائل العذراء وطلب لشفاعتها مع التأكيد على أنها والدة ألإله ، فماذا فى هذه الكلمات يدل على أن الصوم يقدم للعذراء مريم وليس لله .

ـوأيضاً إليك كلمات صلاة القسمة التى تقال فى قداسات صوم السيدة العذراء :

«هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذى يحمل خطية العالم كله ، الجالس على كرسى مجده ، الذى تقف أمامه جميع الطغمات السمائية ، الذى تسبحه الملائكة بأصوات البركة ، ويخر ويسجد له رؤساء الملائكة ، الأربعة حيوانات غير المتجسدين يقولون تسبحة الثلاثة تقديسات . والأربعة والعشرون قسيساً جلوس على كراسيهم ، وأربعة وعشرون إكليل ذهب على رؤوسهم ، وأربعة وعشرون جاماً من ذهب فى أيديهم مملوءة بخوراً الذى هو صلوات القديسين ، ويسجدون أمام الحى إلى أبد الآبدين . والمائة وأربعة وأربعون ألفاً البتوليون غير الدنسين يسبحون الرب قائلين : قدوس قدوس قدوس آمين ، الليلويا . باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد ، آمين ، الليلويا . ونحن أيضاً نسجد للثالوث القدوس ونسبحه قائلين : قدوس الله الآب ضابط الكل ، آمين الليلويا . قدوس ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ، آمين الليلويا . قدوس الروح القدس البارقليط ، آمين الليلويا .

مقدسة ومملوءة مجداً والدة الإله الطاهرة القديسة مريم العذراء ، آمين الليلويا . مقدسة ومملوءة مجداً هذه الذبيحة التى ذُبحت عن حياة العالم كله ، آمين الليلويا . من أجل هذا صرخ مخلصنا الصالح قائلاً : إن جسدى هو مأكل حق ودمى هو مشرب حق ، من يأكل جسدى ويشرب دمى يكون فى وأنا أيضاً أكون فيه ، نسألك يا سيدنا ، طهر أنفسنا وأجسادنا ، وأرواحنا ، لكى بقلب طاهر ، وشفتين نقيتين ، ونفس مستنيرة ، ووجه غير مخزى ، وإيمان بلا رياء ، ونية نقية ، وصبر كامل ، ورجاء ثابت ، نجسر بدالة بغير خوف أن نطلب إليك أيها الآب القدوس الذى فى السموات ، ونقول : أبانا الذى فى السموات ... إلخ .

- ماذا فى هذه الكلمات يدل من قريب أو بعيد على أن صوم العذراء يُقدم للعذراء وليس لله ؟ إنها وصف للعرش الإلهى وللواقفين حوله كما جاء فى سفر الرؤيا . العبارة الوحيدة التى ذكرت عن العذراء مريم فى هذه الصلاة هى : «مقدسة ومملوءة مجداً والدة الإله الطاهرة القديسة مريم آمين الليلويا» وهى عبارة عن تأمل فى فضائل السيدة العذراء مريم وألقابها لم تخرج كلها عن المنهج الأرثوذكسى الكتابى والآبائى .

٢ـ صوم الرسل :

وها إليك الألحان والصلوات الإضافية التى تقال فى صوم الآباء الرسل :

ـ مرد الإبركسيس :

السلام لسادتى الآباء الرسل ، السلام لتلاميذ ربنا يسوع المسيح .

هذا مجرد إعطاء السلام للرسل ولتلاميذ السيد المسيح .

ـ ما يُقال فى توزيع صوم الآباء الرسل :

- فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد .
- صعد إلى السموات ، وأرسل لنا البارقليط ، روح الحق المعزى . آمين الليلويا .
- جعل الاثنين واحداً ، أى السماء والأرض . صعد إلى السموات ، وأرسل لنا البارقليط ، روح الحق المعزى . آمين الليلويا .
- تعالوا يا جميع الشعوب لنسجد ليسوع المسيح . صعد إلى السموات ، وأرسل لنا البارقليط ، روح الحق المعزى . آمين الليلويا .
- هذا هو الله مخلصنا ، ورب كل جسد . صعد إلى السموات ، وأرسل لنا البارقليط ، روح الحق المعزى . آمين الليلويا .
- ثالوث فى واحد وواحد فى ثالوث ، الآب والابن والروح القدس ، روح الحق المعزى ، آمين الليلويا .

اللحن كله تأمل فى يسوع المسيح الذى صعد إلى السموات بعدما صالح الأرضيين مع السمائيين ، وجعل الاثنين واحداً ثم بعدما صعد أرسل الروح القدس للكنيسة ، ولا يوجد فى اللحن عبارة واحدة موجهة للآباء الرسل .

- وأيضاً صلاة القسمة التى تقال فى صوم الرسل :

«أنت هو كلمة الآب الإله الذى قبل الدهور رئيس الكهنة الأعظم ، الذى تجسد وتأنس من أجل خلاص جنس البشر . ودعا له من جميع الأمم جنساً مختاراً ، مملكة وكهنوتاً وأمة مقدسة وشعباً مبرراً . إذ أرسلت الروح القدس على الرسل يوم الخمسين ، وحلَّ عليهم مثل ألسنة نار منقسمة على كل واحد منهم ، وملأهم من كل معرفة وكل فهم وكل حكمة روحية كوعهدك الصادق ، وتكلموا بكل اللغات ، وبشروا باسمك القدوس فى جميع الأمم . أما بطرس وبولس الرسولان ، فكان ظل أحدهما يشفى الأمراض ، وكانت مناديل وعصائب الآخر تُذهب الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة . وبعدما كرزا بإنجيل الملكوت وعلما الأمم ، سُفك دمهما من أجل اسمك القدوس ، ونالا إكليل الرسولية وإكليل الشهادة . فيا من أنعم لتلاميذه القديسين ورسله المكرمين بحلول الروح المعزى عليهم ، وأعطاهم السلطان أن يصنعوا الأشفية والآيات والعجائب ، وبشرونا باسمه القدوس ، وردونا إلى الإيمان الحقيقى بالثالوث الأقدس ، نسبحك ونباركك ونمجدك ونشكرك لأجل هذه النعم العظيمة ، ونسألك يا سيدنا أن تنعم علينا بغفران خطايانا ، وتطهر قلوبنا وأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ، لكى بقلب طاهر نجسر بدالة بغير خوف أن نصرخ نحو أبيك القدوس الذى فى السموات ونقول : أبانا الذى فى السموات ..... إلخ .

- ماذا فى هذه الصلاة يدل على ما وصل إليه المعترض ؟

لقد قرأت كلمات صلاة القسمة بإمعان شديد مرات عديدة ، ولم أجد شيئاً من بعيد أو قريب فيه عبادة لتلميذ أو لرسول . فكلمات الصلاة تتحدث عن السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم الذى أسس سر الكهنوت المقدس وأرسل الروح القدس على الرسل يوم الخمسين ، ووصف دقيق لهذا الحدث ونتائجه ، ثم وصف لخدمة القديسين بطرس وبولس ، وحديث عن خدمة الآباء الرسل وانتشار خدمتهم فى كل المسكونة طبقاً لما جاء بالمزمور : « إلى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة بلغت أقوالهم » . (مز ١١٩ : ٤)

٦ - هل نحن نعبد العذراء مريم والقديسين فى صلوات الأجبية؟

يقول المعترض تحت عنوان « عبادة القديسين وعلى رأسهم العذراء في صلوات الأجبية » :

● « وهكذا تصلى الكنيسة الأرثوذكسية إلى العذراء « وغيرها من القديسين وهم جميعاً بشر» وتتشفع بها لنوال ليس فقط غفران الخطايا بل وأيضاً الخلاص وتضع الثقة فيها وتخاطبها أنت هى رجاؤنا ، وإننا نتسائل أى دور أو مجد يتبقى للرب يسوع المسيح بعد كل هذا ؟ .. وإن لم يكن هذا هو زنا روحى فماذا يكون ؟» .

الرد :

للرب يسوع المسيح كل المجد ، ولقديسيه بعض المجد من خلاله ، فنحن لا نعرف القديسين بعيداً عن المسيح مخلصهم وفاديهم . والقديسون أنفسهم لم يصروا قديسين إلا بعمل المسيح الخلاصى فى داخلهم .. والآن دعنا نرد على هذا الأمر بشىء من التفصيل :

لماذا نحن نطوب العذراء مريم ؟

● نحن نطوب العذراء على بتوليتها ، وإيمانها ، وحياتها المقدسة وفضائلها الجميلة . كل ذلك معاً وبخاصة لكونها والدة الإله ، لأنها تميزت بهذا عن كل نساء العالم .

ـ وكما نقول لها فى اللحن : «نساء كثيرات نلن كرامات . ولم تنل مثلك واحدة منهن» . (أم ٣١ : ٢٩)

والآن ، لنعرض معاً ما جاء عن العذراء مريم والقديسين فى صلوات الأجبية ، لنرى هل هناك حق للمدعى فى هذا الإدعاء أم لا :

✝ تسبحة السلام لك :

نص التسبحة :

« السلام لك نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين والدة الإله أم المسيح اصعدى صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا ، السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى المسيح إلهنا العذراء القديسة اسألى الرب عنا ليصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا . أيتها العذراء مريم والدة الإله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية ، اشفعى فينا أمام المسيح الذى ولدتيه لكى ينعم علينا بغفران خطايانا . السلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقية . السلام لفخر جنسنا ، ولدت لنا عمانوئيل . نسألك : اذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة ، أمام ربنا يسوع المسيح ، ليغفر لنا خطايانا » .

التعليق :

هذه التسبحة الجميلة تشتمل على عنصرين أساسين :

١ ـ طلب شفاعة العذراء .

٢ ـ وصف العذراء بصفات كتابية ، أى ذكرت فى الكتاب المقدس:

ـ الممتلئة مجداً ، كما جاء فى بشارة الملاك « سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ... مباركة أنت فى النساء» . (لو ١ : ٢٨)
ـ العذراء كل حين ، كما جاء فى نبوة (حز ٤٤ : ١ ـ ٣) .
ـ والدة الإله أم المسيح ، كما جاء فى كلام الملاك أيضاً (لو ١ : ٤٤) .
ـ القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية ، كما حدث فى معجزة عرس قانا الجليل (يو ٢) .
ـ العذراء الملكة الحقيقية ، كما جاء فى مزمور (مز ٤٥ : ٩) .
ونلاحظ أن كلمات التسبحة تذكر العذراء منسوبة للسيد المسيح كثيراً فهى والدة الإله ، وأم المسيح التى ولدت لنا النور الحقيقى المسيح إلهنا ، وعمانوئيل إلهنا .

✝ القطعة الثالثة من صلاة باكر النهار :

نص القطعة :

« أنت هى أم النور المكرمة ، من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله السماء الثانية ، لأنك أنت هى الزهرة النيرة غير المتغيرة والأم الباقية عذراء ، لأن الآب اختارك ، والروح القدس ظللك ، والابن تنازل وتجسد منك . فاسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه ، وأن ينجيه من التجارب . ولنسبحه تسبيحاً جديداً ونباركه الآن وكل أوان وإلى الأبد . آمين » .

التعليق :

فى هذه القطعة يصف المصلى العذراء مريم بالصفات الآتية :
١ ـ أم النور : فالسيد المسيح هو النور الحقيقى .
٢ ـ المطوبة والمكرمة من مشارق الشمس إلى مغاربها : كما قالت هى : « هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » . (لو ١ : ٤٨)
٣ ـ والدة الإله : كما قالت لها اليصابات: « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ » . (لو ١ : ٤٤)
٤ ـ السماء الثانية : لأنها حملت ابن الله الكلمة فى أحشائها .
٥ ـ الزهرة النيرة غير المتغيرة : الزهرة التى تفوح بشذاها دائماً أى بسيرتها العطرة .
٦ ـ الأم الباقية عذراء : العذراء دائمة البتولية .
٧ ـ الآب اختارك والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » . (لو ١ : ٣٥)
ثم أخيراً يطلب المصلى شفاعة العذراء بعدما تأمل فى فضائلها الجميلة .

✝ القطعة الثالثة من صلاة الساعة الثالثة :

نص القطعة :

● « يا والدة الإله أنت هى الكرمة الحقيقية الحاملة عنقود الحياة ، نسألك أيتها الممتلئة نعمة ، مع الرسل ، من أجل خلاص نفوسنا . مبارك الرب إلهنا . مبارك الرب يوماً فيوماً ، يهيئ طريقنا لأنه إله خلاصنا » .

التعليق :

● هنا يصف المصلى السيدة العذراء بالصفات الآتية :

١ ـ والدة الإله .

٢ ـ الكرمة الحقيقية الحاملة عنقود الحياة : هذا اللقب للسيدة العذراء مرتبط بميلادها للسيد المسيح عنقود الحياة .

٣ ـ الممتلئة نعمة مع الرسل : لقد قال لها الملاك فى البشارة : « السلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة ». يطلب المصلى من العذراء مع الرسل شفاعتهم من أجل خلاص نفوسنا .

● وفى وصف السيدة العذراء بالكرمة الحقيقية (الحقانية) يقول **قداسة البابا شنوده الثالث :**

[المسيح يقول : « أنا الكرمة الحقيقية » بمعنى معين .والعذراء تسمى « الكرمة الحقانية » بمعنى آخر . ويمكن أن يطلق لقب (الكرمة) أيضاً على الكنيسة ، وعلى الشعب ، وعلى النفس البشرية ، كما هو واضح من الكتاب المقدس نفسه .

ـ فقد أطلق الكتاب لقب (الكرمة) على الكنيسة . فقيل فى المزمور : « يا إله الجنود ، ارجع واطلع من السماء . تعهد هذه الكرمة والغرس الذى غرسته بيمينك » (مز ٨٠ : ١٤) . ونحن نستخدم هذا المزمور فى ألحان الكنيسة .

ـ والرب نفسه أطلق لقب « الكرمة » على الكنيسة ، وذلك فى قوله : « فى ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة . أنا الرب حارسها أسقيها كل لحظة » . (إش ٢٧ : ٢) ، وقال أيضاً : « والآن يا سكان أورشليم ، أحكموا بينى وبين كرمى . ماذا يصنع أيضاً لكرمى وأنا لم أصنعه ؟ لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً . صنع عنباً رديئاً » . (إش ٥ : ٣ ، ٤)

ـ وقال الرب فى تشبيه شعبه أو الكنيسة بالكرم : « إنسان رب بيت ، غرس كرماً ، وأحاطه بسياج . وسلمه إلى كرامين ، وسافر ... » . (مت ٢١ : ٣٣) هنا شبه الرب الكنيسة بالكرم ، ولقب الرعاة بالكرامين ، أى أعطاهم لقب الآب حينما قال : « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام » ولكن المعنى يختلف بين كلمة كرمة عن المسيح ، وكلمة كرمة عن الكنيسة .

ـ بل أطلق الكتاب لقب (كرمة) على المرأة بقوله : « إمرأتك مثل كرمة مخصبة فى جوانب

بيتك . بنوك مثل غصون الزيتون الجدد حول مائدتك » . (مز ١٢٨ : ٣)
ـ فإن كانت كلمة كرمة قد أطلقت على المرأة أو الزوجة ، وقد أطلقت على شعب الله حتى وهو فى حالة الخطية ، وقد أطلقت على الكنيسة ، فما المانع أن تطلق على العذراء التى نلقبها بالسماء الثانية .] . (١)

✝ القطعة السادسة من صلاة الساعة الثالثة :

نص القطعة :

● « إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس نحسب كالقيام فى السماء . يا والدة الإله ، أنت هى باب السماء ، افتحى لنا باب الرحمة والتحنن » .

التعليق :

● هنا وصف للعذراء مريم بأنها باب السماء ، وذلك من حيث إن ابن الله الكلمة تجسد منها بعمل الروح القدس ، وفتح السماء للمؤمنين إذن فهى الباب الذى تجسد الابن منها وفتح باب السماء .

● وفى وصف السيدة العذراء بأنها باب السماء يقول **قداسة البابا شنوده الثالث :**

[إن السيد المسيح (باب) بمعنى ، والعذراء (باب) بمعنى آخر .
ـ وقد منحنا السيد المسيح كثيراً من ألقابه ، مع اختلاف المعنى . فقال أنتم نور العالم ، وقال أنا نور العالم . ولكنه نور بمعناه المطلق ، ونحن نور نستمد نورنا منه ، كذلك كون العذراء باباً ، لا يمنع إطلاقاً أن المسيح هو باب الخراف .
ـ وقد أطلق لقب (باب) أيضاً على الكنيسة ، وعلى الصلاة ، وعلى الإيمان ، وعلى الكرازة ، وعلى كل الوسائط الروحية .
ـ ولم يكن فى هذا كله أى مساس بالسيد المسيح وعمله الخلاصى . وهذه الألقاب كما سنرى، مذكورة فى الكتاب المقدس ، توافق الحق الكتابى الذى يدافعون عنه .
أول كنيسة دشنت فى العالم ، لقبت بباب السماء . قال يعقوب أبو الآباء فيها حين رأى سلماً واصلاً بين السماء والأرض ، ما هذا إلا بيت الله ، وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٧) وسُمى المكان « بيت إيل » أى « بيت الله » . فهل كون الكنيسة باب السماء ، يمنع أن يكون المسيح هو الباب ؟ الكنيسة باب يوصل إلى المسيح ، والمسيح باب يوصل إلى الخلاص أو إلى الآب . اللقب موجود ، والمعنى مختلف .

(١) قداسة البابا شنودة الثالث : أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

ـ هكذا العذراء أيضاً ، هى الباب الذى أوصل المسيح إلينا بالجسد ، وقد دعيت باباً فى سفر حزقيال (٤٤ : ٣) . باب فى المشرق يكون مغلقاً « لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً » .

ـ والصلاة أيضاً دعيت باباً للسماء ، فالسماء تنفتح بالصلاة .

ـ وقد ذكر الكتاب أن هناك أبواباً توصل إلى السماء ، فورد فى سفر الرؤيا « طوبى للذين يصنعون وصاياه ، لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ، ويدخلون من الأبواب إلى المدينة » (رؤ ٢٢ : ١٤) . فهل وجود (أبواب) يمنع أن المسيح هو الباب ؟

ـ إن كل الوسائط الروحية أبواب ، ولكنها توصل إلى المسيح ، الذى هو الباب الوحيد الموصل إلى الخلاص بدمه .

ـ وقد تحدث الرب عن هذا الأمر فقال : « ما أضيق الباب وأكرب الطريق المؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ٧ : ١٤) . وطبعاً لم يكن يتحدث عن نفسه أنه « ضيق ، وكرب » . فهل حديث ربنا عن الباب الضيق ، يمنع أنه (الباب) ؟ إن الحرف يقتل (٢ كو ٣ : ٦) بينما الروح يحيي . وينبغى أن نفهم كلام الرب وصلوات الكنيسة بطريقة روحية غير حرفية ، قارنين الروحيات بالروحيات (١ كو ٢ : ١٣) .

ـ الصلاة باب يوصل إلى الله ، والإيمان باب يوصل إليه . لما حضر شاول وبرنابا إلى أنطاكية ، وجمعا الكنيسة « أخبرا بكل ما صنع الله معهما ، وأنه فتح للأمم باب الإيمان » (أع ١٤ : ٢٧). باب الإيمان هذا كان هو وسيلتهم للخلاص ، لأنه أوصلهم إلى السيد المسيح .

ـ والكرازة أيضاً باب يوصل إلى الخلاص ، لأنه يوصل إلى الإيمان ، والإيمان يوصل إلى المسيح .

ـ العذراء باب خرج منه المسيح ليخلص العالم . ومن هو المسيح ؟

١ ـ المسيح هو الحياة ، كما قال عن نفسه : « أنا هو القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) ، « أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦) .

إذن تكون العذراء هى باب الحياة ، لأنها الباب الذى منه خرج المسيح الذى هو الحياة .

٢ ـ والمسيح كما أنه المخلص ، هو أيضاً « قد صار لنا خلاصاً » (مز ١١٨) ، ونحن نصلى بهذا المزمور ونقول : « قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار لى خلاصاً » . فإن كان المسيح خلاصاً للعالم ، فلا غرابة من أن نسمى الباب الذى خرج منه المسيح ، أى العذراء باب الخلاص] . (١)

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

✝ القطعة الثالثة من صلاة الساعة السادسة :

نص القطعة :

« إذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا ، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك يا والدة الإله العذراء ، لأن كثيرة هى شفاعتك ومقبولة عند مخلصنا أيتها الأم الطاهرة ، لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولد منك ، لأنه رحوم وقادر على خلاصنا ، لأنه تألم من أجلنا لكى يُنقذنا ، فلتدركنا رأفاتك سريعاً لأننا قد تمسكنا جداً . أعنا يا الله مخلصنا من أجل مجد اسمك . يا رب نجنا واغفر لنا خطايانا من أجل اسمك القدوس » .

التعليق :

- نحن بك نتوسل إلى الذى وُلد منك يا والدة الإله العذراء : إذن فهى شفاعة توسلية .
- لأن كثيرة هى شفاعتك قوية ومقبولة عند مخلصنا : نحن نعرف مكانتك وندرك قدر شفاعتك ، فقد رأينا هذا فى معجزة عرس قانا الجليل وكيف أن ابنك لم يرفض طلبك .
- أيتها الأم الطاهرة لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولدتيه : نحن نعرف أننا خطاة وأنت طاهرة ولكنك أم ، فلهذا نطلب منك ألا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند السيد المسيح الذى ولدتيه .

✝ القطعة السادسة من صلاة الساعة السادسة :

نص القطعة :

- « أنت هى الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء ، نعظمك لأن من قبل صليب ابنك انهبط الجحيم وبطل الموت . أمواتاً كنا فنهضنا ، واستحققنا الحياة الأبدية ، ونلنا نعيم الفردوس الأول ، من أجل هذا نمجد بشكر غير المائت المسيح إلهنا » .

التعليق :

- أنت هى الممتلئة نعمة : نفس كلمات الملاك غبريال للعذراء ... (لو ١ : ٢٨) .
- نعظمك ونطوبك بحق ، طبقاً لنبوتك : « هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى ... » . (لو ١ : ٤٨)

✝ القطعة الثالثة من صلاة الساعة التاسعة :

نص القطعة :

- « يا من وُلدت من البتول من أجلنا ، واحتملت الصلب أيها الصالح وقتلت الموت بموتك وأظهرت القيامة بقيامتك ، لا تعرض يا الله عن الذين جبلتهم بيديك . أظهر محبتك للبشر

أيها الصالح . اقبل من والدتك شفاعة من أجلنا . نج يا مخلص شعبا متواضعاً . لا تتركنا إلى الانقضاء ولا تسلمنا إلى الدهر ، ولا تنقض عهدك ولا تنزع عنا رحمتك ، من أجل إبراهيم حبيبك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك » .

التعليق :

● يا من وُلدت من البتول من أجلنا : حقيقى تجسدك وولادتك من العذراء كانا من أجل فدائنا.

● إقبل من والدتك شفاعة : نحن نطلب من العذراء أن تتشفع من أجلنا ، ونطلب من السيد المسيح أن يقبل شفاعة العذراء من أجلنا .

● من أجل إبراهيم حبيبك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك : هنا نطلب شفاعة الآباء الأولين أيضاً إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى جانب شفاعة العذراء مريم .

☦ القطعة السادسة من صلاة الساعة التاسعة :

نص القطعة :

● « عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقاً قالت وهى باكية : أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل ، يا ابنى وإلهى » .

التعليق :

● هذه القطعة تصف حالة السيدة العذراء عند الصليب ، كما توضح علاقة العذراء بالسيد المسيح فهو ابنها وإلهها فى آن واحد ، ابنها الذى وُلد منها فى ملء الزمان ، وإلهها أيضاً فى كل وقت وزمان .

☦ القطعة الثالثة من صلاة الساعة الحادية عشر :

نص القطعة :

● « لكل إثم بحرص ونشاط فعلتُ ، ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبتُ ، ولكل عذاب وحكم استوجبتُ . فهيئى لي أسبابَ التوبة أيتها السيِّدة العذراء . فإليك أتضرع وبك استشفع، وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى . وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى ، ولمؤامرة الأعداء اهزمى ، ولأبواب الجحيم أغلقى . لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى » .

التعليق :

● كل هذه الطلبات فى إطار طلب شفاعة العذراء التوسلية ، وهذا واضح من خلال الكلمات

الآتية : « إليك أتضرع وبك استشفع » ، كل هذه الطلبات من خلال أن المصلى يستشفع بالعذراء مريم من أجل زيارات النعمة التى تساعده على التوبة ، فالتوبة لها شقان الأول عمل النعمة والثانى استجابة الإنسان نفسه ، فهنا المصلى يطلب من أجل عمل النعمة فى قلبه واستجابته لها .

● وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى : ساعدينى بشفاعتك ، ساعدينى بسيرتك الحلوة ، ساعدينى بأن أتأمل فى صفاتك وفضائلك حتى أعيش فى حياة الفضيلة مثلك فلا أخزى فى يوم الدينونة .

● وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى : بعض المؤمنين فعلاً وقت نياحتهم شاهدوا مشاهد روحانية منها رؤيتهم للعذراء مريم والملائكة والقديسين .

● ولمؤامرة الأعداء اهزمى : الشياطين من حولى يتآمرون لإسقاطى بالخيالات والأفكار والمحاربات ، وأنت يمكنك أن تحاربى معى بشفاعتك وبسيرتك الحلوة وبنموذجك العملى الجميل ... (وهذا يسمح به الله من أجل عمل توازن بين قوى الشر التى تحارب المؤمن وقوى الخير ممثلة فى مساندة الملائكة والقديسين) .

● ولأبواب الجحيم اغلقى : وحينما انتصر هكذا على الخطية سيكون مكانى هو الفردوس بعد انتقالى وليس الجحيم .

● يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى : فأنت العروس الممتلئة نعمة ، والتى وجدها المسيح أهلاً لهذه المهمة الكبرى أن تكون أم الله .

● وعن وصف السيدة العذراء بالعروس يقول **قداسة البابا شنوده الثالث :**

[« حقاً إن الكنيسة دعيت عروس كما قال يوحنا المعمدان ، ولكن كل نفس بشرية هى أيضاً عروس للرب . ومن مجموع هذه العرائس ، تتكون العروس الكبرى .

- كون الكنيسة عروس للمسيح ، لم يمنع أن تكون كل نفس عذراء عروس للمسيح ، كما يعلمنا الكتاب المقدس .

- والسيد المسيح نفسه هو الذى يقدم هذا التعليم ، فيقول إن ملكوت السموات يشبه خمس عذارى حكيمات خرجن لاستقبال العريس ، وكن مستعدات ، فدخلن معه إلى العرس .

- هؤلاء العذارى الحكيمات ، رمز لكل عروس للمسيح . ولم يقل الكتاب إن عذراء واحدة، هى التى كانت تنتظره ودخلت معه إلى العرس ، لتتمتع بعريسها ، بل قال (عذارى) يعنى كل نفس على حدة . فما يطلق على الكنيسة هنا ، يطلق على كل نفس .

- لذلك كل فتاة كرست نفسها للرب ، تدعو ذاتها عروساً للمسيح . كذلك كل نفس تحبه ،

نفس رجل أو إمرأة ، هى عروس للمسيح ، تنتظره لتدخل معه إلى عرسه السمائى .
- وتعبير عروس ، مألوف فى سفر النشيد « ما أحسن حبك يا أختى العروس » « شفتاك يا عروس تقطران شهداً » « أختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ٨ - ١٢) . ونلاحظ فى هذه الآيات استخدام عبارتى (العروس) و (عروس) بلا تفريق ، تؤديان معاً معنى واحداً .
إن كلمات السفر من الممكن أن تعنى الكنيسة حيناً ، أو تعنى أية نفس بشرية فى أحيان كثيرة .
فإن كانت كلمة (عروس) يمكن أن تطلق على أية نفس بشرية ، لماذا لا تطلق بالأولى على العذراء ؟] . (١)

✝ القطعة الثالثة من صلاة النوم :

نص القطعة :

● « أيتها العذراء الطاهرة أسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك . وأبعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى . وأنهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر ، لأنها استغرقت فى سُبات عميق . فإنك أم قادرة رحيمة معينة ، والدة ينبوع الحياة ، ملكى والهى ، يسوع المسيح رجائى » .

التعليق :

● أرسلى معونتك بشفاعتك عنى ، وابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى بتذكرى لسيرتك الطاهرة وانهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر بتذكرى حياتك فى الهيكل وكيف كانت فى صلوات مستمرة وسهر دائم ، أنا أعرف أنك أم قادرة فى شفاعتك ، معينة لأولادك ، والدة يسوع المسيح رجائى .

✝ القطعة الثالثة من صلاة الستار :

نص القطعة :

● « يا والدة الإله إذ قد وثقنا بك فلا نخزى بل نخلص . وإذ قد اقتنينا معونتك ووساطتك أيتها الطاهرة الكاملة ، فلا نخاف بل نطرد أعداءنا فنبددهم ، ونتخذ لنا ستر معونتك القوية فى كل شىء نظير الترس . ونسأل ونتضرع إليك هاتفين يا والدة الإله لكى تخلصينا بشفاعتك وتنهضينا من النوم المظلم إلى التمجيد بقوة الإله المتجسد منك » .

التعليق :

● أيتها العذراء : حيث إننا نثق فى مكانتك وشفاعتك ومعونتك فنحن لا نخاف ولا نخزى فنحن نعرف مقدار معونتك العظيمة التى هى مثل الستر الذى يظلل ومثل الترس الذى

---

(١) قداسة البابا شنودة الثالث : أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، ص ١٨ - ٢٠ .

يحمى فنسألك أن تتشفعى فينا لننهض إلى التمجيد بقوة الإله المتجسد منك .

● تخلصينا وتنهضينا بقوة الإله المتجسد منك ، إذن فنحن ندرك جيداً أن الخلاص مصدره المسيح وحده فهو مصدر كل قوة ، ولكن نطلب شفاعتك وصلاتك ومعونتك فأنت أم تشعرين بأولادك .

☨ القطعة الثالثة من صلاة نصف الليل (الخدمة الأولى) :

نص القطعة :

● « أنت هى سور خلاصنا يا والدة الإله العذراء ، الحصن المنيع غير المنثلم أبطلى مشورة المعاندين ، وحزن عبيدك رديه إلى فرح ، وحصنى مدينتنا (ديرنا) ، وعن ملوكنا (رؤسائنا) حاربى ، وتشفعى عن سلام العالم ، لأنك أنت هى رجاؤنا يا والدة الإله » .

التعليق :

● تشفعى فينا يا والدة الإله واطلبى من المسيح أن :

- يبطل مشورة المعاندين .
- يحوِّل حزننا إلى فرح .
- يحصِّن مدينتنا .
- يحارب عن ملوكنا .
- تشفعى يا والدة الإله عن سلام العالم .

● وعن وصف السيدة العذراء بالسور يقول **قداسة البابا شنوده الثالث :**

[«إن كلمة السور تعطى فى الكتاب معنى الحماية : لذلك قال أحد غلمان نابال الكرملى لأبيجايل عن داود ورجاله «كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً كل الأيام التى كنا فيها معهم نرعى الغنم » (١ صم ٢٥ : ١٦) ، أى كانوا يحمونهم ويحافظون عليهم .

- وبهذا المعنى كان ينظر إلى « أسوار أورشليم » لحماية المدينة من أعدائها ، وأصبحت عبارة « مدينة بلا سور » تعنى أنها عرضة لهجوم الأعداء ، بلا حماية بلا حفظ .

- فهل اختص الله وحده بكلمة (سور) . أم أطلق هذا المعنى أيضاً على بعض من البشر ؟ لقد أطلق هذا اللقب على بعض الناس ، ولعل فى مقدمتهم إرميا النبى ، الذى قيل له من فم الرب : « وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصيناً » (إر ١٥ : ٢٠) . فإن كان هذا النبى قد عينه الله بنفسه لحماية الشعب ، بحيث يكون سوراً لهم وسوراً حصيناً ، فليس ضد الإيمان إذن أن تكون العذراء سوراً ، فهى ليست أقل من إرميا .

- ويؤكد الرب لإرميا ، هذا المعنى أيضاً ، فيقول له : « هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ،

وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض : لملوك يهوذا ولرؤسائها ولكهنتها ولشعب الأرض ... » (إر ١ : ١٨) . ما أعجب أن يكون إرميا سوراً ، لكل الأرض .

ـ والعروس فى سفر النشيد أخذت هى أيضاً لقب « سور » . « أنا سور ، وثدياى كبرجين . حينئذ كنت فى عينيه كواحدة سلامة » (نش ٨ : ١٠) فإن اعتبرنا العروس هنا هى الكنيسة ، تكونً الكنيسة سوراً للمؤمنين ، لحمايتهم من السقوط .

ـ فإن كان إرميا سوراً ، والكنيسة سوراً ، ما الخطأ فى أن تكون العذراء سوراً ، تحمينا بصلواتها المقبولة أمام الله .

ـ لقد نلنا الخلاص بدم المسيح . وهذا الذى نلناه يحتاج إلى صلوات تحميه ، وتكون سوراً له ، حتى لا نسقط بعد الإيمان .

وليس أقوى من صلوات العذراء ، والدة الإله ، سور خلاصنا] . (١)

✝ القطعة الثالثة من صلاة نصف الليل (الخدمة الثانية) :

نص القطعة :

● « السموات تطوبك أيتها الممتلئة نعمة ، العروس التى بلا زواج . ونحن أيضا نمجد ميلادك غير المدرك للمسيح . يا والدة الإله يا أم الرحمة والخلاص ، تشفعى من أجل خلاص نفوسنا » .

التعليق :

● السمائيون يطوبونك أيتها العذراء الممتلئة نعمة ، العروس بغير زواج ، والأرضيون يطوبونك يا والدة الإله ، يا أم الرحمة والخلاص ، ويمجدون ميلادك المعجزى للمسيح ، تشفعى من أجل خلاص نفوسنا .

وأم الرحمة والخلاص أى أم المسيح الذى تمم الخلاص ورحم الخطاة . فلأنها ولدت المسيح المخلص والذى رحم العالم بفدائه فهى أم الرحمة والخلاص .

✝ القطعة الثالثة من صلاة نصف الليل (الخدمة الثالثة) :

نص القطعة :

● « يا باب الحياة العقلى ، يا والدة الإله المكرمة ، خلصى الذين التجأوا إليك بإيمان من الشدائد، لكى نمجد ميلادك للمسيح الطاهر فى كل شىء من أجل خلاص نفوسنا » .

التعليق :

● يا باب الحياة العقلى : هنا العذراء توصف بأنها باب الحياة العقلى فما معنى هذا ؟

● السيد المسيح هو اللوغوس عقل الله الناطق : « فى البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله

(١) قداسة البابا شنودة الثالث : أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، ص ٣٠.

(يو ١ : ١) وهو الحياة : « أنا هو الطريق والحق والحياة » . (يو ١٤ : ٦)

● والعذراء مريم هى التى تجسد منها أقنوم الكلمة فهى باب الحياة العقلى .

● يا والدة الإله المكرمة تشفعى فى الذين التجأوا إليك بإيمان من الشدائد . إيمان فى شفاعتك ، إيمان فى مكانتك .

● لكى نمجد ميلادك للمسيح : هذا الميلاد الطاهر فى كل شيء أى الذى بدون زرع بشر ، هذا الميلاد الذى كان من أجل خلاص نفوسنا .

✝ تحليل الكهنة :

جاء فى صلاة التحليل :

● « ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك . بشفاعات ذات الشفاعات ، معدن الطهر والجود والبركات، سيدتنا كلنا ، وفخر جنسنا ، العذراء البتول الزكية القديسة مريم ، والشهيد المكرم مار مرقس الإنجيلى الرسول كاروز الديار المصرية ، وكافة الملائكة والآباء والأنبياء ، والرسل والشهداء والقديسين والسواح والعُبَّاد ، والنساك المجاهدين ، والذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة منذ آدم إلى آخر الدهور . ولك نسجد أيها الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .

التعليق :

● هنا نجد الأمور الآتية :

ـ مفهوم عقيدة الشفاعة واضح جداً : ارحمنا يا الله بشفاعات القديسة مريم و ....

ـ طلب شفاعة العذراء مريم وكل القديسين منذ آدم إلى آخر الدهور .

ـ أما وصف العذراء بأنها سيدتنا كلنا فهو تطويب ومديح لها لأنها والدة الإله بالحقيقة . ألم تسمع أحداً من قبل يخاطب من هو أعلى مكانة منه فيقول له : يا سيدى ، من قبيل الاحترام والتهذيب ؟ ... وهو بقوله له هذا لا يعنى أنه يعبده ... ألم يخاطبها الوحى قائلاً : «نساء كثيرات نلن كرامات ولم تنل مثلك واحدة منهن» . (أم ٣١ : ٢٩)

ـ ووصف السيدة العذراء بأنها فخر جنسنا فهذا حقيقة لا تقبل الشك ، فالعذراء مريم هى فخر جنس البشر لأنها الوحيدة التى وجدت نعمة بين كل نساء العالم ، ونالت هذا الشرف وتلك الكرامة أن تحمل ابن الله الكلمة تسعة أشهر فى أحشائها .

ـ أما وصفها بالزكية فيعنى : الطاهرة .

٧ـ هل نحن نقدم التسبيح والتمجيد والتعظيم للقديسين بما يعنى عبادتهم ؟

يقول المعترض :

[● كلام الرب واضح : « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات ». (إش ٤٢ : ٨)

تقدم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى جميع قداساتها واجتماعاتها التسبيح والتمجيد والتعظيم ليس فقط للرب بل أيضاً للعذراء والقديسين والملائكة معه ، بل وأحياناً قبله ، وأكثر منه ، أو بدونه ، ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الصلاة التى تسمى مقدمة قانون الإيمان] .

الـــرد :

● هل الآية : « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات » (إش ٤٢ : ٨) تعنى عدم إعطاء المجد والتسبيح للقديسين ؟

● هناك فرق بين التسبيح والتمجيد والتعظيم الذى يُقدم للقديسين ، وبين العبادة التى تُقدم لله وحده . فليس تمجيد القديسين أو تعظيمهم يعنى عبادتهم . وفى الواقع إن تمجيد القديسين ومدحهم هو أمر كتابى وليس بغريب عن روح الكتاب المقدس .

ونجد هذا الأمر واضحاً فى الآيات الآتية :

١ ـ «ذكر الصديق يدوم إلى الأبد» . (مز ١١٢ : ٦)

٢ ـ «ذكر الصديق للبركة» . (أم ١٠ : ٧)

٣ ـ «إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب» . (يو ١٢ : ٢٦)

٤ ـ «حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها» . (مت ٢٦ : ١٣)

٥ ـ «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم». (عب ١٣ : ٧)

ويتحدث سفر يشوع بن سيراخ فى سبعة أصحاحات كاملة (من ٤٤ إلى ٥٠) عن الآباء القديسين ، ويعطيهم المديح والمجد والكرامة فى كلمات واضحة لا تقبل النقاش أو عدم الفهم . وها مقتطفات منها ترد بأجلى بيان على هؤلاء الذين ينكرون إكرام القديسين ورفاتهم أو يرفضون إعطاءهم المجد .

✥ الأصحاح الرابع والأربعون :

«لنمدح الرجال النجباء آباءنا الذين ولدنا منهم ، **فيهم أنشأ الرب مجداً كثيراً وأبدى عظمته منذ الدهر**... رجال غنى واقتدار فاعلى سلامة فى بيوتهم ، أولئك كلهم نالوا مجداً فى أجيالهم وكانت أيامهم أيام فخر ... أما أولئك فهم رجال رحمة وبرهم لا ينسى ... إلى الأبد تدوم ذريتهم **ولا يمحى مجدهم** ، أجسامهم دفنت بالسلام وأسماؤهم تحيا مدى الأجيال ،

الشعوب يحدثون بحكمتهم والجماعة تخبر بمدحتهم .
- **أخنوخ** أرضَى الرب فنقل وسينادى الأجيال إلى التوبة .
- **نوح** وجد براً كاملاً وبه كانت المصالحة فى زمان الغضب ، فلذلك أبقيت بقية على الأرض حين كان الطوفان ، وأقيمت معه عهود لكى لا يهلك بالطوفان كل ذى جسد .
- **إبراهيم** كان أباً عظيماً لأمم كثيرة ولم يوجد نظيره فى المجد ، وقد حفظ شريعة العلى فعاهده عهداً ، وجعل العهد فى جسده ، وعند الامتحان وجد أميناً ، لذلك حلف له أن الأمم سيباركون فى نسله وأنه يكثر نسله كتراب الأرض ، ويعلى ذريته كنجوم ويورثهم من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض .
- وكذلك جعل فى **إسحق** لأجل إبراهيم أبيه ، بركة جميع الناس والعهد ، ثم أقرهما على رأس **يعقوب**» .

+ الأصحاح الخامس والأربعون :

- «**موسى** كان محبوباً عند الله والناس مبارك الذكر ، **فأتاه مجداً كمجد القديسين** وجعله عظيماً مرهوباً عند الأعداء بكلامه أزال الآيات ، ومجده أمام الملوك أوصاه بشعبه وأراه مجده... جعل له عهد الدهر وأعطاه كهنوت الشعب أسعده فى البهاء ، ونطقه حلة مجد ألبسه كمال الفخر وأيده بأدوات العزة» .

+ الأصحاح السادس والأربعون :

- «كان **يشوع بن نون** رجل بأس فى الحروب خليفة موسى فى النبوءات ... **ما أعظم مجده** عند رفع يديه وتسديد حربته على المدن ، من قام نظيره من قبله ، إن الرب نفسه دفع إليه الأعداء ، ألم ترجع الشمس إلى الوراء على يده وصار اليوم نحواً من يومين ...
- **والقضاة** كل منهم باسمه الذين لم تزن قلوبهم على الرب ولم يرتدوا عنه ، **ليكن ذكرهم مباركاً ولتزهر عظامهم من مواضعها ، وليتجدد اسمهم وليمجدهم بنوهم .**
- «**صموئيل** المحبوب عند الرب نبى الرب سن الملك ومسح رؤساء شعبه ، قضى للجماعة بحسب شريعة الرب وافتقد الرب يعقوب ... وقبل رقاده عن الدهر شهد أمام الرب ومسيحه إنى لم أخذ من أحد من البشر مالاً بل ولا حذاء ولم يشكه إنسان ، **ومن بعد رقاده تنبأ** وأخبر الملك بوفاته ورفع من الأرض صوته بالنبوءة لمحو إثم الشعب» .

+ الأصحاح الثامن والأربعون :

- «ما أعظم مجدك يا **إيليا** بعجائبك ومن له فخر كفخرك» .

عزيزى : أدعوك لقراءة الآيات مرة أخرى لتتعرف على عظمة ومجد القديسين ، ولتدرك عمق كلمات الوحى المقدس التى قيلت عن القديسين وكيف أنه يأمر بمدحهم وذكرهم دائماً.

● **تعليق على هذه الآيات :**

١ - يطلب الوحى الإلهى منا أن نمدح آباءنا القديسين : «لنمدح الرجال النجباء آباءنا الذين ولدنا منهم» .

٢ - يعلن أن الله بنفسه أنشأ (أقام) فيهم مجداً كثيراً وأظهر عظمته فيهم : «فيهم أنشأ الرب مجداً كثيراً وأبدى عظمته منذ الدهر» .

٣ - ثم أخذ فى مدحهم :

«رجال غنى واقتدار فاعلى سلامة فى بيوتهم»

«أولئك كلهم نالوا مجداً فى أجيالهم وكانت أيامهم أيام فخر»

«أما أولئك فهم رجال رحمة وبرهم لا ينسى»

«إلى الأبد تدوم ذريتهم (أولادهم الروحيين أو الجسديين) ولا يمحى مجدهم»

«أجسامهم دفنت بالسلام وأسماؤهم تحيا مدى الأجيال»

«الشعوب يحدثون بحكمتهم والجماعة تخبر بمدحتهم»

٤ - ثم بدأ يمدح فى الآباء البطاركة الأولين : أخنوخ - نوح - إبراهيم - إسحق - يعقوب . ثم موسى ويشوع ثم القضاة ثم صموئيل وغيرهم أيضاً .

٥ - تأمل قوله عن نوح البار : «وجد بَراً كاملاً وبه كانت المصالحة فى زمان الغضب ، فلذلك أبقيت بقية على الأرض حين كان الطوفان» .

٦ - تأمل قوله عن موسى النبى : «موسى كان محبوباً عند الله والناس مبارك الذكر ، فأتاه مجداً كمجد القديسين وجعله عظيماً مرهوباً» .

٧ - وتأمل قوله عن يشوع بن نون : «ما أعظم مجده» .

٨ - وتأمل قوله عن القضاة : «ليكن ذكرهم مباركاً ولتزهر عظامهم من مواضعها ، وليتجدد اسمهم وليمجدهم بنوهم» .

٩ - وتأمل قوله عن صموئيل النبى : «من بعد رقاده تنبأ وأخبر الملك بوفاته ، ورفع من الأرض صوته بالنبوءة لمحو إثم الشعب».

١٠ - وتأمل قوله عن إيليا النبى : «ما أعظم مجدك يا إيليا بعجائبك ومن له فخر كفخرك» .

● **ويقول قداسة البابا شنودة الثالث :**

- [« المجد الذى يختص به الله وحده ، هو مجد الألوهية . وهو الذى قال عنه : « مجدى لا أعطيه لآخر » (إش ٤٢ : ٨) . ولكن الله يمجد أبناءه ورسله ومختاريه وشهداءه بأنواع أمجاد كثيرة . وقد قيل إن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم .. وهؤلاء دعاهم .. وبررهم ..

وهؤلاء مجدهم أيضاً (رو ٨ : ٣٠) .
- كذلك فإن الرب قد وهب المجد ، لكل من يتألم من أجله . وينطبق هذا على الشهداء والمعترفين ، ومن يتحملون الألم فى الخدمة . وهكذا قيل : « إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه » . (رو ٨ : ١٧)
- بل ما أعجب قول السيد المسيح للآب عن رسله : « وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى » . (يو ١٧ : ٢٢) فإن كان هذا قد قيل عن التلاميذ ، ألا يليق المجد بالسيدة العذراء التى هى أماً روحية لكل هؤلاء ، بل هى أم لمعلمهم وربهم .
- على أن المجد الذى يقدم للسيدة العذراء وللآباء الرسل والشهداء لا يمكن أن يعتبر انتقاصاً من مجد الله الذى قال لتلاميذه : « من يكرمكم يكرمنى » . إن الله قد خلق الإنسان للمجد . وأول مجد منحه الله لنا أنه خلقنا كشبهه على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) .
- ثم هناك مجد آخر منحه الله للكهنوت . وهكذا قال الرب لموسى عن هرون أخيه رئيس الكهنة : « اصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء » (خر ٢٨ : ٢) . وبالمثل قال عن أبناء هرون الكهنة : « ... وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء » . (خر ٢٨ : ٤٠)
- ألا يليق بنا إذن أن نمجد العذراء ، الملكة القائمة عن يمين الملك (مز ٤٥ : ٩) ، التى جميع الأجيال تطوبها (لو ١ : ٤٨)]. (١)

٨- هل قطعة « نعظمك يا أم النور الحقيقى » تعطى التعظيم للعذراء أكثر من السيد المسيح ؟

• يقول : المعترض عن قطعة نعظمك يا أم النور الحقيقى : مقدمة قانون الإيمان :

«هذه القطعة وضعت فى مجمع أفسس (المجمع المسكونى الثالث) فى القرن الخامس الميلادى على يد البابا كيرلس الأول الملقب بعامود الدين !!! وهو البابا رقم ٢٤ على كرسى الإسكندرية والذى كتب للإمبراطورة يودوكيا (إيزابل جديدة) زوجة الإمبراطور ثيئودوسيوس لكى تؤيده . ونلاحظ فى هذه الصلاة أن الكنيسة تعظم وتمجد العذراء أولاً وقبل الرب يسوع والذى تكتفى بتمجيده فقط دون التعظيم بعد ذلك . وبهذه الصلاة التى أدخلها إلى الكنيسة الأرثوذكسية البابا كيرلس الأول فى القرن الخامس الميلادى فتح الباب على مصراعيه لدخول سيل جارف من التسابيح والتماجيد والصلوات ليس للعذراء فقط بل ولكافة القديسين والملائكة حتى ملأت طقس الكنيسة ، وأصبح من الصعب تركيز الأنظار

(١) قداسة البابا شنودة الثالث : أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

على رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع فقط بل تتشتت إلى سحابة الشهود من القديسين» .

الـرد :

تاريخ وضع هذه القطعة : (نعظمك يا أم النور)

● هذه القطعة هى من وضع آباء مجمع أفسس الأول (٤٣١ م) ، وعلى هذا فإن المعترض يعترض حتى على قرارات المجامع المسكونية الثلاثة التى يجمع عليها كل مسيحى العالم فإذا كان يرفض هذه القطعة التى هى من وضع آباء مجمع أفسس فإنه بفعله هذا لا يرفض عمل البابا كيرلس وحده ، بل المائتين أسقف الذين اجتمعوا بالمجمع من كل أنحاء العالم المسيحى وقتها والذين نطلب الحل منهم فى القداس الإلهى ، وهذه القطعة وُضعت كمقدمة لقانون الإيمان الذى يوجز إيماننا المسيحى بخصوص الله الواحد المثلث الأقانيم . وكذلك إيماننا فى الكنيسة والمعمودية وقيامة الأموات . وذلك فى عبارات مركزة . إذن فهذه القطعة وضعت كمقدمة لقانون الإيمان هذا ، ووضعت من أجل غرض واحد ومحدد ، وهو الرد على نسطور الهرطوقى الذى علم :

١ ـ بأن فى المسيح شخصين : شخص إلهى وشخص إنسانى .

٢ ـ وأن فى التجسد حدث اتصال خارجي فقط بين الشخصين .

٣ ـ وأن الذى ولدته العذراء هو يسوع الإنسان ولم تلد الإله ابن الله الكلمة .

٤ ـ وأنه من أجل الكرامة التى تُقدم للإله ، يُسجد معه للإنسان المتصل به .

الرد على أفكار نسطور :

يقول **نيافة الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ فى الرد على أفكار نسطور الهرطوقية :

[● حينما جاء أقنوم الكلمة ابن الله للتجسد لم يضف شخصاً آخر إلى نفسه بل شخَّص الطبيعة البشرية فيه ، فالسيد المسيح لم يأخذ شخصاً بشرياً ولكنه أخذ الطبيعة البشرية من العذراء مريم التى ولدته ، أى أن أقنوم الكلمة أخذ الطبيعة البشرية وصاغها فيه ، وصارت خاصة به شخصياً .

● طبيعة السيد المسيح هى كما قال **القديس كيرلس الكبير** : (طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة : ميا فيزيس تو ثيئو لوغو سيساركومينى) .

● نحن نؤمن أن أقنوم كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور هو هو نفسه الذى تجسد وولد من العذراء فى ملء الزمان ، ولهذا فإن كلمة الله له ميلادان :

ـ الميلاد الأول : أزلى بحسب لاهوته من الآب .

ـ الميلاد الثانى : زمنى بحسب الجسد من العذراء مريم .

الكلمة الأزلى هو نفسه اتخذ جسداً ووُلد من العذراء مريم ، ولم يتخذ شخصاً بشرياً بل اتخذ الجسد الحى بروح عاقل الذى من العذراء مريم .

● وقد أكد بولس الرسول ذلك بقوله : « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » . (عب ١٣ : ٨) أى أن ابن الله هو هو نفسه صار ابناً للإنسان ، وابن الإنسان الذى هو يسوع المسيح ليس شخصاً آخر غير ابن الله الكلمة .

● فالمولود من الآب قبل كل الدهور قد أتى وحل فى الحشا البتول غير الدنس ، وتجسد من مريم العذراء بواسطة الروح القدس ، وصار إنساناً بمعنى أن الله ظهر فى الجسد أو أن الإله قد تأنس : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . (١ تى ٣ : ١٦)

● فنحن نؤمن أن الإله قد تأنس ، وليس أن إنساناً قد تأله ، وصار إلهاً أو صار مساوياً لله فى الكرامة . كما نقول فى ثيئوطوكية الإثنين : « أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا » . ونقول أيضاً فى ثيئوطوكية الخميس : « لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلصنا » ...

● إن السيد المسيح قد وُلد من العذراء بحسب الجسد ، لكنه لم يتخذ لاهوته منها . هو هو الذى وُلد من الآب بحسب لاهوته قبل كل الدهور ، هو هو نفسه الذى تجسد ووُلد من العذراء بحسب ناسوته فى ملء الزمان . ولذلك هو الذى قال عن نفسه لليهود : « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » . (يو ٨ : ٥٨)

● لقد حاول البابا كيرلس عمود الدين كثيراً أن يشرح هذه الأمور لنسطور دون جدوى . وقال له : « إن ما يُنسب إلى جسد الله الكلمة يُنسب إلى الله الكلمة » ، وقال له : «يعتبر فاقد العقل من يقول إن اللاهوت تغير أو إنه اتخذ بدء من العذراء ، أو أن اللاهوت تألم » . وقال له : « لأننا نقول إن من وُلد من العذراء مريم هو الله الكلمة لذلك لابد أن نسميها والدة الإله على اعتبار أن من وُلد منها ليس آخر لأن : يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. (عب ١٣ : ٨) »

● وفى قانون الإيمان الذى يعترف به نسطور نفسه نقول : « نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور» فهل وُلد يسوع الناصرى من الآب قبل كل الدهور ؟... للرد نقول : إن الذى وُلد من العذراء هو نفسه المولود من الآب قبل كل الدهور.

● ولكى يؤكد السيد المسيح وحدة الشخص فيه قال لنيقوديموس : « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » . (يو ٣ : ١٣) فكيف

يقول السيد المسيح لنيقوديموس وهو جالس أمامه إن ابن الإنسان هو فى السماء؟ إن هذا لا يمكن أن يُفهم إلا إذا كان ابن الإنسان هو نفسه ابن الله ، المالئ الوجود كله بحسب لاهوته] . (١)

نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله :

● إذن فقد رأى آباء مجمع أفسس المجتمعون وضع هذه القطعة ، وصاغوها معاً للرد على تعاليم نسطور ، وأن المسيح ابن الله الكلمة هو شخص واحد وطبيعة واحدة متحدة من طبيعتين الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية ، وأن العذراء مريم قد ولدت ابن الله الكلمة بالحقيقة . وها شرح مبسط لكلمات هذه القطعة :

نعظمك يا أم النور الحقيقى :

- **نعظمك :** أى نعطيك التعظيم ، أى نعطيك التطويب والمديح . نعظمك أى نتحدث بعظمتك الروحية فأنت الممتلئة نعمة ، ونطوبك مثل تلك السيدة التى قالت للسيد المسيح : «طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما» . (لو ١١ : ٢٧)
- **يا أم النور الحقيقى :** تأكيد على أن المولود من العذراء هو ابن الله الكلمة النور الحقيقى فعلاً ، وليس مجرد إنسان كما يقول نسطور .
- **ونمجدك :** أى نعطيك المجد والإكرام والتقدير ، مميزين بالطبع بين العبادة التى تُقدم لله وحده ، وبين الإكرام الذى يُقدم للقديسين .
- **أيتها العذراء القديسة :** فأنت العذراء كل حين دائمة البتولية ، وأنت القديسة التى عشت فى القداسة كل أيامك .
- **والدة الإله :** تأكيد مرة أخرى على أن المولود من العذراء هو ابن الله الكلمة ، وذلك للرد على بدعة نسطور التى انعقد المجمع بسببها .
- **لأنك ولدتِ لنا مخلص العالم :** هذا هو السبب الرئيسى فى تعظيمنا للعذراء ، أنها ولدت لنا مخلص العالم فنحن لا نعرف العذراء إلا عن طريق المسيح .
- **أتى وخلص نفوسنا :** وهنا إيضاح لعمل السيد المسيح الفدائى الذى قام به وحده ... والملاحظ أن مثل هذه العبارات لا نقولها للعذراء مريم .
- **المجد لك يا ملكنا المسيح :** ونحن نعطى المجد لملكنا وسيدنا المسيح ، لكن هذا المجد يختلف عن ذاك المجد المعطى للعذراء مريم ، فالمسيح له مجد الألوهة أما العذراء مريم فلها مجد القديسين وكرامتهم .

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً : القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية ، ص ٦٢ ـ ٦٤ .

- **فخر الرسل :** المسيح هو فخر الرسل : مصدر افتخارهم .
- **إكليل الشهداء :** المسيح هو البر الذى يكلل به الشهداء إذ يكللون بأكاليل البر .
- **تهليل الصديقين :** المسيح هو مصدر تهليل الأبرار وفرحهم .
- **ثبات الكنائس :** المسيح هو سر ثبات الكنائس فهو الصخرة التى تقوم عليها الكنيسة .
- **غفران الخطايا :** المسيح هو مصدر غفران الخطايا.
- **نبشر بالثالوث القدوس لاهوت واحد نسجد له ونمجده :** نسجد للثالوث القدوس الإله الواحد ونمجده ونكرز به .
- **يا رب ارحم يا رب ارحم يا رب بارك آمين :** ثم تُختم القطعة بطلب الرحمة والبركة من الرب .

ملاحظات على النص :

ماذا يوجد فى هذه القطعة من مغالاة أو مبالغة فى توقير العذراء مريم ؟ أو ماذا يوجد فيها من كلمات تتنافى مع كلمات وفكر الكتاب المقدس .

● لقد أحصيت عدد كلمات هذه القطعة فوجدته ٤٧ كلمة موزعة كالآتى :

- ٢٣ كلمة عن السيد المسيح .
- ٨ كلمات عن الثالوث القدوس .
- ١٠ كلمات عن العذراء مريم ، والكلمات التى قيلت عن العذراء هى للرد على بدعة نسطور وأفكاره ، فالقطعة وضعت أصلاً لهذا الغرض ، فقد رفض نسطور أن يكون ابن الله الكلمة قد ولد من العذراء مريم ، كما رفض تسميتها بوالدة الإله ... ولهذا نجد أن كل كلمات التطويب والإكرام التى أعطيت للعذراء مريم فى هذه الصلاة مرتبطة بكونها والدة السيد المسيح ابن الله ، مثل يا أم النور الحقيقى ، والدة الإله .
- ٧ كلمات طلب رحمة وختام .

فأين فى هذا ، المجد الذى يُعطى للعذراء أكثر من السيد المسيح مثلما ادعى المعترض ؟

٩- هل ظهورات القديسين هى عمل شيطانى ولم يذكر الكتاب المقدس أية ظهورات للملائكة أو قديسين ؟

يقول المعترض :

● «ولعل من أهم الأسباب التى أدت إلى انتشار عبادة القديسين وخصوصاً العذراء بين الشعب الأرثوذكسى هو الظهورات والمعجزات التى يعتقدون خطأ بأنها للقديسين ، وليست من الشيطان حتى يغوى شعب الله ويوقعهم فى عبادة الأصنام» .

ويقول أيضاً :

● « لا يرسل الله القديسين إلى الأرض ثانية ليرشدوا الناس» مستنداً على قصة لعازر والغنى التى ذكرها السيد المسيح وفيها رفض إبراهيم طلب الغنى بأن يرسل لعازر المسكين من السماء لإخوته على الأرض ليهديهم . فخرج من هذا الموقف الفردى وهذه القصة التى لها ظروف معينة بمبدأ عام وهو أن الله لا يرسل القديسين إلى الأرض ثانية ليرشدوا الناس .

الـــرد :

✤ ظهورات عديدة للملائكة وقديسين فى الكتاب المقدس :

● يذكر الكتاب المقدس عشرات الظهورات للملائكة مثل ظهور الملاك جبرائيل لزكريا والد يوحنا المعمدان ، يقول الكتاب : « فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب » (لو ١ : ١١ ، ١٢) . وظهوره للعذراء القديسة مريم : « فدخل إليها الملاك وقال لها سلام لك أيتها الممتلئة نعمة » . (لو ١ : ٢٨)

● كما ظهر كل من إيليا النبى ، الذى صعد إلى السماء فى مركبة نارية (٢ مل ٢ : ١١) وموسى النبى الذى مات ودفن (تث ٣٤ : ٥ ، ٦) مع السيد المسيح على جبل التجلى ، يقول الكتاب : « وفيما هو يصلى (المسيح) صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً . وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد » وقد شاهدهما التلاميذ : « رأوا مجده والرجلين الواقفين معه » (لو ٩ : ٢٩ ، ٣٢) .

● كما يذكر الإنجيل للقديس متى أنه عندما سلم السيد المسيح الروح على الصليب أن : «القبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » (مت ٢٧ : ٥٢ ، ٥٣) .

إن ظهور هؤلاء على الأرض سواء كانوا ملائكة أو بشر ، هو تكليف إلهى لهم لتأدية مهام محددة فى مكان محدد وزمان محدد .

ولنأخذ حدث ظهور السيدة العذراء فى كنيستها فى الزيتون فى ١٩٦٨ م ـ الذى هز أرجاء المسكونة كلها ـ مثالاً لنرى هل يمكن أن يكون هذا الظهور هو بعمل الشيطان ؟

✤ ظهور العذراء مريم بالزيتون فى أبريل عام ١٩٦٨ م [1] :

١ ـ بداية الظهور :

● كانت بداية ظهور العذراء فى الزيتون يوم الثلاثاء ٢ إبريل ١٩٦٨ م الموافق ٢٤ برمهات

(١) المرجع الرئيسى لهذا الجزء هو : موقع كنيسة القديسة العذراء مريم بالزيتون www.stmaryztn.org.

من سنة ١٦٨٤ للشهداء الساعة الثالثة والنصف ليلاً ،حينما شاهدها بعض عمال جراج هيئة النقل العام الذى كان مواجهاً للكنيسة مباشرة والذى تحول فيما بعد إلى كاتدرائية ضخمة ، بقرار من الرئيس جمال عبد الناصر ، وذلك عندما كان يقف على باب الجراج كل من السيد حسن عواد ومعه السيد عبد العزيز على ، الخفير ، والسيد مأمون عفيفى ، سائق ، والسيد ياقوت على ، ولفت نظرهم شعاع نورانى باهر ينبثق من فوق القبة الكبرى للكنيسة ، فحدقوا النظر مدققين فتبين لهم وجود فتاة متسربلة بثياب بيضاء وساجدة بجوار الصليب الذى فوق القبة ، وقد أثار دهشتهم وإعجابهم أن جدار القبة مستدير وشديد الانحدار ويستحيل على أحد أن يقف عليه ، فتسمرت أقدامهم وأصيبوا بدهشة وذهول وراحوا يرقبون مصير الفتاة . وقد تصور أحد الذين تجمعوا ويدعى فاروق محمد عطوه أنها فتاه قادمة على الانتحار بإلقاء نفسها من أعلى سطح الكنيسة المنحدر فأشار إليها بإصبعه المبتور والمربوط بالضمادات وصاح إليها : «حاسبى يا ست ... حاسبى لاحسن تقعى» !! وجرى ليبحث عمن ينقذها ، وأبلغ البعض شرطة النجدة التى وصل رجالها على الفور وتجمع المارة من الرجال والنساء ، ولما انتصبت واقفة واستدارت وأصبحت فى مواجهتهم وبدأت ملامحها تزداد وضوحاً واشتد الضياء والنور الذى كان يحيط بها ويخرج منها وظهرت صورتها النورانية السمائية المجيدة ، وكانت تمسك فى يدها بغصن زيتون أخضر ثم فجأة طار سرب حمام فوق رأسها ، فأدركوا أنها العذراء القديسة مريم فصاحوا وتعالى صراخهم بشدة : « مريم العذراء... مريم العذراء » ، وكانت هناك امرأة تسير بجوار الكنيسة وعندما شاهدت هذا التجلى صاحت : « دى ستنا ... مريم العذراء » ، وهنا انطلقت أصوات الجماهير التى تجمعت على تهليلهم وتكبيرهم وهتافهم وصلواتهم ودعواتهم ، المسيحى والمسلم ، كل بطريقته الدينية ، فالكل يمجد العذراء ويطوبها .

- وخشى البعض من أن يكون فى الأمر خدعة أو أن يكون ذلك انعكاساً للأنوار الصادرة من المصابيح الكهربائية فسلطوا أضواء كاشفة عليها فازدادت هيئة العذراء النورانية تألقاً ووضوحاً ، فقاموا بتحطيم كل الأعمدة الكهربائية القريبة من الكنيسة فازداد ظهور العذراء وهيئتها النورانية ظهوراً وتألقاً ووضوحاً وضياء فتأكد الجميع أنها العذراء . واستمر الظهور لمدة دقائق بعد ذلك ثم اختفى وفى اليوم التالى ذهب فاروق محمد عطوة إلى المستشفى ليجرى له الجراح العملية فى إصبعه ، ولما حل الجراح الربطة ذهل عندما وجد أن الأصبع المصاب سليم تماماً . (جريدة وطنى الصادرة بتاريخ ٢١ / ٤ و ٢٨ / ٤ و ٥ / ٥ / ١٩٦٨) .

وقال هذا الرجل لصحيفة الجارديان البريطانية : « أن هذا الطيف (يقصد العذراء) قد وفر

عليه أجر عملية بتر أحد أصابعه»[1] .

٢ـ تقرير لجنة تقصى الحقائق عن حقيقة الظهور :

● بعد انتشار أخبار ظهورات العذراء فى الزيتون توافدت الجموع الغفيرة من كل مكان للتأكد من صحة الخبر . وقد شاهد الظهور والظواهر المصاحبة له فى الشهر الأول الملايين من الناس من كل الأعمار مسيحيين وغير مسيحيين ، وتطلب الأمر من الكنيسة الإعلان عن حقيقة هذا الظهور ، ومن ثم فقد شكل قداسة المتنيح البابا كيرلس السادس لجنة لدراسة الأمر للتحقق والتثبت من صحة الظهور قبل الإعلان عنه رسمياً . وقامت اللجنة بدراسة الظهور والتأكد من حقيقته بأسلوب علمى وبدقة شديدة إذ قابلوا عمال جراج هيئة النقل الذين كانوا أول من شاهدوا الظهور ، ثم توجهوا إلى الكنيسة مرات كثيرة وشاهدوا الظهور وما صاحبه من ظواهر روحية بأنفسهم ، **وقدموا لقداسة البابا التقرير التالى :**

« حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية . بعد الخضوع لسدتكم الرسولية لاثمين أياديكم الطاهرة ملتمسين دعواتكم الصالحة وبعد.

● يتشرف أبناؤك المخلصون القمص جرجس متى ، والقمص يوحنا عبد المسيح ، والقمص بنيامين كامل برفع هذا التقرير حول ظهور السيدة العذراء بكنيستها الكائنة بالزيتون .

● لقد أسعدنا الوقت الذى اختارتنا فيه قداستكم لنذهب إلى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون ، فقمنا بالذهاب يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ إبريل ١٩٦٨ وعندما وصلنا أرادنا أن نتقصى من أولئك الذين شاهدوا ظهور السيدة العذراء ، فدخلنا الجراج المواجه للكنيسة وكانت الساعة التاسعة مساء فبدأنا بالاتصال بعمال هذا الجراج الذي لمؤسسة النقل العام ، فأكدوا لنا أنهم رأوا العذراء بأنفسهم وبأعينهم فى أول ليلة شوهدت فيها من أربعة أسابيع مضت فكان كل واحد منهم يقول إنه ليس وحده الذى شاهدها ، إنما رآها فى الوقت ذاته زملاء آخرون من العمال وعدد كبير من الناس الذين تصادف مرورهم حين ذاك ، وهذه خلاصة أقوال عمال جراج مؤسسة النقل العام :

١ ـ قال السيد مأمون عفيفى مدرب سائقي النقل العام ، ويحمل بطاقة رقم ٩٩٣٧ قسم السيدة : « كنت ساهراً بالجراج الموازى للكنيسة ، وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة الثلاثاء الموافق ٢ إبريل ١٩٦٨ م سمعت خفير الجراج الواقف بالباب يصيح بصوت عالٍ

---

(١) صادق عزيز وجرجس موسى ووجيه رزق : نور من السماء .

« نور فوق القبة » فخرجت مسرعاً فشاهدت بعينى سيدة تتحرك فوق القبة ويشع منها نور غير عادى فأضاء ظلمة المكان المحيط بالقبة ، ودققت النظر إليها ، وظل بصري متعلقاً بها فتبينتُ أنها العذراء ، ورأيتها تمشى فوق القبة الملساء وجسمها شعلة من نور ، وكانت تسير فى هدوء فلم أتمالك من أن أهتف : « إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

٢ ـ أما الغفير ويُدعى عبد العزيز على بجراج مؤسسة النقل العام أيضاً ، فقال إنه ما كاد يبصر العذراء جسماً نورانياً فوق القبة حتى أخذت أصيح « نور فوق القبة » ، وناديت حسين عواد الذي أسرع معه آخرون من العمال وشاهدوا العذراء وهى تتحرك فوق القبة ، وقلت : « إن الناس حُرموا فى هذه السنة من زيارة العذراء فى القدس فجاءت إليهم تزورهم بنفسها » .

٣ ـ وتكلم حسين عواد وهو حداد بجراج النقل بطاقة رقم ٣٣٢٨٩ قسم الجيزة فقال : « رأيت العذراء فوق قبة الكنيسة جسماً من النور الوهاج يُضيئ المكان كالشمس ، وكانت العذراء تمسك بيدها ما يشبه غصن الزيتون ، وبدأت تتحرك والنور يشع من جسمها إلى جميع الجوانب المُحيطة بها ، وبدا النور بعد ذلك فى هيئة دائرة تتوسطها العذراء وهذا المنظر لم أشاهد مثله من قبل » .

٤ ـ أما ياقوت على العامل بجراج مؤسسة النقل فهو يصف كيف كانت العذراء تسير فوق القبة فقال : « إنها كانت جسماً نورانياً محلقاً فى الفضاء وما كادت قدماها تلامسان سطح القبة حتى تحركت فى هدوء تحيط بها هالة من الوقار والقداسة . وكان الذين يشاهدونها يقفون فى خشوع وهم مأخوذون من المنظر الباهر إلى أن غاب المنظر داخل القبة » .

○ هذه يا سيدنا البابا أقوال رجال مؤسسة النقل العام . وقد أردنا أن نتأكد بأنفسنا ، فتوجهنا مرات كثيرة ، ففى ليلة شاهدنا السيدة العذراء تظهر أولاً بنور سماوى كروى وبداخله العذراء ، ثم تظهر بكامل جسمها وتتحرك فوق القبة وتسجد نحو الصليب وتبارك الجموع الفرحة الصائحة إليها فى تضرعات . وفى ليلة أخرى رأينا حماماً بلونه الفضى اللامع المنير وهو يطير من القبة إلى السماء مباشرة ، فمجدنا الله الذى سمح لنا نحن الأرضيين أن نرى مجد السمائيين . وهذا كله يرجع إلى صلواتكم الطاهرة وتضرعاتكم المقتدرة كثيراً فى فعلها من أجل شعبكم يا قداسة البابا » .

٣ ـ المؤتمر الصحفى للبطريركية فى ٤ مايو ١٩٦٨ م :

● عقدت البطريركية بالمقر البابوى بالأزبكية بالقاهرة مؤتمراً صحفياً فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم السبت ٤ مايو ١٩٦٨ شهده مائة وخمسون من مندوبى الصحافة المصرية والعربية والعالمية ووكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون فى مصر والخارج ومندوب وزارة

السياحة ، أذاع فيه نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا والذى كان أسقفاً وقتها ، بيان صاحب القداسة البابا كيرلس السادس بإعلان حقيقة ظهور السيدة العذراء بالكنيسة المدشنة باسمها بضاحية الزيتون . وفيما يلى نص البيان :

« منذ مساء الثلاثاء ٢ إبريل ١٩٦٨ م الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ ش توالى ظهور السيدة العذراء أم النور فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التى باسمها فى شارع طومان باى بحى الزيتون بالقاهرة . وكان هذا الظهور فى ليالٍ مختلفة كثيرة لم تنتهى بعد ، بأشكال مختلفة ، أحياناً بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوىّ ، يحيط بها هالة من النور المتلألئ ، وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة ، وأخرى خارج القباب ، وكانت تتحرك وتمشى فوقها وتنحنى أمام الصليب العلوى ، فيضئ بنور باهر ، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وإيماءات رأسها المقدسة ، كما ظهرت أحياناً بشكل جسم كما من سحاب ناصع ، أو بشكل نور يسبقه انطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة . وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحياناً إلى ساعتين وربع كما فى فجر الثلاثاء ٣٠ إبريل ١٩٦٨ م الموافق ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ ش حين استمر شكلها الكامل المتلألئ من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة صباحاً . وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان والمذاهب ومن الأجانب ومن طوائف رجال الدين والعلم والمهن وسائر الفئات الذين قرروا بكل يقين رؤيتهم لها ، وكانت الأعداد الغفيرة تتفق فى وصف المنظر الواحد بشكله وموقعه وزمانه بشهادات إجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور فى هذه المنطقة ظهوراً متميزاً فى طابعه ، مرتقياً فى مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد . **وصحب هذا الظهور أمران هامان الأول انتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقديسين ، وإشراق نور معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه ، مما أدى إلى توبة العديدين وتغيير حياتهم . والثانى حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجزى لكثيرين ثبت علمياً وبالشهادات الجماعية .**

وقد قام المقر البابوى بجمع المعلومات عن كل ما سبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تقصوا الحقيقة وعاينوا بأنفسهم هذا الظهور وأثبتوا فى تقاريرهم التى رفعوها إلى قداسة البابا كيرلس السادس ، والمقر البابوى إذ يصدر هذا البيان يقرر بملء الإيمان ، وعظيم الفرح ، وبالشكر والانسحاق أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور توالى ظهورها بأشكال واضحة ثابتة فى ليال كثيرة مختلفة لفترات متفاوتة وصلت فى بعضها لأكثر من ساعتين دون انقطاع وذلك ابتداء من ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ م الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ ش حتى الآن بكنيسة السيدة العذراء القبطية الأرثوذكسية بشارع طومان باى بحى الزيتون فى

طريق المطرية بالقاهرة وهو الطريق الثابت تاريخياً أن العائلة المقدسة قد اجتازته فى تنقلاتها خلال إقامتها بمصر . جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم ، ويمن لوطننا العزيز ، وشعبنا المبارك الذى سبق الوحى الإلهى فنطق عنه «مبارك شعبى مصر» .

السبت ٤ مايو سنة ١٩٦٨ م الموافق ٢٦ برمهات سنة ١٦٨٤ ش ـ المقر البابوى بالقاهرة .

٣ ـ مشاهدة الرئيس جمال عبد الناصر لظهور العذراء :

● أكدت كثير من التقارير التى كتبت عن ظهور العذراء فى الزيتون على حضور الرئيس جمال عبد الناصر لكنيسة العذراء بالزيتون ، ومشاهدته للظهور وشهادته له . وعلى سبيل المثال يقول الصحفى محمود فوزى فى كتابه (البابا كيرلس وعبد الناصر) : « وفى دقائق كانت حشود من الجماهير تتطلع إلى هذا المكان أملاً فى رؤية السيدة العذراء وتكرر فى الأيام التالية هذا المشهد كثيراً . مما دفع الرئيس جمال عبد الناصر أن يذهب إلى هناك ومعه حسين الشافعى سكرتير المجلس الإسلامى الأعلى وقتها ويقف فى شرفة منزل أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة وكان منزله مواجهاً للكنيسة لكى يتحقق بنفسه من رؤية العذراء ، وظل عبد الناصر ساهراً إلى أن ظهرت العذراء فى الساعة الخامسة صباحاً » . (١)

٤ ـ شهادة الصحافة والتليفزيون ووكالات الأنباء المصرية والعربية والعالمية لظهور العذراء ونشرها لصوره وأخباره :

● تابعت كل وسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية من صحافة وتليفزيون ووكالات الأنباء ظهورات العذراء ، ونشرت أخبارها وصورها وتفاصيلها ، وأكدت صحة الظهورات وحقيقتها ، وروت العديد من قصص معجزات الشفاء الكثيرة التى حدثت والتى تأكدت بالفحوص والأشعة الطبية والبحث الإكلينيكى وشهد لها العشرات من الأطباء المسيحيين والمسلمين وغيرهم . وفيما يلى مقتطفات مما نشرته الصحافة المصرية والعربية :

١ ـ نشرت جريدة الأهرام أخبار الظهور فى عنوانها الرئيسى فى عددها الصادر بتاريخ ٥ مايو ١٩٦٨ م وبيان البابا كيرلس السادس عن صحة الظهور وحقيقته ، إلى جانب صورة فوتوغرافية حقيقية للظهور والتى التقطها المصور وجيه رزق ، ونشرت فى الصحف المحلية والعالمية الأخرى ، وكتبت تحتها كما قال كبير مصورى الأهرام أن : « القسم الفوتوغرافى قد قام بفحص الفيلم الأصلى ولم يجد أى أثر للمونتاج الفوتوغرافى » .

(١) محمود فوزى : البابا كيرلس وعبد الناصر ، ص ٧٧ ، ٧٨ .



البابا كيرلس يعلن : ظهور العذراء حقيقة

بيان رسمى للبابا يؤكد ظهورها عدة مرات فى كنيسة الزيتون



٢ ـ وأعلنت جريدة الأخبار الصادرة فى نفس التاريخ فى عنوانها الرئيسى أيضاً تفاصيل وافية عن الظهورات وأشكالها المختلفة وما رافقها من معجزات إلى جانب شهادة الكثيرين من الذين شاهدوها والذين حدثت لهم المعجزات ...إلخ .

بيان رسمى من البابا كيرلس السادس يعلن :

ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون

آلاف المواطنين من مختلف الأديان والطوائف قرروا أنهم رأوا العذراء وانفض ... بشهادات إجماعية

العذراء ظهرت فى أشكال مختلفة وأشكال مختلفة وكانت تتحرك وتمشى وتواجه المشاهدين وتباركهم وتشفيهم

الأخبار

صورة الصفحة الأولى من جريدة الأخبار يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨ .

وركزت فى عددها الصادر بتاريخ ٨ / ٥ / ١٩٦٨ على توالى الظهورات ومعجزات الشفاء واشتداد الزحام لمشاهدة الظهورات وتحديد عدد الزائرين :

الأهرام ٨/٥/١٩٦٨ – ٣

العذراء ظهرت مرة أخرى أمام الجموع المحتشدة حول الكنيسة

المرضى الذين شفتهم العذراء ..

يروون كل ما حدث

تحديد عدد الزائرين للمنطقة كل يوم .. لمواجهة اشتداد الزحام

٤ ـ وذكرت جريدة وطنى معجزات الشفاء التى تمت للكثيرين ، كما امتلأت صفحاتها بأخبار الظهورات والمعجزات وتفاصيلها وشهادة شهود العيان لها والتقارير الطبية والأشعة التى تؤكد إعجاز هذه المعجزات .

جاء فى عدد الأحد ٢٨ / ٤ / ١٩٦٨ :

بيان المقر البابوى يؤكد ظهور العذراء

معجزات الشفاء لمن شاهدوا العذراء

تقرير هام لوزارة السياحة عن ظهورها ومعجزاتها

إرسال التقرير وجريدة وطنى إلى سفاراتنا ومكاتبنا السياحية فى جميع عواصم العالم



وجاء فى عددها بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٦٨ :

للأسبوع الرابع تواصل العذراء ظهورها بكنيسة الزيتون

معجزات الشفاء التى جرت للذين شاهدوا العذراء

البابا كيرلس السادس أدى صلاة شكر بالكنيسة وأوصى بإقامة صلوات تمجيدا للعذراء

• كيف شاهدها أسقف بنى سويف وقد تحركت رأيت النور على وجه حانيا أو ربما

• أسقف الخدمات العامة يوضح رسالة الخلاص التى تحملها العذراء إلى الناس

وفى عدد ١ / ٦ :

فرنسا تبتعد عن شبح الحرب الأهلية

ظهور العذراء مستمر

معجزات الشفاء لمرضى فشل الطب فى علاجهم

مخطوط أثرى يؤكد الظواهر الروحية التى تجرى الآن

وطنى

وبعد عام :

الإرهاب الإسرائيلى فى الأرض المحتلة

اعتقال أكثر من ١٥٠٠ مواطن وتعذيبهم فى سجون إسرائيل

العيد الأول لتجلى العذراء

استمرار ظهور العذراء للعام الثانى بكنيستها بالزيتون

وطنى

٥ ـ بينما ركزت جريدة الأنوار اللبنانية على تدفق عشرات الآلاف لمشاهدة الظهورات النورانية ومشاهدة مراسليها لظهور العذراء وتصويره فوتوغرافياً :

الاتحاد اللبناني

الأنوار

العدسة تسجل معجزة ظهور العذراء بالقاهرة

٦ ـ وركزت جريدة البيرق اللبنانية على الإعلان عن أول صورة فوتوغرافية تنشر لظهور العذراء ، ومشاهدة مندوبها فى القاهرة للظهور الذى شاهده الجميع ، وصورته الكاميرا فوتوغرافياً .



أول صورة لظهور العذراء

٧ ـ وكان العنوان الرئيسى لجريدة الإيجبشان جازيت التى تصدر بالإنجليزية لعددها الصادر فى ٥ / ٥ / ١٩٦٨ « العذراء ظهرت فى الزيتون » .



The Egyptian Gazette

Virgin Mary appeared at Zeitun -- Kyrollos

PROGRES DIMANCHE

Les apparitions miraculeuses de la Vierge Marie au-dessus de l'église copte "Notre-Dame" à Zeitoun

CONFIRMEES HIER PAR S.S. LE PAPE KYRILLOS VI

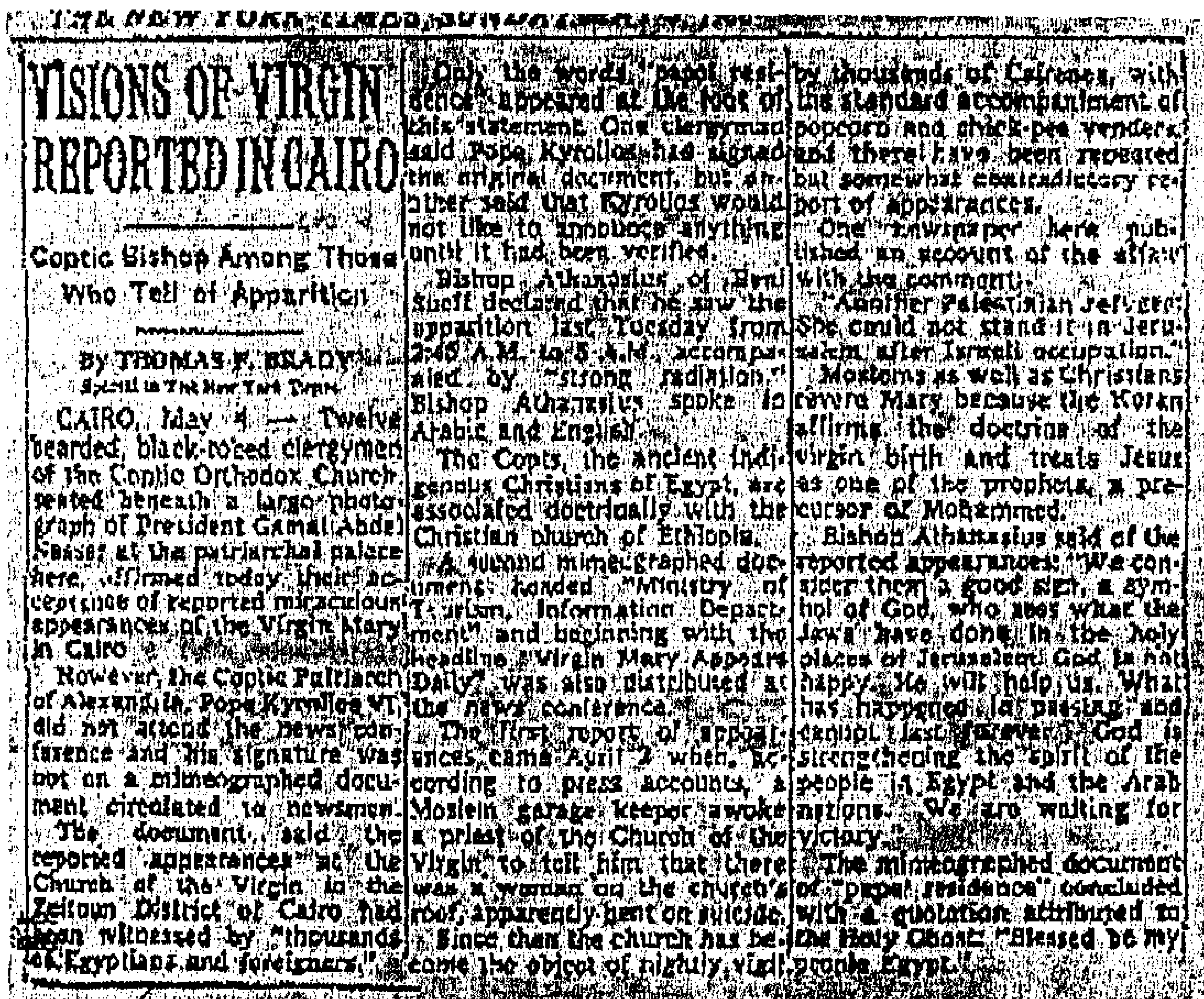
٨ ـ وكان أحد العناوين الرئيسية بعدد ١١ / ٤ / ١٩٦٨ « العذراء مازالت تظهر » .



'APPARITION OF VIRGIN STILL BEING SEEN'

٩ ـ وكان العنوان الرئيسى لجريدة البروجريه ديمانش التى تصدر بالفرنسية هو « قداسة البابا كيرلس السادس أكد الظهورات الإعجازية للعذراء مريم على الكنيسة » .

١٠ ـ ونشرت جريدة النيويورك تايمز الأمريكية تفاصيل الظهورات الإعجازية ، ومعجزات الشفاء ، وحوارات مع الذين حدثت لهم معجزات شفاء فى أكثر من عدد . وفيما يلى صورة لما جاء فى عدد ٤ / ٦ / ١٩٦٨ م :



THE NEW YORK TIMES, SUNDAY

VISIONS OF VIRGIN REPORTED IN CAIRO

Coptic Bishop Among Those Who Tell of Apparition

By THOMAS F. BRADY
Special to The New York Times

CAIRO, May 4 — Twelve bearded, black-robed clergymen of the Coptic Orthodox Church seated beneath a large photograph of President Gamal Abdel Nasser at the patriarchal palace here, affirmed today their acceptance of reported miraculous appearances of the Virgin Mary in Cairo.

However, the Coptic Patriarch of Alexandria, Pope Kyrillos VI, did not attend the news conference and his signature was not on a mimeographed document circulated to newsmen.

The document said the reported appearances at the Church of the Virgin in the Zeitoun District of Cairo had been witnessed by "thousands of Egyptians and foreigners."

Only the words "papal residence" appeared at the foot of this statement. One clergyman said Pope Kyrillos had signed the original document, but another said that Kyrillos would not like to announce anything until it had been verified.

Bishop Athanasius of Beni Sueif declared that he saw the apparition last Tuesday from 2:45 A.M. to 5 A.M., accompanied by "strong radiation." Bishop Athanasius spoke in Arabic and English.

The Copts, the ancient indigenous Christians of Egypt, are associated doctrinally with the Christian church of Ethiopia.

A second mimeographed document, headed "Ministry of Tourism, Information Department" and beginning with the headline "Virgin Mary Appears Daily," was also distributed at the news conference.

The first report of appearances came April 2 when, according to press accounts, a Moslem garage keeper awoke a priest of the Church of the Virgin to tell him that there was a woman on the church's roof, apparently bent on suicide.

Since then the church has become the object of nightly vigil by thousands of Cairenes, with the standard accompaniment of popcorn and chick-pea venders, and there have been repeated but somewhat contradictory reports of appearances.

One newspaper here published an account of the affair with the comment:

"Another Palestinian refugee; She could not stand it in Jerusalem after Israeli occupation."

Moslems as well as Christians revere Mary because the Koran affirms the doctrine of the virgin birth and treats Jesus as one of the prophets, a precursor of Mohammed.

Bishop Athanasius said of the reported appearances: "We consider them a good sign, a symbol of God, who sees what the Jews have done in the holy places of Jerusalem. God is not happy. He will help us. What has happened is passing and cannot last forever. God is strengthening the spirit of the people in Egypt and the Arab nations. We are waiting for victory."

The mimeographed document of "papal residence" concluded with a quotation attributed to the Holy Ghost: "Blessed be my people Egypt."

٥ ـ اعتراف الكاثوليك والإنجيليين بحقيقة الظهور :

● وقد شهد لظهور العذراء فى الزيتون وأكد حقيقته الكاردينال اسطفانوس الأول بطريرك الأقباط الكاثوليك بمصر حيث قام بتشكيل لجنة لبحث الظهور ودراسته ، بناء على تكليف من البابا بولس السادس بابا الفاتيكان ، وفى شهر مايو ١٩٦٨ أعلن « أنه ظهور حقيقى ولا يخامره فيه أى شك فقد أيده الكثيرون من أبنائه من الأقباط الكاثوليك ممن يوثق بهم ، ورووا له تفاصيل رؤيتهم للعذراء فى قبة الكنيسة ، كما جاءت راهبة اسمها (بولادى موفالو) معروفة بتحريها للدقة وروت له وجسمها يرتعد وينتفض ، كيف أنها شاهدت بعينها مريم العذراء فى قبة الكنيسة ، وليست هى وحدها التى شاهدتها بل لقد رآها الألوف من أفراد الشعب ، أن هذه المعجزة الفريدة تنطوى على رسالة تبشر بالخير وستجعل من هذه الكنيسة مزاراً عالمياً مقدساً يحج إليه الناس من جميع أنحاء العالم » (وطنى فى ٥ / ٥ / ١٩٦٨) .

وبطريرك الكاثوليك

ويقول غبطة الكاردينال اسطفانوس الاول بطريرك الكاثوليك .

« انه ظهور حقيقي ولا يخامره فيه اي شك فقد ايده الكثيرون من ابنائه من الاقباط الكاثوليك ممن يوثق بهم ورووا له تفاصيل رؤيتهم للعذراء في قبة الكنيسة كما جاءت اليه راهبة اسمها (بولا دي موفالو) معروفه بتحريها للدقة وروت له ـ وجسمها يرتعد وينتفض ، كيف انها شاهدت بعينها مريم العذراء في قبة الكنيسة ، وليست هي وحدها التي شاهدتها بل لقد راها الالوف من افراد الشعب ، ان هذه المعجزة الفريدة تنطوي على رسالة تبشر بالخير وستجعل من هذه الكنيسة مزارا عالميا مقدسا يحج اليه الناس من جميع انحاء العالم » .

● كما أعلن الأب د . هنرى عيروط مدير مدارس العائلة المقدسة ورئيس كلية دى لا سانت فامى التابعة للجزويت بالقاهرة قبوله للظهورات الإعجازية لمريم العذراء وقال : « ليس غريباً أن تظهر العذراء فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالزيتون ، إن ظهورها فى أى بقعة من بقاع العالم لا يدعو إلى الدهشة فلها أن تظهر فى أى مكان ولاسيما فى مصر وفى هذه الآونة

بالذات وفى الكنيسة القبطية فى الزيتون المنطقة التى شهدت مرور العائلة المقدسة بها...» .

(وطنى فى ٥ / ٥ / ١٩٦٨ م)

● وشاهد الظهورات أيضاً وشهد لها راهبات القلب المقدس الكاثوليك ، وأرسلوا تقريراً مفصلاً للفاتيكان . وفى مساء الأحد ٢٨ إبريل ١٩٦٨ وصل مندوب الفاتيكان وشاهد الظهورات وأرسل عنها تقريراً للبابا بولس السادس فى الفاتيكان .

● كما أعلن د . القس إبراهيم سعيد رئيس الطائفة الإنجيلية ، فى ذلك الوقت ، أن هذه الظهورات هى ظهورات حقيقية وقال فى (جريدة وطنى الصادرة فى ٥ / ٥ / ١٩٦٨ م) :

« إن بين الجموع التى شاهدت العذراء شخصيات معروفة بدقة حكمها على الأشياء وتقديرها للأمور ، ولا شك فى صدق ما شهدته ورويته تلك الشخصيات ، وإذ كان الله قد سمح بأن تظهر لنا العذراء فى هذه الأيام ، فلعل ذلك لتعوض الناس عن حرمانهم من زيارة القدس هذا العام ، فجاءت هى إليهم لتشد أزرهم » . وتقول الجريدة : واستطرد رئيس الطائفة الإنجيلية قائلاً : « ليس ما أقوله لك الآن عن العذراء أقوله لأول مرة . فقد قلته عقب عظة الأحد الماضى بالكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة ، إذ رأيت على المنبر ورقة يسألنى كاتبها عن رأيى فى ظهور العذراء » .

جاءت إلينا لتشد أزرنا

وسألت القس الدكتور ابراهيم سعيد رئيس الطائفة الانجيلية عن رأيه في ظهور العذراء ، فأجاب :

« إن بين الجموع التي شاهدت العذراء شخصيات معروفة بدقة حكمها على الاشياء وتقديرها للامور ، ولا شك في صدق ما شهدته ورويته تلك الشخصيات ، وإذا كان الله قد سمح بأن تظهر لنا العذراء في هذه الايام ، فلعل ذلك لتعوض الناس عن حرمانهم من زيارة القدس هذا العام ، فجاءت هي إليهم لتشد أزرهم » .

واستطرد رئيس الطوائف الانجيلية قائلا : « ليس ما أقوله لك الآن عن العذراء أقوله لأول مرة ، فقد قلته عقب عظة الأحد الماضي بالكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة ، إذ رأيت على المنبر ورقة يسألني كاتبها عن رأيي في ظهور العذراء » .

وابتسم القس الدكتور ابراهيم سعيد وهو يمضي في حديثه قائلا « لقد كاد ظهور العذراء يتسبب في تعطيل الاجتماع الذي يعقده ابني الدكتور منيد بالكنيسة في الساعة التاسعة صباح الأحد ، فإن كثيرا من الشابات والشبان الذين يشتركون في هذا الاجتماع لم يكن في مقدورهم أن يحضروا إليه في الصباح بعد أن سهروا الليل بطوله أمام الكنيسة القبطية بالزيتون » .

● وهكذا فقد شهد لهذا الظهور التاريخى رجال الدين المسيحى بطوائفه الثلاثة الأرثوذكس والكاثوليك والإنجيليين (الذين لا يؤمنون بالشفاعة) بل وشهد المظهور أيضاً المسلمون الذين شاهدوا الحدث .

وكتبت عنه الصحف المحلية والعالمية ، ورصدت الظاهرة الكثير من الهيئات والمؤسسات الدينية والعالمية . وصاحب الظهور ظواهر روحية ومعجزات شفاء لكثير من المرضى كما صاحب الظهور نهضة روحية فى الأشخاص والكنائس ، وسهرات روحية جميلة بكنيسة العذراء بالزيتون ـ مكان الظهور ـ وسعدت أنا شخصياً بحضور بعضها وكنت وقتها فتى صغير لم أتجاوز الثانية عشر من عمرى ـ وكنا نسهر حتى الصباح ملتفين حول الكنيسة فى ترانيم عذبة، وألحان جميلة ... وتنتهى سهراتنا بحضور القداس الإلهى فى الكنيسة الصغيرة والتقرب من الأسرار المقدسة ولعل هذه السهرات وما صاحبها من جو روحى فريد قد ساعد على التصاقى وارتباطى بالكنيسة منذ صغرى .

ـ فهل هذا كله بعمل الشيطان أيها الأخ المعترض !!! ؟

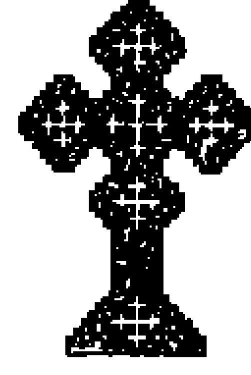
ـ وهل الشيطان يعمل خيراً ويدعو الناس لحياة السهر والاستعداد الروحى ؟

ـ وهل الشيطان يدفع بالناس فى طريق التوبة والتقرب للأسرار المقدسة ؟

ـ وهل يحتمل هو هذا أن يرى الناس هكذا ملتفين حول الكنيسة ، فى حرارة روحية وتأثر بالغ يناجون السيد المسيح وأمه العذراء ؟

هل هذا كله بعمل الشيطان ... اسمح لى لقد قالها السيد المسيح واضحة : «من ليس معنا فهو علينا» فكيف يكون هذا كله بعمل الشيطان وتكون النتيجة نهضة روحية كبيرة وعظيمة كهذه التى شاهدناها ، ونشاهد آثارها ممتدة إلى الآن فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ؟





الفصـل الثالث

الأيقونات المقدسة

أولاً : الأيقونات والصور فى العهد القديم

ثانياً : الأيقونات والصور فى العهد الجديد

١ - تاريخ الصور والأيقونات فى المسيحية

٢ - تاريخ الصور والأيقونات فى الكنيسة القبطية

٣ - أيقونات السيد المسيح

٤ - أيقونات القديسين

ثالثاً : الأساس اللاهوتى للأيقونة : السيد المسيح هو أيقونة الله

رابعاً : فوائد استخدام الأيقونات

خامساً : تكريس الأيقونة

سادساً : إكرام الأيقونات

سابعاً: الرد على أسئلة وادعاءات

١ - هل آباء الكنيسة حاربوا استخدام الصور والأيقونات ؟

٢ - هل التبخير أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟

٣ - هل إيقاد الشموع أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟

٤ - هل السجود أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟

٥ - لماذا نقبل الأيقونات ؟

٦ - كيف يستجيب الله من الأيقونات ؟

٧ - هل من الممكن أن تحدث معجزات عن طريق الأيقونات ؟

مقدمة

● تمثل الأيقونات فى الكنيسة الأرثوذكسية جزءاً جوهرياً فى المبنى الكنسى ، فهى تغطى حامل الأيقونات ، وتملأ كل جوانب الكنيسة : الهيكل المقدس وصحن الكنيسة وحجرة المعمودية ...... إلخ .

● والأيقونات هى رسالة هامة إذ تقوم بدور تعليمى هادف ، وكذلك لها فاعليتها فى حياة المؤمنين التقوية ، كتبت بلغة بسيطة وهى الرسم والألوان ـ التى يستطيع أن يقرأها ويستفيد منها الجميع المتعلم والجاهل ، الكبير والصغير ، الغنى والفقير .

أولاً : الأيقونات والصور فى العهد القديم

١ ـ الوصية الثانية من الوصايا العشر

ـ «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور» .

(خر ٢٠ : ٤ ، ٥)

ـ غرض هذه الوصية كما يتضح من الآيات نفسها «لا تسجد لهن ولا تعبدهن» أى منع كل عبادة للأصنام ومنع كل تسلل لهذه العبادات .

ـ وكان اليهود يقعون فى مثل هذه العبادات ، مثلما فعلوا أيام موسى النبى وصنعوا عجلاً ذهبياً وعبدوه . (خر ٣٢ : ٥)

ـ تلتزم الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية بلا شك بالوصية السابقة ، ولكنها تحتفظ بروحها لا بحرفها لأن الحرف يقتل وأما الروح فيحيى . روح الوصية هو الامتناع عن العبادة لغير الله . وليس منع استخدام الصور فى ذاتها .

● يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** فى تعليقه على هذه الآية : «الهدف واضح فى هذه الآية وهو قول الرب : (لا تسجد لهن ولا تعبدهن) فإن كان الغرض بعيداً تماماً عن العبادة لا تكون الوصية قد كُسرت ولا شك أن هذا المنع فى الوصايا العشر كان فى عصر انتشرت فيه الوثنية وكان هناك خوف على المؤمنين منها ، حتى أنه كان من الممنوع نحت أى حجر حتى فى البناء العادى وحتى فى تشييد المذابح» . [١]

● ويقول **الأب يوحنا الدمشقى** (من آباء القرن الثامن الميلادى بسوريا) : «لقد أعطيت هذه

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن ، جـ ١ ، ص ١٧١ .

الوصايا لليهود بسبب ميلهم للوثنية أما الآن فلا حاجة لنا بعد أن نكون مقادين كالأطفال .... الآن اجتزنا مرحلة الطفولة وبلغنا كمال الرجولة . تقبلنا من الله القدرة الذهنية فنعرف ما يصور وما لا يصور» . (١)

- وهكذا فإن الكنيسة تلتزم بحفظ الوصية برفض إساءة استخدام الصور ، لهذا كانت شديدة الحرص والحذر فى استخدام الصور فى القرون الأولى حيث عاشت وسط الشعوب الوثنية، ولكن ما أن زال هذا الخطر إلى حد كبير توسعت فى استخدامها .

٢ - خيمة الاجتماع وهيكل سليمان

● وليس عجيباً أن الله الذى قدم وصايا واضحة بخصوص الصور ، يأمر شعبه أن يقيموا صوراً معينة ومحددة ، كجزء حى فى الطقس التعبدى .

إن خيمة الاجتماع نفسها وهيكل سليمان فيما بعد قد جاءا برسم وترتيب إلهى .
(عب ٨ : ٥ و خر ٢٥ : ٤٠)

● كما احتويا صوراً مثل تمثالى الكاروبين على غطاء تابوت العهد وتمثال الحية النحاسية وتماثيل الثور النحاسى . هذه كلها شهادات صارخة وواضحة أن الله فى الوصية الأولى لم يحرم الصور بطريقة مطلقة إنما أراد بالمنع تحديدها بنفسه وعدم تركها للشعب حسب تمييزهم الخاص ، فقام بنفسه بتصميمها وتحديد أبعادها وموادها . بل وحدد بنفسه أسماء القائمين بالعمل وملأهم حكمة روحية حتى يتم العمل بغير انحراف .

✣ كاروبا التابوت :

● أوصى الرب موسى أن يصنع تمثالى الكاروبين بأجنحة متقلبة تظلل على غطاء التابوت . ولم يكن ذلك مجرد صورة يتذكر بها الإنسان حضرة الله الراكب على الشاروبيم (مز ١٨ : ١٠ و حز ١١ : ٢٢) لكنه يمثل الحضرة الإلهية ، عنده تقدم العبادة كما فى حضرة الرب إذ جاء عنه :

١ - كان الله يجتمع برجاله القديسين هناك ويتكلم معهم ويستجيب لهم ، إذ يقول : «وأنا اجتمع بك هناك وأتكلم معك على الغطاء من بين الكاروبين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك» . (خر ٢٥ : ٢٢)

٢ - وسجد أمامه الأنبياء وشيوخ الشعب وترنموا بالتهليل كما للرب .

- ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** فى تعليقه على صنع الكاروبين فى خيمة الاجتماع :

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٦٣ .

«ولم يكن فى نحت هذين الكاروبين مخالفة للوصية التى تأمر بعدم نحت تمثال منحوت مما فى السماء من فوق ... لأن الغرض لم يكن هو عبادة الملائكة ممثلين فى هذين الكاروبين ... بل على العكس تم نحت هذين التمثالين بأمر إلهى كما تم نحت الحية النحاسية بأمر إلهى أيضاً » . (١)

ـ ويقول **الأسقف الأنبا يوساب الأبح** (١٧٣٥ ـ ١٨٢٦ م) أسقف جرجا وأخميم : «أمر الله عبده موسى أن يعمل تابوتاً من الخشب يصفحه بالذهب ويضع فيه لوحى الشهادة والقسط الذهبى المحتوى على المن وعصا هرون التى أفرخت . ويصنع للتابوت غطاء ، ويثبت عليه كاروبين من ذهب شبه شخصين بأجنحة مفرودة قائمين على أرجلهما نحو البيت الخارجى. وكان موسى وجميع الشعب يخرجون ويسجدون أمام التابوت . وكان الرب يكلم موسى من بين الكاروبين» . (٢)

وأما التابوت فكان يمثل الحضرة الإلهية كشخص الله :

ـ كان عند ارتحال التابوت يقول موسى : «قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك» . وعند حلوله كان يقول : «ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل» .

(عد ١٠ : ٣٥ ، ٣٦)

ـ «وسقط يشوع على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل» .

(يش ٧ : ٦)

ـ «فأصعد داود تابوت العهد بالهتاف وبصوت البوق» . (٢ صم ٦ : ١٥)

● **هذا وكان الشاروب مصوراً على حجاب خيمة الاجتماع بين قدس الأقداس والقدس .**

○ وكان فى **هيكل سليمان** أيضاً كاروبان كبيران مغشيان بالذهب ، يظلل جناحاهما التابوت الذى كان فى قدس الأقداس . كما صارت صورة الشاروب وحدة فنية متكررة منقوشة على حوائط الهيكل وعلى مصراعى الباب (١ مل ٦ : ٢٧ ـ ٢٩ ، ٣٢) دلالة على حلول الله فى بيته المقدس .

ـ ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : «لم يكن تابوت العهد فى كل احترام الكهنة والشعب والملوك له يمثل شيئاً على الإطلاق من العبادة الوثنية . إن الكتاب يسجل لنا أنه بعد انهزام الشعب فى عاى أن يشوع بن نون خليفة موسى النبى سجد أمام تابوت العهد إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل وصلى للرب (يش ٧ : ٦) . ولم يحدث أن الرب قال له : قد كسرت الوصية الثانية . بل على العكس كلمه الرب . وصنع معجزة فى كشف عخان بن كرمى ودفع

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن ، جـ ١ ، ص ١٧١ .

(٢) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٦٩ .

الرب عاى إلى يدى يشوع ورفع وجهه .

ولم يخطئ يشوع فى السجود أمام تابوت الرب لأنه لم يكن يعبد التابوت بل الرب الذى يحل عليه ويكلمه من بين الكاروبين . وهكذا لم يخطئ داود النبى حينما احتفل برجوع التابوت بكل إكرام ورقص قدامه . (٢ صم ٦ : ١٢ ـ ١٥)» . (١)

✣ الحية النحاسية :

● أمر الله موسى أن يعمل تمثالاً من النحاس لحية محرقة (نارية) يضعها على عامود فى البرية لتكون سبب شفاء لكل من ينظر إليها (عد ٢١ : ٨ ، ٩) لقد حملت الحية النحاسية رمزاً للمسيح المصلوب كقول الرب : «وكما رفع موسى النبى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» . (يو ٣ : ١٤ ، ١٥) لكن حين أساء الشعب استخدام تمثال الحية النحاسية وعبدوه كصنم مقدمين له قرابين قام حزقيا الملك بسحقه (٢ مل ١٨ : ٤) .

ثانياً : الصور والأيقونات فى العهد الجديد

١ـ تاريخ الصور والأيقونات فى المسيحية

نستطيع أن نقسم تاريخ الأيقونات فى المسيحية إلى ثلاث مراحل رئيسية ، وإن كانت هذه المراحل متداخلة معاً :

١ ـ مرحلة الرموز :

● استخدمت الرموز فى مجال الصور والرسومات فى القرنين الأول والثانى على نطاق واسع ، فنرى السيد المسيح فى شكل: الراعى الصالح ، أو السمكة ، أو مختفياً تحت المونوجرام Monogram ، أى الحرفين الأولين من اسمه باليونانية «خريستوس = المسيح » وهما XP وذلك على شكل صليب ☧ (الحرفان متداخلان مع بعضهما البعض) ..

٢ـ مرحلة أيقونات الكتاب المقدس :

● فى هذه المرحلة المبكرة أيضاً استخدمت الكنيسة أيقونات تصور موضوعات من الكتاب المقدس بقصد التعليم. وقد كان ذلك طبيعياً حيث بدأت المسيحية تنتشر فى العالم كله فى ذلك الوقت.. وكان المسيحيون فى أسفارهم ينضمون إلى كنائس فى بلاد تتعبد بلغات مختلفة عن لغتهم الأصلية ، فصارت الأيقونات لغة عامة يستطيع كل إنسان أن يقرأها.

وقد وجدت فى سراديب الإسكندرية أيقونات من هذا النوع ، حيث صورة معجزة قانا

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

الجليل ومعجزة الخبز متحدين معاً فى منظر واحد . كذلك نجد فى سقف أحد الغرف بسرداب القديس كالستس صورة رمزية للسيد المسيح جاء فى شكل أوريفيوس ، يحيط بها ثمان ألواح تشمل مواضيع من الكتاب المقدس مثل ضرب الصخرة ، دانيال فى جب الأسود ، إقامة لعازر ، داود ومعه المقلاع .

٣ـ مرحلة الأيقونات الإسخاتولوچية (الآخروية) :

● صارت المسيحية هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية فى القرن الرابع الميلادى ، فسادَ السلام أنحاء الكنيسة .. فظهرت الأيقونات المرتبطة بالسمويات مثل :

١ ـ أيقونات الشهداء والقديسين مكللين بالمجد .

٢ ـ أيقونات الملائكة .

٣ ـ أيقونات الرؤى النبوية .. ففى «دير بويط» بصعيد مصر توجد أيقونة ترجع للقرن السادس الميلادى تمثل الرب كما جاء فى رؤيا حزقيال النبى ، فظهرت فيها العجلة ومركبة الغلبة والنصرة .

٤ ـ أيقونات السيد المسيح جالساً على عرشه ، علامة شوق الكنيسة إليه فى مجده . هذا التصوير ظهر أيضاً بدير باويط ، حيث نرى الأربعة مخلوقات الحية يحملون السيد المسيح الجالس على عرشه والملائكة تحوط به . (١)

٢ـ تاريخ الصور والأيقونات فى الكنيسة القبطية

● كتب **الباحث الأثرى جرجس داود** فى مقال (اللوحات القبطية المصورة ـ تاريخها وتطورها) (٢) :

[يذكر الأستاذ فيكتور : «ورث الأقباط عن أجدادهم فن التصوير على الجدران فزينوا كنائسهم بصور تمثل السيد المسيح والرسل والشهداء ونستطيع أن نشاهد أمثلة من فن التصوير الحائطى فى العصور المسيحية المبكرة فى بقايا الكنائس القديمة والأديرة الأثرية المنتشرة فى أنحاء القطر . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الهيكل القديم بالكنيسة المعلقة بمصر القديمة ، ودير الأنبا إرميا بسقارة ، وبقايا أديرة وكنائس بلدة باويط بالقرب من منفلوط ، والديرين الأبيض والأحمر بسوهاج ، وأديرة وادى النطرون ، والواحات الخارجة ، ودير القديس سمعان بأسوان ، وكنيسة تبتونيس فى أم البرنجات بالفيوم ، وأديرة

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٧ .

(٢) معهد الدراسات القبطية : المجلد السابع ، الأنبا رويس بالعباسية .

ومقابر النوبة ، والديرين الشهيرين للقديسين الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا فى جبال البحر الأحمر » .

● ويتابع الأستاذ فيكتور : «وقد ظل مصورو العصر القبطى يمارسون فن التصوير بطريقة الرسوم الحائطية على نطاق واسع حتى القرن الحادى عشر الميلادى تقريباً حين شاعت طريقة الرسم على اللوحات الخشبية التى تعرف بالأيقونات ، حيث وجدوا أنه عندما تتهشم جدران المبانى يكون مصير الرسوم إلى الزوال ، فلجأوا إلى طريقة أخرى يصورون بها نواحى عقائدهم الدينية ، بحيث تكون أكثر ثباتاً ، وتكون الصور سهلة النقل يمكن تغيير مكانها » . (١)

● وهناك شواهد على أن فن الرسم على الخشب قديم . فمثلاً يذكر الرحالة Vansleb بأنه كانت هناك فى مدينة الإسكندرية لوحة عليها صورة الملاك ميخائيل رسمها القديس لوقا الإنجيلى . (٢)

● ويؤيد ذلك ما كتبه الدكتور رءووف حبيب : «وأما عن التاريخ الذى بدأت فيه صناعة الأيقونات ، فقد أجمع أغلب علماء الآثار بأنه قديم العهد ، ويرجع إلى القرون الأولى أيضاً . فما من شك فى قدم وجودها . ولو أن هناك اختلاف على تحديد الزمن الذى تسربت فيه تلك الأيقونات إلى البيع والكنائس ، ولو أن البعض يذهب إلى القول بأنها انتقلت من المساكن إلى أماكن العبادة فى أواخر القرن الثالث غالباً ، ثم انتشرت وعمت فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، ويظهر أن عدول المصورين عن الاستمرار فى اتباع طريقتهم الأولى فى الرسوم الجصية يرجع إلى ما كان يقع مراراً على الأقباط من الحيف والاضطهاد فى فترات ضعف الحكام ، وأثناء قيام الثورات ، إذ كثيراً ما ينتهز الرعاع تلك الفرص ، ويسطون على الأديرة والكنائس ، لما كان يترامى إليهم من أخبار بأنها مليئة بالنفائس والكنوز والستائر الحريرية ، فيسلبون ما فيها ، ويخربونها ، ثم يضرمون النار فيها . فكانت صورها الجصية عرضة للتلف والدمار ، وهذا ما دفع بالمصورين بلاشك إلى تغيير خطتهم الأولى إلى الرسم على اللوحات ليتسنى لهم نقلها بسهولة وحفظها فى أقبية خفية ، إذا ما تحرجت الأحوال الداخلية فى البلاد أو هددتها الفتن والثورات ، بحيث يمكن استرجاعها إلى أماكنها مرة أخرى إذا مازالت موجة الاضطراب ، وهدأ الحال ، واستتب الأمن ، وأهم تلك الأيقونات وأقدمها

---

(١) فيكتور جرجس : اللوحات المصورة بالمتحف القبطى ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢ ـ ٤ .

(٢) انظر مرقس سميكة باشا ، دليل المتحف القبطى والأديرة الأثرية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٠ ، ص ١٧٣ .
رءووف حبيب ، دليل ، جـ ١ ، ص ٦٤ حاشية ١ .

هى التى كانت ترسم على اللوحات مباشرة ، ولاشك أن جميع الكنائس القبطية كانت عامرة بمثل تلك اللوحات التى دمرت أغلبها أيام الفوضى أو فى فترات تحطيم الأيقونات . (١)
وبتحدث المؤلف ذاته فى حاشية (١) عن أبجرملك رها (٢) ، الذى شُفى بلمس منديل مسح السيد المسيح به وجهه ، واحتفظ به ، وعن المرأة النازفة التى صورت على باب بيتها صورة السيد المسيح ، وعن لوقا الطبيب الذى رسم صورة العذراء مريم مع ابنها الطفل يسوع . (٣)

● ويضيف مرقس سميكة باشا : «وقد كانت الكنائس القبطية غنية جداً بالأيقونات يؤيد ذلك ما بقى منها إلى وقتنا الحاضر فى كنائس المعلقة وأبى سرجة والست بربارة وأبى سيفين ، وقد ورد فى تاريخ الكنيسة أنه فى ٤٢٠ م أمر البابا كيرلس البطريرك الرابع والعشرون بتعميم وضع الصور فى الكنائس القبطية . ومما يؤسف له أنه لا يوجد بالكنائس أيقونات من قبل القرن الرابع عشر الميلادى إذ أن أقدم صورة عثرنا عليها حتى الآن صورة البشارة بكنيسة حارة زويلة يرجع تاريخها إلى سنة ١٠٧١ للشهداء (١٣٥٥ ميلادية) (لوحة رقم ٧) ، وذلك راجع لما كانت تسببه يد الإنسان من التخريب ، وقد ورد أن يزيد بن عبد الملك كان أول من أمر بمحو الصور من الكنائس سنة ٧٢١ ميلادية ، وقد حذا حذوه بعد ذلك كثير من الحكام . (٤)

● بعد هذا السرد السريع يمكن القول ، مع برودبنت أن احترام المتعلقات الأثرية بدأ فى عصر مبكر من تاريخ الكنيسة ، فقد أحضرت الملك هيلانة أم الملك قسطنطين قطعة من خشب صليب المسيح وبعض المسامير . وزين الإمبراطور الكنائس التى بناها بصور موضوعاتها مستمدة من الكتاب المقدس وحياة الشهداء والقديسين ومنذ ذلك الوقت بدأ يكون للأيقونات قيمة ، وبدأت الكنائس تحتفظ ببعض متعلقات الشهداء إحياء لذكراهم ، واستمر اجتماع المؤمنين بالرب فى الأماكن المكرسة للعذراء والشهداء .

● وهناك أيقونة نصفية للأنبا إبراهام أسقف مدينة أرمنت محفوظة فى متحف برلين بألمانيا (لوحة رقم ٩) . وأخرى مرسومة من الناحيتين ، ناحية تمثل الشهيد القديس تادرس الشطبى والناحية الأخرى تمثل الملاك غبريال ، وهى محفوظة فى المتحف القبطى بمصر

---

(١) رءووف حبيب ، دليل المتحف القبطى ، جـ ١ ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) يقول عنه أنه « ملك الأرمن » .

(٣) يورد المؤتمن بن العسال هذه القصص نقلاً عن أوزيبيوس القيسرانى فى كتابه مجموع أصول الدين الجزء الثانى الباب ٤٧ تحقيق الأخ وديع الفرنسيسكانى للدراسات الشرقية ١٩٩٩ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٩ .

(٤) مرقس سميكة باشا ، دليل ، جـ ١ ، ص ١٧٣ .

القديمة (لوحة رقم ١٠) وتعود هذه الأيقونات إلى القرن السادس الميلادى . وعلى الأرجح الثلاث أيقونات من دير أبللو فى باويط ، ويذكر كتاب (تاريخ البطاركة) أو (سير البيعة) أن الأنبا مقار البطريرك التاسع والخمسين كان مصوراً . [١]]

٣ـ أيقونات السيد المسيح [٢]

● إن التقليد الكنسى يعود بالأيقونات الأولى للسيد المسيح إلى أيام السيد المسيح نفسه وإلى الفترة التى تليها مباشرة ، فقد عرفت تلك الآونة بازدهار فن التصوير للأشخاص فى الإمبراطورية الرومانية ، كانوا يصورون الشخصيات المشهورة . نذكر على سبيل المثال ما ورد فى التاريخ الكنسى ليوسابيوس قوله : «رأيت صوراً كثيرة جداً للمخلص ولبطرس وبولس حُفظت إلى يومنا هذا» . هذه العبارة سبقها وصف تفصيلى لتمثال المخلص الذى رآه فى مدينة نتياس(قيصرية فيلبس) بفلسطين والذى أقامته نازفة الدم التى شفاها المخلص (مت ٩ : ٢٠ ـ ٢٣ و مرقس ٥ : ٢٤ ـ ٣٤ و لو ٨ : ٤٣ ـ ٤٨) .

✥ قصص أخرى حول أيقونات السيد المسيح :

● بجانب تمثال المخلص الذى ذكره يوسابيوس حمل إلينا التاريخ روايات كثيرة خاصة بأيقونات المخلص التى صورت فى أيامه . نذكر منها :

١ ـ الرواية المشهورة عن أبجر الخامس الأسود (يخوما) ملك أديسا . فقد قيل عنه إنه بعث بسفارة إلى سابينوس الحاكم الرومانى لمدينة ايليوتروبوليس بفلسطين . وإذ علم الرسل أثناء عبورهم على أورشليم أن نبياً جديداً يشفى المرضى فكروا حالاً فى ملكهم المضروب بالبرص . ونقلوا إليه هذه الأخبار السارة . وإذ لم يكن يستطيع الملك الذهاب إلى أورشليم بعث برسله إلى السيد المسيح يحملون رسالة يعلن فيها إيمانه به ، طالباً أن يقبل الدعوة لزيارة بلدته الصغيرة اللطيفة ويشفيه إن أراد . وكان أحد المبعوثين يسمى حنانيا رساماً أراد أن يصور السيد المسيح فلم يستطع بسبب مهابة محياه . لكن الرب غسل وجهه وبطريقة معجزية طبع ملامحه على منشفة من الكتان مسح بها وجهه . ويروى أفجاريوس أن هذه الصورة المعجزية أنقذت أديسا عندما حاصرها خسروا عام ٥٤٠ م . وقيل إن العرب استولوا عليها عند فتح أديسا ، وطلبوا فيها ثمناً ضخماً من الإمبراطورالرومانى . وقد روى كاتب مسيحى عربى يسمى أبو نصر يحيى أنه رآها بعينيه فى سانت صوفيا عام ١٠٨٥ م . هذا وقد صور السيد المسيح فى هذه الصورة شاباً جميلاً .

(١) مرقس سميكة باشا ، دليل المتحف القبطى ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٣٠٧ ـ ٣١١ .

٢ ـ الرواية الخاصة للقديسة فيرونيكا التى قدمت منديلها (غطاء رأسها) للسيد المسيح تمسح به وجهه وهو فى طريقه للجلجثة ، فكافأها الرب عن عمل محبتها بانطباع صورته على المنديل بطريق معجزى .

٣ ـ كان القديس لوقا الإنجيلى طبيباً ورساماً قام بتصوير القديسة مريم والطفل يسوع ، ويوجد صورتان بديرى السريان والمحرق يقال إنهما مأخوذتان عن النسخة التى للقديس لوقا .

ـ يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : « المعروف أن الأيقونات ترجع إلى العصر الرسولى نفسه ، ويقال إن القديس لوقا الإنجيلى كان رساماً وقد رسم صورة أو أكثر للسيدة العذراء ويروى التقليد أيضاً قصة عن انطباع صورة للسيد المسيح فوق منديل ، والذى يتتبع التاريخ يجد أن أقوى عصور الإيمان كانت حافلة بأيقونات يوقرها الناس دون أن تُضعف إيمانهم بل على العكس كانت تقويه» . (١)

٤ ـ أيقونات القديسين

● بمجرد أن هدأت موجات الاضطهاد الرومانى ضد الكنيسة فى أوائل القرن الرابع الميلادى وصارت المسيحية هى الديانة الرسمية ، وإذا بأيقونات الشهداء والقديسين تنتشر لتؤكد فكرة هامة وهى أن القديسين لا يزالون أحياء ، يعملون بصلواتهم لحساب الكنيسة ، ترسيخاً للمفهوم الكنسى الواضح وهو أن الكنيسة واحدة بعنصريها السماوى والأرضى ، وأن هؤلاء الذين سبقونا إلى المجد مازالوا أحياء ويصلون لأجلنا .

● هل من ضرورة لأيقونات القديسين ؟ يجيب **الأب يوحنا الدمشقى** (٢) قائلاً :

[إن كنت تقيم صورة للسيد المسيح ولا تقيم صوراً لقديسيه ، فإنك تتبرأ لا من إقامة صور لهم بل من تكريمهم ، كأنهم ليسوا أهلاً لهذه الكرامة مع أن الرب يقول : أنا حى ، أمجد الذين يمجدوننى . ويقول الرسول الإلهى : إنه ليس عبداً بعد بل هو ابن ، وبكونه ابناً فهو وارث بالله . كما يقول : إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه . (رو ٨ : ١٧)

ـ إذ نصور السيد المسيح ملكنا وربنا لسنا نجرده من جيشه ، فإن القديسين يمثلون جيش الرب .

ـ إن كانوا هم ورثة الله ووارثون مع المسيح ، فإنهم شركاؤه فى مجد عظمته الإلهى .

ـ إن كان أصدقاء الله يشتركون فى آلام المسيح فكيف لا ينعمون بشركة مجده حتى على الأرض ؟!

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) من آباء الروم الأرثوذكس بسوريا فى القرن الثامن الميلادى وكان له دور بارز فى الدفاع عن الأيقونات فى الحرب المعروفة باسم حرب الأيقونات .

ـ إن كان الرب نفسه يقول : «لا أعود أدعوكم عبيداً بل أحباء» ، فهل نجردهم نحن من الكرامة ؟!

ـ «أما أنا فأسجد لأيقونة السيد المسيح لكونه الله المتجسد ، وأسجد لأيقونة سيدتنا ووالدتنا كلنا بكونها أم ابن الله . وأسجد لأيقونات القديسين كأصدقاء الله ، فقد قاوموا الخطية حتى الدم، وتبعوا السيد المسيح بسفك دمائهم من أجل ذاك الذى بذل ذاته عنهم»]. (١)

ثالثاً : الأساس اللاهوتى للأيقونات

✤ الأيقونات والتجسد الإلهى : السيد المسيح هو أيقونة الله :

● قامت وصية تحريم الصور فى العهد القديم على أساس عدم إمكانية تصور اللاهوت . فإن الله غير محدود ولا منظور . أما فى العهد الجديد قامت المسيحية تحمل فى جوهرها إعلان الله عن نفسه خلال ابنه المتجسد . «الله لم يره أحد ، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر» (يو ١ : ١٨) معلناً بتجسده صورة الله أو أيقونته . فعندما سأله فيلبس : « أرنا الآب وكفانا» ، أجابه الرب : «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس ؟ من رآنى فقد رأى الآب» . (يو ١٤ : ٨ ، ٩)

● بالتجسد الإلهى أظهر الله نفسه على الأرض بشكل منظور ، إذ أخذ جسداً يمكن تصويره ، وخضعت حياته على الأرض إلى أحداث يمكن رسمها فى أيقونات ويمكن تسجيلها بالكلمات .

✤ السيد المسيح هو صورة الله = هو أيقونة الله

ـ جاء عن السيد المسيح فى الكتاب المقدس أنه «صورة الله» . (٢ كو ٤ : ٤) وجاءت هنا كلمة صورة فى اليونانى εικων (أيقونة) والكلمة تعنى صورة تامة كاملة أو صورة جوهرية .

ـ وجاء عن السيد المسيح أيضاً : «الذى هو صورة الله غير المنظور» . (كو ١ : ١٥) وجاءت هنا أيضاً صورة فى اليونانى εικων (أيقونة) وهكذا فإن كلمة أيقونة تعنى صورة حقيقية وكاملة وجوهرية . فالسيد المسيح هو أيقونة الآب أو صورة حقيقية وكاملة وجوهرية للآب .

● فى هذا يقول **الأب يوحنا الدمشقى** : « إذ أخذ غير المنظور جسداً منظوراً تستطيع أن ترسم لهيئته شبهاً ! لقد كان روحاً مجرداً ليس له هيئة محدودة معينة ولا يمكن قياسه أو تحديد طبيعته إذ هو الله ، لكنه وقد أخذ شكل العبد من جهة وجودنا وهيئتنا وحمل جسداً تستطيع

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٧ .

أن تصور شبهه وتظهره لمن يريد التأمل فيه . صور تنازله الذى لا يوصف وميلاده البتولى وعماده فى الأردن وتجليه على جبل طابور وآلامه كلية القدرة وموته ومعجزاته دليل لاهوته ، الأعمال التى صنعها وهو فى الجسد بقوة لاهوته . صور صلبه واهب الخلاص وقبره وقيامته وصعوده إلى السموات . لا تخف ولا ترتبك ! » . [1]

● وفى هذا يقول أيضا **الأنبا يوساب الأبح** : «لم يكن لله شبه أو مثال . ولما تجسد الله وأخذ طبيعتنا ، صار إنساناً له شبه ومثال ، «هو صورة الله غير النظور» (كو ١ : ١٥) «هو بهاء مجده ورسم جوهره» (عب ١ : ٣) يسوع المسيح الذى رسمه أهل غلاطية أمام أعينهم مصلوباً كقول الرسول بولس : أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا. من أجل هذا أمر معلمّوا الكنيسة برسم صورة المسيح مصلوباً» . [2]

رابعاً : فوائد استخدام الأيقونات

١ ـ لها دور هام فى التعليم الكنسى [3]

● إن كانت الكتابة والعظات هى أيقونات لفظية فإن الأيقونات بدورها هى عظات وكتب مرسومة ، مسجلة بلغة بسيطة جامعة ، يقرأها الكل دون تمييز بين لسان ولسان ، يترجمها الأمى بلغة بسيطة كمن يقرأ كتاباً أو يسمع عظة ، ويتلمس فيها المتعلم ما تعجز الكتابة الإفصاح عنه . الأيقونات لغة الكنيسة الجامعة الممتدة عبر الأجيال .

هذا الهدف التعليمى فى الواقع أُستخدم كأساس للدفاع عن استخدام الأيقونات فى الكنائس، نذكر على سبيل المثال :

١ ـ بعث **الأب نيلس السينائى** (تنيح سنة ٤٣٠ م) برسالة إلى أوليمبيادورس إيبارخيوس الموظف الملكى الذى أنشأ كنيسة أراد أن يزينها بآلاف من الصلبان مع رسومات ومناظر من الحياة اليومية ، مثل صيد الوحوش وصيد الأسماك ، قرر فيها أن صليباً واحداً يكفى ، وعوض مناظر الصيد ترسم صوراً من الكتاب المقدس بيد فنان حازق . جاء فى رسالته : «ليت يد الفنان تملأ الكنيسة فى كل جوانبها بصور من العهد القديم والعهد الجديد حتى يستطيع الأميون العاجزون عن قراءة الكتب الإلهية بتطلعهم إلى الصور أن يذكروا الأعمال المملوءة شجاعة التى قام بها خائفوا الله بإخلاص . هكذا تلتهب فيهم الغيرة على القيام

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٧٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع الأسبق ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢ .

بأعمال بطولية مجيدة تستحق المديح على الدوام مستبدلين الأرض بالسماء ومفضلين غير المنظورات عن الأمور المرئية» .

٢ ـ كتب **الأب غريغوريوس الكبير** (٥٤٠ ـ ٦٠٤ م) إلى سيرنيوس أسقف مارسيليا الذى أمر بتحطيم الأيقونات لكى يمنع ما رآه عملاً شريراً جاء فيها : «نما إلى علمنا أنكم حطمتم صور قديسين فى غيرة لا يمكن تصورها وقد بررتم هذا على أساس أنه لا يجوز عبادة الصور. منعكم عبادتها أمر يستحق المديح . أما تحطيمكم لها فهذا تلامون عليه . التعبد للصورة شيء واستخدامها لاستذكار موضوعها شيء آخر . فإن الرسم بالنسبة للأمى كالكتابة للمتعلم . تستخدم الرسومات فى الكنائس حتى يقدر على الأقل الأميون أن يقرأوا خلال تطلعهم إلى الحوائط ما لا يستطيعون قراءته فى الكتب . الصورة بالنسبة للوثنى على وجه الخصوص تقوم بدور الكتاب».

٣ ـ ويقول **الأب يوحنا الدمشقى** فى دفاعه عن الأيقونات : «إن سألك وثنى أن تعرفه إيمانك فخذه إلى الكنيسة وأقمه أمام الأيقونات» .

٢ ـ لها دور هام فى الحياة الروحية (١)

● تروى لنا **القديسة مريم المصرية** عن توبتها قائلة :

«عندما نظرت إلى فوق الباب فلمحت أيقونة كلية الطهر مريم والدة الإله ، أخجلنى طهر محياها . لقد تجلى قدامى كل بؤسى القديم . وصارت خطاياى تعذبنى . فانحنيت قدام الأيقونة وطلبت فرصة أخرى لكى أتبع مخلصى ، لقد طلبت عون العذراء ، سألت مخلصى أن ينقذنى ويقودنى فى طريقه».

● نستطيع أن نقول إن كانت الصور الخليعة تفسد أنظار الكثيرين وتدنس أفكارهم وتعثرهم، فإنه على العكس الأيقونات المقدسة هى أداة تستخدمها النعمة الإلهية لتسند الفكر فى انشغاله بالله ، وتلهب القلب بالتوبة المستمرة ، وتنطلق بالنفس شوقاً نحو السماويات .

● يرى المسيحى فى الأيقونات المقدسة عوناً طوال رحلته على الأرض ، فهى تسنده فى كل الظروف وتعينه على الشركة مع الله ، والتفكير فى السماء والسمائيين .

● الأيقونات المقدسة الموجودة فى الكنيسة أو المنزل ، تعين الإنسان على التأمل فى الإلهيات والروحيات ، وذلك من خلال الأيقونات المحسوسة .

ـ فحينما ينظر الإنسان إلى يسوع المولود فى مذود للحيوانات ، يتأمل اتضاعه ومسكنته

(١) المرجع الأسبق : ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ .

ويتذكر قوله : «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات» .

- وحينما ينظر الإنسان إلى صورة العائلة المقدسة وهى راكبة على الحمار وآتية إلى مصر ، يتعلم كيف ينبغى للإنسان أن يهرب من الشر وعليه أن يعمل بالوصية لا تقاوموا الشر بالشر .

- وحينما ينظر الإنسان إلى أيقونة السيد المسيح وهو يعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن ، يتأمل فى المسيح العجيب فى اتضاعه إذ يقبل هذا الأمر من أجلى لأنه أكمل الناموس عنى .

- وكذلك حينما ينظر الإنسان إلى أيقونة السيد المسيح وهو يغسل أقدام تلاميذه ، يتعلم كيف تكون الخدمة الحقيقية : خدمة غسل الأرجل .

- وكذلك حينما ينظر الإنسان إلى أيقونة السيد المسيح المتوج بإكليل الشوك فوق جبينه والدم ينزف من كل رأسه وجسمه ، يدرك كم كانت آلام الفداء . ويتلامس مع محبة المسيح الباذلة .

- وكذلك حينما ينظر الإنسان إلى صورة السيد المسيح المصلوب وهو معلق هكذا عرياناً والدم ينزف منه وعلامات الإعياء الشديد عليه ، يصرخ ويقول : آه يا ربى إن آثامى هى التى جعلتك ترضى بكل هذا ، فيستحى الإنسان أن يفعل الخطية بعد ذلك .

وهكذا فإن للأيقونات دوراً حيوياً وهاماً فى دفع الإنسان فى الطريق الروحى .

٣- لها دور هام فى التذكر المستمر للسيد المسيح وقديسيه

❖ إن الصور هى قصص مقروءة وتذكارات دائمة :

- أمر الرب بعمل تابوت مصفح بالذهب ، وخشبه يكون غير قابل للتلف ، ويوضع داخله قسط الذهب المملوء بالمن ، وعصا هرون التى أزهرت وأثمرت ، ولوحى العهد المكتوبَيْن بأصبع الله ؟ وكان هذا الترتيب لحفظ تذكار عمل الله مع بنى إسرائيل وكان بمثابة أيقونة حقيقية موضحة لعلاقات الله مع شعبه ؟

- وأمر الرب أيضاً أن يؤخذ اثنا عشر حجراً من قاع نهر الأردن بعد أن انفلقت مياهه وعبر بنو إسرائيل ، لتُقام كشاهد ومذكر للأجيال القادمة بعمل الله مع شعبه قائلاً : «تكون هذه علامة فى وسطكم ، إذا سأل غداً بنوكم قائلين : مالكم وهذه الحجارة ؟ تقولون إن مياه الأردن انفلقت أمام تابوت عهد الرب فتكون الحجارة تذكاراً» . (يش ٤ : ٦ و ٧)

● وجاءت كنيسة العهد الجديد فرتبت فى طقوسها عمل أيقونات للأحداث الرئيسية فى حياة السيد المسيح لتساعد المؤمنين على تذكرها والتأمل فيها ، فتوجد أيقونات للسيد المسيح خاصة بالبشارة بميلاده ، وميلاده فى مذود للبقر ، وتقديم المجوس هداياهم له ، وهروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر ، وأيضاً لعماده فى نهر الأردن من يوحنا المعمدان ، كما

توجد أيقونات تصور خدمته وهو يعظ على الجبل ، ويصنع المعجزات ، مثل شفائه عينى المولود أعمى ، وتهدأته للبحر والأمواج ، وكذلك توجد أيقونات تصور دخوله الانتصارى يوم أحد الشعانين ، وأيضاً العشاء الربانى وغسله لأرجل تلاميذه يوم خميس العهد ، ثم أحداث الآلام والصليب والدفن يوم الجمعة الكبيرة ، وأيضاً توجد أيقونات للقيامة المجيدة والفريدة ، وكذلك لظهوراته لتلاميذه والمريمات المتعددة عند القبر وفى العلية وعلى بحيرة طبرية وأيضاً لصعوده المجيد .

- كما توجد أيقونات تصور لنا جوانب مختلفة من حياة السيدة العذراء مريم والملائكة والشهداء والقديسين .

- **الصور والأيقونات أمامنا بحق ، هى تذكارات حية دائمة :**

- فصورة السيد المسيح فى المذود ، تذكرنا بميلاد السيد المسيح فى ملء الزمان من العذراء مريم .
- وصورة السيد المسيح المصلوب ، تذكرنا بالفداء العظيم .
- وصورة السيد المسيح القائم ، تذكرنا بنصرة المسيح على الموت .
- وصورة صعود رب المجد ، تذكرنا أنه كما صعد هو ، سنصعد نحن أيضاً . .
- وصورة السيدة العذراء مريم ، تذكرنا دائماً بالبتولية والطهر والنقاء .
- وصورة القديس يوحنا المعمدان ، تذكرنا بالشجاعة وقول الحق .
- وصورة الشهيد مار مينا أو مار جرجس أو أبى سيفين أو أى شهيد آخر ، تذكرنا بالاحتمال والتمسك بالإيمان حتى الدم .
- وصورة القديس أثناسيوس الرسولى ، تذكرنا باستقامة العقيدة .
- وصورة القديس الأنبا أنطونيوس ، تذكرنا بالرهبنة وحياة النسك والزهد .
- وصورة القديس الأنبا بولا ، تذكرنا بعناية الله بأولاده وإرساله لهم طعاماً فى كل حين .
- وصورة القديس الأنبا باخوميوس ، تذكرنا بحياة الشركة وجمالها .
- وصورة الأنبا بيشوى ، تذكرنا بالخدمة والحب والمسكنة .
- وصورة الشهيد أبانوب ، تذكرنا بالطفولة النقية .
- وصورة الشهيدة بربارة أو القديسة دميانة ، أو غيرهما من القديسات ، تذكرنا بأن حياة الفضيلة هى للمرأة كما هى للرجل أيضاً .

خامساً : تكريس الأيقونة

● فى الطقس القبطى الأصيل لا يقدم التكريم الخاص بالأيقونات المقدسة من تبخير إلا إذا كانت أيقونات كنسية ، مكرسة بواسطة الأسقف وممسوحة بالميرون الذى يسح به المؤمنون بعد عمادهم ليحل الروح القدس فيهم ويصيروا هيكلاً مقدساً له . فتصير فى ملكية الرب مقدسة وقادرة بالروح القدس أن تجتذب القلوب إلى السموات . كأن الأيقونة الكنسية ليست لوحاً تذكارياً وإنما أيضاً تحمل قوة روحية فعالة فى حياة الكنيسة .

● هذا ما يكشفه طقس تكريس الأيقونات المقدسة .

ماذا يحدث فى طقس تدشين الأيقونات ؟

١ ـ التدشين هو التكريس أى التقديس والتخصيص لله ... فتصير الأيقونة بعد تدشينها وسيلة مقدسة لإعلان حضور الله بفعل الروح القدس ؛ لذلك وجب تكريمها والتبخير أمامها وتقبيلها بكل وقار .

٢ ـ يقوم بطقس التدشين الأب الأسقف وليس غيره .

٣ ـ فى الصلاة التى يصليها الأب الأسقف لتدشين الأيقونة يذكر الأساس الكتابى واللاهوتى لعمل الأيقونات :

أ ـ الأساس الكتابى : «أيها السيد الرب الله ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى من قبل عبده موسى أعطانا الناموس منذ البدء أن يضع فى قبة الشهادة (خيمة الاجتماع) نماذج للشاروبيم (تماثيل) هؤلاء الذين يغطون بأجنحتهم على المذبح . وأعطيت كلمة لسليمان من جهة البيت الذى بناه لك فى أورشليم» وهنا فى ايجاز تذكر الكنيسة مرجعها الكتابى فى عمل الأيقونة .. وهو النقوش والصور والمثالات التى صنعها كل من موسى فى خيمة الاجتماع وسليمان عند بناء الهيكل والتى ذكرها الكتاب المقدس .

ب ـ الأساس اللاهوتى : «وظهرت لأصفيائك الرسل بتجسد ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ليبنوا لك كنائس وأديرة على اسم قديسيك وشهدائك» وهنا تبرز الكنيسة أن الأساس الخريستولوچى الذى تبنى غليه الكنائس وما فيها هو ظهور الابن الوحيد وتجسده .

ج ـ عمل الروح القدس : «من أجل هذا نسأل ونطلب منك يا محب البشر أرسل روحك القدوس على هذه الصور التى للقديسين أو (للشهداء) (...) » إننا نؤمن إيماناً قاطعاً أن الروح القدس يحل على الأيقونات بالصلاة وبالدهن بالميرون فيقدسها ويؤهلها للكرامة والتوقير الذين تستحقها ، فيرشم الأسقف الأيقونات بالميرون ثلاث مرات وينفخ فيها نفخة

الروح القدس قائلاً : «فليكونوا ميناء خلاص . ميناء ثبات .. لكى كل من يتقدم إليهم بأمانة (بإيمان صادق) يطلب القديس ... عنهم أمام الله لغفران خطاياهم» .

إنه تعبير رائع تطلقه الكنيسة على الأيقونة أنها ميناء خلاص وميناء ثبات ، لكل نفس متعبة فى بحر العالم المتلاطم الذى يزعج سلامنا وأمننا .. فتلجأ النفس إلى أيقونات القديسين وترى فيها إلهام النصرة والطهارة فتتشجع النفس وترتفع إلى السماويات ماسكة برجاء المجد ... ناظرة إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع .

د. خاتمة الصلاة : «لأنه مبارك ومملوء مجداً اسمك القدوس أيها الآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين» . حقاً القديسون يمجدونك يا رب ويمجد ملكك ينطقون .. ووجودهم بيننا فى الكنيسة هو برهان مجد الله «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات» . (مت ٥ : ١٦)

لذلك تعتبر الكنيسة أن تدشين الأيقونة هو مباركة وتمجيد لاسم الله القدوس ... إذ عندما يلتفت المؤمنون إلى كرامة القديسين ومجدهم ترتفع أنظارهم إلى السماء ليمجدوا اسم الله ويباركوه . لك المجد فى جميع القديسين يا الله .

سادساً : إكرام الأيقونات

✤ بين الأيقونة والأصل :

● الأيقونة ليست صنماً نتعبد له ، لكن كل تكريم لها إنما هو لقاء مع من تمثله الأيقونة .

- وكما يقول **القديس باسيليوس** : «الكرامة التى تقدم للأيقونة تعبر إلى الأصل» . (١)

✤ أقوال الآباء بشأن إكرام أيقونات القديسين :

- يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : « إننا لا نعبد الصور ولا الأيقونات وإنما نكرمها . وفى ذلك نكرم أصحابها حسب قول الرب لتلاميذه : «إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب . (يو ١٢ : ٢٦) ، فإن كان الآب يكرم قديسيه ألا نكرمهم نحن ؟» . (٢)

- كما يقول **قداسته** : «نحن فى إكرام الصور إنما نكرم أصحابها ... وحينما نقبل الإنجيل إنما نظهر حبنا لكلمة الله ، ولله الذى أعطانا وصاياه لإرشادنا ، وحينما نسجد للصليب فإنما نسجد للمصلوب عليه ، وفى كل ذلك لا تنطبق علينا مطلقاً عبارة : لا تسجد لهن ولا تعبدهن» . (٣)

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٩٣ .

(٢) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن جـ ١ ، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ـ تحدث **الأنبا يوساب الأبح** عن تكريم الأيقونة المكرسة وفاعليتها فى حياة الكنيسة قائلاً :

«تقولون : كيف نسجد للألوان ؟ وكيف نقنع أفكارنا ؟ .. لابد من تكريس أوانى الخدمة والمذابح والصور ، لا من يد كاهن بل من يد رئيس الكهنة ويمسحها بدهن الميرون ، والميرون هو مثال الروح القدس . وقوانين الكنيسة تسمح للشماس أن يمسك بالكأس ويناول منه المؤمنين ، لكنها لا تجيز له أن يحمل الميرون ولا أن يقترب إليه ، لأنه ليس له سلطان أن يعطى الروح القدس لغيره . أنظروا إلى طقس الكنيسة ، كيف رتب بحكمة دقيقة بإرشاد روح الله ، فالمذبح والأوانى والصور يجب ألا يسجد أمامها بل ولا تقبل أيضاً قبل أن يمسحها رئيس الكهنة بدهن الميرون ... يأمر قانون الكنيسة أن تحضر الصورة فوق المذبح أثناء صلاة القداس ويصلى عليها . ثم تمسح بدهن الميرون ، وإذا فرغ من توزيع القربان ينفخ فى وجه كل صورة ثلاث مرات قائلاً : اقبلوا الروح ..ربما تشك قائلاً : كيف يحل الروح القدس فى صورة ؟ . أقول لك : إن كنت لا تصدق أن الروح يحل بدهن الميرون ونفخة الأسقف فقد صار كل الإيمان باطلاً . فالروح إذن لا يحل على المذبح ولا القربان ولا الكنيسة ، ويكون سجودنا أمام الهيكل باطلاً أيضاً . ولكن حاشا لله ! اسمع ما يقوله الإنجيل المقدس : «من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه . ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه». (مت ٢٣ : ٢٠ ـ ٢١) عرفنى من هو ساكن فيه إلا روح الله ؟! ربما تقول : ومن الذى أسجد له ؟ هل أسجد لروح الله الحال فى الصورة ؟ أم أسجد للشهيد أو القديس صاحب الصورة؟ أقول ، إنما السجود هو لروح الله ، أما صاحب الصورة فينبغى له التبجيل والسلام والإكرام ، وسؤاله الصلاة والشفاعة قدام الرب» . (١)

ـ ويقول **الأب يوحنا الدمشقى** :

«اسمعوا يا شعب المسيح يا مختارى الله : كل مَن يُعلِّمكم بغير ما تعلَّم به الكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الأرثوذكسية التى استلمت تعاليمها من الرسل ، فلا تسمعوا له ولا تقبلوا مشورة لإنسان ، إنها ضلالة شيطان . وإذ علَّمكم ملاك أو سلطان بغير ما علَّمناكم فسدُّوا آذانكم ولا تسمعوا لهم» .

ـ «إن التوقير والإكرام شىء والعبادة شىء آخر . فالله وحده هو المستحق العبادة من كل من فى السماء من فوق ومن فى الأرض من تحت» .

ـ «فنحن نسجد ونعبد الله ، ونوقر قديسيه ونكرمهم إكراماً للروح القدس الذى ملأهم : «من يقبلكم يقبلنى» . (مت ١٠ : ٤٠) لأنه «ليس نبى بلا كرامة» . (مت ١٣ : ٥٧)

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

- «إن الصليب والأيقونات ليست آلهة نعبدها وإنما هى تدعونا لعبادة الإله الحى وحده» .
- «إذا كانت صورة الملك تُحتَرم كالملك ، وعند ظهورها يقف الجميع إجلالاً وإكراماً ، ومن يستهزئ بها يعاقَب بشدة ، فكيف لا تكون صورة المسيح مستوجبة السجود والوقار ، وصور القديسين مستحقة الاحترام والكرامة !» .
- «كان الشياطين يرتعبون من القديسين ويفرون من أمامهم ، بل ومن ظلّهم إذا خيَّم عليهم ؛ أفلا تكون صورهم كظلّهم ؟
- «إلى الآن ترتعب الشياطين من صور القديسين ، وتفزع منها صارخة وتخرج من المصابين بخزى وفضيحة . كما تفزع من صورة الصليب ومن الزيت المقدس والماء المصلَّى عليه» .
- إن مَن يرفض أن يعطى لصورة الله أو أحد قديسيه ما تستحق من كرامة ، فإنه مؤيَّد بفكر شيطانى . لأن الصورة تذكار وإعلان عن أمر إلهى ، وتسبيحٌ صامت له». (1)

سابعاً : الرد على أسئلة وإدعاءات

١ - هل آباء الكنيسة حاربوا استخدام الصور والأيقونات ؟

يقول **أحد المعترضين** : «ولأن الله لا يترك نفسه بلا شاهد فقد رفض وجود الصور بالكنيسة العديد من أكبر اللاهوتيين بالقرن الثانى والثالث ... ومن بين رجال الله الأتقياء الذين حاربوا أيضاً وجود الأيقونات بالكنائس فى القرن الرابع القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس (٣١٥ - ٤٠٣ م) ، وكذلك رجل الله التقى الإمبراطور ليون الثالث البيزنطى الأرثوذكسى الذى سن هجوماً ضد الأيقونات بالكنائس الأرثوذكسية فى القرن الثامن (٧٢٦ - ٧٨٠ م) والتى عادت مرة أخرى للكنائس على يد الإمبراطورة إيرينى عام ٧٨٠ م وكذلك أيضاً الإمبراطور الأرمنى الأرثوذكسى ليون الخامس الذى قام بهجوم جديد على الأيقونات فى القرن التاسع (٨١٥ - ٨٤٣ م) ولكن للأسف عادت الأيقونات مرة أخرى على يد الإمبراطورة البيزنطية ثيؤدورا عام ٨٤٣ م» .

الرد :

عزيزى القارئ : اسمح لى أن أعرض لك تاريخ الأيقونات ، لتعرف بطلان وبهتان الكلام السابق ، وأن المدعى قد أخذ جانباً واحداً من التاريخ ، ولم يأخذ بقية الجوانب .

تاريخ الأيقونات :

١ - القرون الثلاثة الأولى :

(1) المرجع السابق : ص ٢٩٩ .

● سبق أن أشرنا إلى أن الطابع السائد لأيقونات القرنين الأول والثانى هو الرمزية ، لكننى أود أن أوضح أنه بجوار هذه الرموز وجدت أيضاً أيقونات للسيد المسيح وأمه وتلاميذه ، كما وجدت أيقونات تمثل أحداث الكتاب المقدس .

الغنوسيون واللاهوتيون الأوائل :

تمادى الغنوسيون [1] فى تكريم هذه الصور فى وسط جو وثنى . وعبر الغنوسيون بصورهم عن أفكار خاطئة باطلة ، واستخدموا أحياناً أشكالاً بشرية وحيوانات جاءت فى ذاتها أصناماً .

وكان رد الفعل الطبيعى لهذا الاتجاه الغنوسى أن انبرى اللاهوتيون فى القرون الثلاثة الأولى يتحدثون بلهجة عنيفة ضد كل تعبير فنى ، خوفاً من النكوص إلى الوثنية . وكان من بين هؤلاء القديس إكليمندس السكندرى والعلامة ترتليان ، وإن كان الأخير قد تحدث بشئ من الاستفاضة عن رسم الراعى الصالح على الكأس ، كما تحدث عن الصليب ورشمه كأمر واقع يمارسه المؤمن طوال يومه .

إذن اللاهوتيون الذين حاربوا الأيقونات فى هذه الفترة حاربوا الاتجاه الغنوسى بأفكاره الخاطئة والمضللة ...

٢ ـ القرن الرابع :

● يتحدث آباء القرن الرابع بصفة عامة عن الأيقونات كأمر مستقر ، تملأ كل جوانب الكنيسة، ويمدحون عملها فى حياة المؤمنين الروحية .

كانت الأيقونات والتماثيل تسلب لب الملوك ، فيخبرنا يوسابيوس المؤرخ ـ وهو من مقاومى الأيقونات ـ أن قسطنطين أمر بصنع تمثال للصليب وضعه عام ٣١٢ م ، بجوار تمثاله ، كما أخبرنا أن قسطنطين أيضاً صنع صورة للراعى الصالح وأخرى تمثل الآلام المقدسة منقوشة ومرصعة بالأحجار الكريمة ، وضعها فى غرفته الخاصة .

❖ الأيقونات وآباء القرن الرابع :

● فى البداية رفض القديس بولينوس أسقف نولا استخدام الأيقونات كما يظهر من قوله : «أعمال أيدينا لا تحويك أيها الخالق العظيم ، يا من العالم كله لا يسعك» . لكنه أدرك فيما بعد أهمية الأيقونات فى الحياة الكنسية ، فزين الكنيسة الجديدة التى أقامها باسم القديس فيلكس، كما زين البازليكا القديمة بالمدينة ، وكنيسة فوندى حوت أحداث من الكتاب المقدس ، وصور رمزية للثالوث القدوس .

من بين المواضيع التى استخدمها فى الكنيسة الأولى : أيقونات عن الخليقة ، وذبح إسحق ،

(١) الغنوسيون : أصحاب الفكر الغنوسى الذى نادى بأن جسد المسيح خيالى ، وأن المادة شر فى ذاتها .

وعفة يوسف ، وغرق فرعون ، وانفصال راعوث وعرفه . أما الكنيسة الثانية فحوت أيقونات من العهدين . وجاءت الكنيسة الثالثة تصور منظر الدينونة وقد وقف السيد المسيح يفصل الخراف والجداء ، وصور فى شرقيتها رمزاً للآلام على شكل حمل أبيض مكلل تحت صليب أحمر .

● وفى هذا القرن أيضاً نجد **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ ـ ٣٧٩ م) يقول فى عظة له عن استشهاد برلعام : «امتثلوا أمامى يا صانعى الأيقونات الخاصة باستحقاق الشهيد !! .. فإنى أبتلع من صوركم التى تمثل أعمال الشهيد المملوءة شجاعة ! ... ليته يصور ـ فى أيقوناتكم أيضاً ـ السيد المسيح الذى أقام الصراع !» .

● على نفس المنوال يصف **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** (٣٣٥ ـ ٣٩٤ م) مناظر استشهاد ثيؤدوسيوس التى تبدو أنها مرسومة على حائط الكنيسة الحاوية لرفاته . يقول القديس : «لقد صور الفنان فى ألوان زاهية أعمال الشهيد المملوءة بطولة وجهاده وآلامه وصرامته كجندى المسيح حتى قال : وإن كانت الصورة صامتة لكنها كمن يتحدث من على الحائط ليقدم نفعاً عظيماً» !.

ويخبرنا القديس ذاته أن نفسه اهتزت فى داخله عند رؤيته للأيقونات التى تمثل ذبح إسحق ، قائلاً : «كثيراً ما شاهدت صوراً تمثل ذبح إسحق ، لا أقدر أن أتأملها دون أن أذرف الدموع ، لأن المصور الفنان قدمها بطريقة صادقة» .

● وعرفنا عن **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) أنه كان لديه أيقونات للقديس بولس يضعها أمامه أثناء سهره ليلاً وهو يدرس رسائل القديس بولس ، ووصف أنه إذ كان يتمعن فى النص المكتوب كانت الأيقونات ككائن حى تتحدث معه .

● وعلى العكس كان **القديس أبيفانيوس** (٣١٥ ـ ٤٠٣ م) من مقاومى الأيقونات فى هذا القرن ، ففى أثناء عبوره على قرية تدعى Anablatha بفلسطين وجد حاجزاً قائماً بجوار الكنيسة رسمت عليه صورة السيد المسيح أو صورة قديس ... فنزعها ، ونصح أن تستخدم كنافذة أحد بيوت الفقراء .

٣ ـ القرنان الخامس والسادس :

● أشار **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) إلى رسم صور للسيد المسيح ورسله على حوائط الكنائس كعادة منتشرة فى أيامه . ولقد امتدح القديس فن الرسم كعمل يمكن أن تسنده نعمة الله ، قائلاً : «الأمور الجميلة التى تعبر من الفنانين إلى أياديهم مصدرها الجمال

(الله) ، الذى هو فوق كل النفوس ، الجمال الذى تلهج فيه نفسى ليل نهار !» .

كما امتدح الأيقونات الخاصة بذبح إسحق المنتشرة فى الكنائس ، وإن كان قد هاجم الذين أساءوا استخدام الأيقونات .

● أما فى القرن السادس ، فقد عرفنا أوستيروس أسقف أماسيا الكثير عن الأيقونات التى فى عصره ، ففى إحدى عظاته عن الشهيدة أوفيمية وصف بدقة الأيقونة الخاصة بها . وأقرظها وقارنها بأعمال فنية لكبار الفنانين فى عهده . وقد استعان مجمع نيقية (الثانى) عام ٧٨٧ م بنص مقالته كبرهان قوى على ضرورة توقير الأيقونات .

● وفى هذا القرن أمر سيرنيوس أسقف مرسيليا بتحطيم كل أيقونات إيبارشيته لأن البعض قد بالغ فى توقيرها ، فأسرع البابا غريغوريوس بالكتابة إليه كما سبق وذكرنا .

٤ ـ القرن السابع :

● استمرت الأيقونات فى الانتشار ، وزينت الكنائس والهياكل بأشكال وأحجام مختلفة .

٥ ـ حركة مقاومى الأيقونات :

أطلق تعبير «مقاومى الأيقونات» على جماعة ، قامت تحارب استخدام الأيقونات المقدسة ، أفسدت سلام الكنيسة البيزنطية فى القرن الثامن وبدء القرن التاسع ، وكان لها أثرها على الغرب أيضاً . أما بالنسبة لكنيسة الإسكندرية فقد كانت قد أنهت كل علاقة لها بالقسطنطينية (بيزنطية) وروما ، خاصة بعد دخول العرب مصر .

❖ المرحلة الأولى من الصراع ٧٢٦ ـ ٧٧٥ م :

● أساء البعض من الشعب البيزنطى استخدام أيقونات القديسين ورفاتهم ، الأمر الذى أدى إلى رد فعل مضاد . فقد قامت جماعة من الأساقفة يقاومون استخدام الأيقونات ، والتفوا حول الإمبراطور ، ليون الثالث ، يسألونه مساعدتهم . حاول جرمانيوس بطريرك القسطنطينية أن يوضح فائدة استخدام الأيقونات للإمبراطور لكنه لم يفلح ، بل على العكس أصدر الإمبراطور منشوره عام ٧٢٦ م بتحطيم الأيقونات .

● بدأ الجنود ينفذون الأمر الإمبراطورى وحدثت إضطرابات فى أنحاء الإمبراطورية ، فقد تسبب تحطيم صورة السيد المسيح التى على الباب النحاسى للقصر فى إحداث شغب كبير بين الشعب . كذلك قاوم جرمانيوس ، بطريرك القسطنطينية ، المنشور والتجأ إلى البطريرك غريغوريوس بابا روما عام ٧٢٨ م فأعلن الإمبراطور أنه يثير الشعب وطرده ، وفى عام ٧٣٠ م أقام أحد مقاومى الأيقونات يدعى أنسطاسى بطريركاً بدلاً منه .

● كتب الإمبراطور إلى بابا روما يأمره بقبول المنشور الجديد وتحطيم الأيقونات ويطالبه بدعوة مجمع يُحرم استخدامها ، لكن البابا غريغوريوس أجابه عام ٧٢٧ م بدفاع مطول عن فوائد استخدام الأيقونات ، وفيه لام تدخل الإمبراطور فى الشئون الكنسية وأكد الحاجة إلى عقد مجمع ، مطالباً إياه أن يحجم عن سياسته هذه فى هذا الشأن .

فى هذه الآونة نشر الأب يوحنا الدمشقى ثلاث مقالات ضد مقاومى الأيقونات . أما فى الغرب فثار الشعب ضد منشور الإمبراطور .

● وبعد سلسلة من الصراعات والاصطدامات انعقد مجمع نيقية عام ٧٨٧ م . بناء على دعوة الإمبراطورة ايرينى . وأعلن المجمع قانونية استخدام الأيقونات ووقع على قراراته ٢٠٨ أسقفاً. كما أعلن أيضاً أنه يليق تقديم التكريم للأيقونات المقدسة دون العبادة ، وأن هذا التوقير مقدم لها بطريقة نسبية لمن تمثلهم الأيقونات .

✣ المرحلة الثانية من الصراع :

● فى عام ٨١٤ م قامت حركة مقاومة الأيقونات من جديد فى أيام لاون الخامس (٨١٣ - ٨٢٠ م) وبدأ هذا الإمبراطور بتحطيم الأيقونات من جديد ، كما استبعد أنسيفورس البطريرك عن كرسيه عام ٨١٥ م ، وسجن كثيراً من الأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين ، وعذب البعض وقتل البعض .

✣ انتصار الأرثوذكسية :

● وفى عام ٨٢٩ م جاء خلفه ثاؤفيلوس وتسلمت زوجته الإمبراطورية ثيؤدورا الوصاية على ابنها ميخائيل الثالث فأنهت قصة المقاومة تماماً ، إذ فتحت أبواب السجون ، وأطلقت المدافعين عن الأيقونات ، كما انعقد مجمع فى نفس العام يجدد قوانين مجمع نيقية (الثانى) ويؤكد طرد البطريرك يوحنا السابع وحرمان مقاومى الأيقونات . وفى الأحد الأول من الصوم الكبير الموافق ١٩ فبراير ٨٤٢ م دخلت الأيقونات إلى الكنائس فى أحتفال كبير عظيم ... وحسب هذا اليوم «عيد الأرثوذكسية» عند اليونان ، يحفظونه كل عام (الأحد الأول من الصوم الكبير) ومنذ ذلك الحين وأمر تكريم الأيقونات مستقر ومعروف فى الكنائس التقليدية [١] .

أما الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فلم تدخل من قريب أو بعيد فى دائرة هذا الصراع. بل كان الأمر مستقراً عندها منذ البداية وهو توقير الأيقونات وتكريمها دون عبادتها .

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٣٤٩ - ٣٧٠ .

هذه هى نبذة مختصرة عن تاريخ الأيقونات ، وكيف أن الأصل هو إكرام الأيقونات ، وأن ما حدث عبر التاريخ هو مقاومة من البعض خوفاً من الاستخدام الخاطئ للأيقونات ، ولكن حركات المقاومة هذه كانت سريعاً ما تنتهى ليستمر الوضع الأصلى وهو إكرام الأيقونات فى الكنائس وبين المسيحيين .

٢ـ هل التبخير أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟

الـرد :

طقس البخور فى الكنيسة الأرثوذكسية ومدلولاته الروحية :

يضع الكاهن خمس أياد بخور فى الشورية ، ثم يصلى لله أوشية البخور سراً :

✣ **فى بخور عشية :** «أيها المسيح إلهنا العظيم المخوف الابن الوحيد وكلمة الله الآب طيب مسكوب هو اسمك القدوس وفى كل مكان يقدم بخور لاسمك القدوس صعيدة طاهرة» .

يرد الشماس : «صلوا من أجل ذبيحتنا والذين قدموها» .

يستكمل الكاهن : «نسألك يا سيدنا اقبل إليك طلباتنا ولتستقم أمامك صلاتنا مثل بخور ، رفع أيدينا ذبيحة مسائية ، لأنك أنت هو ذبيحة المساء الحقيقية الذى أصعدت ذاتك من أجل خطايانا على الصليب المكرم كإرادة أبيك هذا الذى أنت مبارك معه ومع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين» .

✣ **وفى بخور باكر :** «يا الله الذى قبل إليه قرابين هابيل الصديق وذبيحة نوح وإبراهيم وبخور هارون وزكريا» .

يرد الشماس : «صلوا من أجل ذبيحتنا والذين قدموها»

يستكمل الكاهن : «اقبل إليك هذا البخور من أيدينا نحن الخطاة رائحة بخور ، غفراناً لخطايانا مع بقية شعبك ، لأنه مبارك ومملوء مجداً اسمك القدوس أيها الآب والابن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين» .

ثم يبخر الكاهن حول المذبح ثلاث دورات وهو يصلى الأواشى الثلاث الصغار (السلامة ـ الآباء ـ الاجتماعات) أى يصلى ويطلب من الله من أجل الكنيسة والأب البطريرك والأساقفة وكل الشعب واجتماعاتنا .

إذن هكذا يبدأ طقس البخور بمخاطبة الله والصلاة إليه والطلب من أجل الكنيسة والآباء والاجتماعات .

بعدها يقبل المذبح ، وينزل من الهيكل ووجهه إلى الشرق ، ثم يبخر فى الأربع جهات على

النحو التالى :

١ - يبخر فى جهة الشرق ثلاث مرات حيث العرش الإلهى .

- فى اليد الأولى قائلاً : «نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك (أتيت) وخلصتنا» .

- وفى اليد الثانية قائلاً : «وأما أنا فككثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد نحو هيكلك المقدس» .

- وفى اليد الثالثة قائلاً : «أمام الملائكة أرتل لك وأسجد نحو هيكلك المقدس» .

هنا يبخر الكاهن أمام باب الهيكل ويسجد للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس .

٢ - ثم فى جهة بحرى حيث أيقونة الملكة العذراء مريم :

يقول : «نعطيك السلام مع جبرائيل الملاك قائلين : السلام لك يا ممتلئة نعمة الرب معك» .

إذن هنا مجرد إعطاء السلام للعذراء مريم .

٣ - ثم فى جهة الغرب حيث أيقونات الشهداء والقديسين تملأ صحن الكنيسة :

يقول : «السلام للملائكة وسادتى الآباء الرسل وصفوف الشهداء وجميع القديسين» .

وهنا أيضاً مجرد إعطاء السلام للملائكة والقديسين .

٤ - وفى جهة قبلى : حيث أيقونة يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء :

يقول : «السلام ليوحنا بن زكريا السلام للكاهن ابن الكاهن» .

وهنا أيضاً مجرد إعطاء السلام للقديس يوحنا المعمدان .

٥ - وفى جهة الشرق مرة ثانية حيث المذبح (العرش الإلهى) :

ويقول الكاهن : «فلنسجد لمخلصنا محب البشر الصالح لأنه تراءف علينا أتى وخلصنا» .

هنا عودة مرة أخرى للسجود للمسيح الذى بدأ به الكاهن التبخير .

وهكذا فهو بدأ بالتبخير والسجود والصلاة لله وأنهى أيضاً هذا الجزء بالسجود لله ، ولكنه وهو يقف أمام العرش الإلهى لا يفصل الله عن ملائكته وقديسيه كما رآه القديس يوحنا فى سفر الرؤيا : (رؤ ٨ : ٣ ، ٤)

● ثم يلتفت إلى إخوته الكهنة ويعطيهم البخور دفعة واحدة ، وهو واقف مكانه ، وكذلك ناحية الشمامسة ، ثم يصلى الأواشى كما يناسب .

✥ دورة البخور :

١ - بعد الأواشى يضع الكاهن يد بخور ثم يدور حول المذبح دورة واحدة ، ويقف أمام المذبح ويعمل صليب البخور أمام الهيكل ، بحسب الترتيب الذى ذكرناه .

٢ ـ ثم يعطى البخور للإنجيل ، ثم لذخائر الشهداء والقديسين (إن كانت موجودة) .
٣ ـ ثم يعطى البخور للأب البطريرك أو المطران أو الأسقف إذا كان حاضراً ثلاث أياد وهو يقول :
ـ اليد الأولى : «الرب يحفظ حياة وقيام أبينا المكرم رئيس الكهنة (المطران ـ الأسقف) أنبا ...» .
ـ اليد الثانية : «حفظاً احفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سالمة» .
ـ اليد الثالثة : «وأخضع جميع أعدائه تحت قدميه سريعاً» .
ثم يقبل الصليب قائلاً : «اطلب من المسيح عنا ليغفر لنا خطايانا» .
٤ ـ وبعد ذلك يعطى البخور لباقى الكهنة جميعاً .
ـ فللقمص يدان أول يد يقول : «أسألك يا أبى القمص أذكرنى فى صلاتك» .
ـ وثانى يد يقول : «لكى المسيح إلهنا يغفر لى خطاياى الكثيرة» .
ـ وللقس يد واحدة وهو يقول : «أسألك يا أبى القس أذكرنى فى صلاتك» .
ـ فيجاوبه كل من القمص والقس قائلاً : «الرب يحفظ كهنوتك مثل ملكى صادق وهرون وزكريا وسمعان كهنة الله العلى آمين» .
ـ وفى وقت القداس يجاوبانه قائلين : «الله يقبل ذبيحتك مثل ملكى صادق وهرون ... إلخ» .
٥ ـ ثم يخرج الكاهن ليبخر بين الشعب من الممر البحرى ويبخر وهو يقول :
ـ فى بخورعشية يقول : «بركة بخور عشية ، بركته المقدسة فلتكن معنا آمين» .
ـ وفى بخور باكر يقول : «بركة بخور باكر ، بركته المقدسة فلتكن معنا آمين» .
ـ وفى بخور البولس يقول : «بركة بولس رسول يسوع المسيح ، بركته المقدسة فلتكن معنا آمين».
ـ وفى بخور الإبركسيس يبخر فى خورس الشمامسة فقط، وهو يقول : «بركة سادتى الآباء الرسل أى أبينا بطرس ومعلمنا بولس وبقية التلاميذ بركتهم المقدسة تكون معنا آمين» .
٦ ـ وعند إتيانه إلى الخورس الأخير فى الكنيسة يقول الأرباع الخشوعية ، تمجيداً للسيد المسيح الذى صُلب عنا وفدانا ، فيقول :

✥ الأرباع الخشوعية :

أ ـ ناحية الشرق : «يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد بأقنوم واحد نسجد له ونمجده . هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا» .
ب ـ ناحية بحرى : «فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة» .
جـ ـ ناحية الغرب : «فتح باب الفردوس ورد آدم إلى رئاسته مرة أخرى» .
د ـ ناحية قبلى : «ومن قبل صليبه وقيامته المقدسة رد الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس» .

٧ ـ بعد الانتهاء من الأرباع الخشوعية يستأنف السير ماشياً ناحية الشرق فى الممر الأوسط ، ثم يتجه إلى الهيكل ويدخل إلى المذبح ويضع يد بخور ويبخر أمام المذبح ويقول سر اعتراف الشعب وهو : «يا الله الذى قبل إليه اعتراف اللص اليمين على الصليب المكرم ، اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدوس الذى دُعى علينا كرحمتك يارب وليس كخطايانا» .

٨ ـ بعد ذلك يعمل دورة واحدة حول المذبح ، ثم يُقبله ، ثم ينزل إلى باب الهيكل ويعمل مرة أخرى صليب البخور ، ثم يبخر للإنجيل ، ثم لرفات القديسين مرة أخرى ، ثم يعطى البخور لإخوته الكهنة وإذا كان الأب البطريرك أو المطران أو الأسقف حاضراً فلا يعطى للكهنة ثانية بل يعطيه البخور وحده ، ثم يعود إلى باب المذبح ويلتفت إلى إخوته الكهنة ويعطى البخور للجميع دفعة واحدة وكذلك ناحية الشمامسة ، ثم يعلق المجمرة ويسجد لله أمام المذبح .

ويمكن تلخيص دورة البخور فى النقاط الآتية :

١ ـ يبخر الكاهن أمام المذبح ويعمل الدورة حوله ثلاث مرات ، ويطلب من أجل الكنيسة والآباء والاجتماعات .

٢ ـ ثم يبخر أمام باب الهيكل الذى هو هيكل الله ، ويعمل صليب البخور فى الجهات الأربعة.

٣ ـ ثم أمام الإنجيل الذى هو كلمة الله .

٤ ـ ثم أمام رفات القديسين الذين هم أصدقاء الله .

٥ ـ ثم أمام الأب الأسقف الذى هو رئيس الكهنة المنظور فى كنيسة الله .

٦ ـ ثم أمام زملائه الكهنة .

٧ ـ ثم بين كل الشعب .

وكل أمر له مدلوله الروحى والكنسى .

ـ فالتبخير أمام المذبح والهيكل هو لطلب الصلاة من الله ، واعلان الاحترام والخضوع له .

ـ والتبخير أمام الإنجيل هو إكرام وتوقير لكلمة الله .

ـ والتبخير أمام رفات وأيقونات القديسين إشارة إلى الشركة مع السمائيين فى الصلاة ، وهو تكريم لله الممجد فى قديسيه ، وهو أيضاً للإكرام والتوقير من جهة أخرى .

ـ والتبخير أمام الأب الأسقف هو تعظيم لله الذى يمثله هذا الأسقف ، وهو لطلب الشركة فى الصلاة ، وهو كذلك للتوقير والاحترام .

ـ والتبخير أمام الآباء الكهنة أيضاً لطلب صلواتهم : بدليل قول الكاهن لزميله وهو يبخر

أسألك يا أبى أن تذكرنى فى صلاتك .
- ثم التبخير بين الشعب لحمل صلواتهم وأخذ الاعترافات السريعة ، والعودة بها إلى المذبح وتقديمها أمام الله .

● **إذن ليس التبخير أمام الأيقونات هو لون من العبادة بل هو لون من التقدير والاحترام.. وهو يعبر عن أشياء كثيرة منها :**

أ- هو تكريم لله الممجد فى قديسيه ، وهو تكريم للروح القدس الذى عمل فى هؤلاء القديسين .

ب- وهو شركة صلاتنا معاً ، أى اتحاد صلوات الكنيسة المجاهدة مع الكنيسة المنتصرة .

والبخور المتصاعد تشير حلقاته إلى صعود صلواتنا مع صلوات القديسين أمام العرش الإلهى . «وصعد دخان البخور مع صلوات القديسين» . (رؤ ٨ : ٤)

إذن فهو يحمل ضمناً طلب شفاعة هؤلاء القديسين .

جـ- وهو تكريم أيضاً للقديسين والشهداء الذين قدموا حياتهم للمسيح ، واتماماً لوصايا الكتاب: «انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم» .

- ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : «كان القديسون حبات من البخور وضعت فى المجمرة الإلهية فاحترقت بمحبة الله» . (١)

٣- هل إيقاد الشموع أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟

الـرد

● بالطبع لا ، بل هو نوع من الإكرام والإشارة إليهم ، ولفت النظر إلى حياتهم وقداستهم ، لعل المؤمنون يتذكرون حياتهم ويتمثلون بجهادهم وإيمانهم .

● يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** : «تستخدم (الشموع) حينما توضع أمام أيقونات القديسين إشارة إلى أن هذا القديس كان نوراً للعالم ، وأيضاً كان كالشمعة يذوب لكى ينير للآخرين ، ولأن الشمع ينير بالزيت الذى فيه والزيت يرمز إلى الروح القدس ، فإن نور الشموع يوحى بأن القديس لم يكن منيراً بذاته إنما بالروح القدس الذى فيه» . (٢)

● إذن ينبغى ألا يعثر أحد فى هذه الشموع المضاءة التى تضاء أمام الأيقونات لأن هذا النور المنظور يعبر عن عطية النور الإلهى الذى فى القديسين .

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : اللاهوت المقارن جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(١) قداسة البابا شنوده : أسئلة عقائدية وطقسية جـ ٤ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

بعض معانى إيقاد الشموع أمام القديسين :

ـ الشمعة الموقدة أمام أيقونة العذراء تعلن أن هذه هى أم النور .

ـ الشمعة الموقدة أمام أيقونة القديس تعلن أن هذا هو السراج المزين المنير الموضوع على المنارة، فى أعلى البيت ليضئ لكل من فيه .

ونحن نوقد الشمعة لإثارة مشاعرنا غيرة مقدسة أنه ينبغى أن نجاهد مثلما جاهد هؤلاء ، ونشتعل حباً للمسيح مثلما عاشوا هم ملتهبين حباً فى المسيح .

ـ فنحن نقدم الشموع أمام الأيقونات توسلاً أن تكون حياتنا منيرة ، متشبهين بالعذارى الحكيمات ذوات المصابيح المضيئة ، ومتممين وصية الرب أن نكون سُرجاً موقدة لتحفزنا على الصلاة والسهر .

٤ ـ هل السجود أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية؟

الــرد :

● يجيب على هذا السؤال **البطريرك غريغوريوس الكبير** (٥٤٠ ـ ٦٠٤ م) فيقول : «نحن لا نسجد أمام الأيقونة كمن يسجد للاهوت ، بل نعبد ذاك الذى من خلال الأيقونة نذكره فى ميلاده أو آلامه أو جلوسه على العرش» . (١)

● لقد صنف **الأب يوحنا الدمشقى** السجود بمعنى التوقير المقدم لغير الله فى أربعة أشكال وردت فى العهد القديم دون أن يرفضها الكتاب المقدس أو يذمها ، ألا وهى :

١ ـ السجود لكائنات تعرف بـ «أصدقاء الله» مثل سجود لوط للملاكين . وسجود دانيال للملاك .

٢ ـ السجود لأماكن وأشياء مقدسة . كما يقول الكتاب المقدس : «أسجد أمام هيكل قدسك». (مز ٥ : ٧) ، «أسجدوا عند موطئ قدميه» . (مز ٩٩ : ٥) ، «سجد إسرائيل عند رأس عصاه» . (الترجمة السبعينية) ، إذ تحسب عصا يعقوب رمزاً للصليب ، صار سجود يعقوب عند رأس عصاه يشير إلى سجودنا للصليب أو أيقونته .

٣ ـ السجود أمام أناس نالوا كرامة أو سلطان بتدبير إلهى . كسجود يعقوب لأخيه الأكبر عيسو سبع مرات حتى الأرض (تك ٢٣ : ٣) ، وسجود أولاد يعقوب لأخيهم يوسف بوجوههم حتى الأرض (تك ٤٢ : ٦) ، وسجود كثيرين للملوك دون أن ينتقدهم الكتاب المقدس .

---

(١) القمص تادرس يعقوب : الكنيسة بيت الله ، ص ٢٩٣ .

٤ ـ سجود الناس لبعضهم البعض تعبيراً عن مشاعر عميقة داخلية ، كسجود إبراهيم أب الآباء أمام بنى حث الوثنيين اعترافاً بالجميل (تك ٢٣ : ١٢) . (١)

ـ يعود **الأب يوحنا الدمشقى** فيذكر أن هناك أمثلة كثيرة لا للسجود فقط ولكن لكل أصناف التكريم يمكن أن تقدم لأشياء مادية نذكر مثلاً :

١ ـ أن مقاومى الأيقونات أنفسهم كانوا فى عصره يكرمون المائدة المقدسة والكتاب المقدس والصليب ، فهل ينحنون أو يقبلون هذه الأشياء من أجل مادتها الحجرية أو الخشب أو الورق أو المعدن ؟! أم من أجل ما تحمله من قوة الروح ؟!

٢ ـ فى العهد القديم وجد توقير خاص بالقدسات كتابوت العهد وعصا هرون وإناء المن ... الأمور التى هى من عمل الإنسان .

٣ ـ القديس يوحنا المعمدان حسب نفسه غير أهل للانحناء ليحل سيور حذاء الرب ، وهو فى هذا لا يقصد الحذاء ذاته .

٤ ـ تقدست الأرض التى من التراب حين حملت العليقة الملتهبة ناراً ، والتزم موسى بأمر إلهى أن يخلع نعليه إعلاناً عن قدسيتها . وتكرر نفس الأمر مع تلميذه يشوع حينما التقى به الملاك رئيس جند الرب (يش ٥ : ١٥) . (٢)

٥ ـ لماذا نقبل الأيقونات ؟

الـرد :

● إذ أُكرم أيقونة المسيح أو أحد قديسيه ، لا أُقدم الكرامة للخشب والرسم حاشا !...

وإذ أقبل أيقونة المسيح أو أحد قديسيه أيضاً ، فإنما أقبل المسيح نفسه أو قديسه ، وليس بطبيعة الحال أقبل الزجاج أو الورق أو الخشب ، وذلك تعبيراً عن مشاعر الحب القوية التى بداخلى تجاه المسيح وقديسيه . وهى فى الواقع أيضاً تلامس شخصى مع الحب المقدم أصلاً من المسيح لكل نفس بشرية . وأيضاً هى ثقة فى مكانة هؤلاء القديسين وشفاعتهم الذين جاهدوا الجهاد الحسن واكملوا السعى ... مثلما ترى إنساناً تقياً يعيش فى العالم طبقاً لتعاليم المسيح ووصاياه ، فتجد نفسك مسروراً به وسعيداً وتريد أن تجلس إليه كثيراً وتتكلم معه ... إذن فهى مشاعر حب تعبر بها عن مكانة المسيح وقديسيه فى قلبك .

٦ ـ كيف يستجيب الله من الأيقونات؟

(١) المرجع السابق : ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٩٧ .

الــرد :

● أما كيف يستجيب لنا الله من الأيقونات فهذا ليس بالأمر الجديد فى علاقات الله مع البشر. فالرب فى القديم كان يستجيب بل ويتكلم مع موسى وهرون من تابوت العهد : «وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكاروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به» (خر ٢٥ : ٢٢) .

وتاريخ الكنيسة يوضح هذا أيضاً :

ـ فقد جاء فى سيرة **القديس مارمينا العجائبى** عن ولادته ، ما يلى : «أما أمه إذ لم يكن لها ولد وذهبت فى أحد الأيـام إلى الكنيسة فى عيد السيدة البتول والدة الإله الكائنة بأتريب (بجوار بنها حالياً) ، ونظرت الأولاد فى الكنيسة بملابسهم النظيفة مع والديهم ، فإنها تنهدت وبكت أمام صورة السيدة العذراء متوسلة بها إلى ابنها الحبيب أن يرزقها ولداً ، فخرج صوت من الصورة قائلاً : آمين . ففرحت بما سمعت وتحققت أن الرب قد استجاب لصلاتها ...
وقد رزقها الله هى وزوجها هذا القديس فأسمياه مينا كالصوت الذى سمعته والدته (من الأيقونة) » .[(١)]

ـ كما جاء أيضاً فى سيرة **القديسة مريم القبطية** التائبة أنه حينما تثبتت قدماها أمام كنيسة القيامة حينما أرادت الدخول ، وذلك كعقاب إلهى لها على تهاونها وخطاياها أنها ثبتت نظرها إلى أيقونة السيدة العذراء ، وقالت : أيتها العذراء مريم إنى أعلم أن إنسانة دنسة مثلى لا تجسر على أن تلقى نظرة على صورتك العذراوية ... حينئذ رن صوت جميل قائلاً لها : يا ابنتى اعبرى الأردن وسوف تجدين وراءه مكان خلوة ملائمة لتمنياتك ... فأطلقتُ إليها هذا التوسل الأخير الذى عبرت به عن كل امتنان نفسى : يا أمى من فضلك لا تتركينى ... فتحركت قدماها ودخلت الكنيسة ... ثم اتجهت بعد ذلك إلى البرية .[(٢)]

فالأيقونات فى البيوت والكنائس ليست قطعاً فنية للعرض أو الزينة ، وإنما هى معين لنا فى تحقيق حياة الصلاة وذلك من خلال المنظورات .

٧ـ هل من الممكن أن تحدث معجزات عن طريق الأيقونات ؟

الــرد :

● قطعاً فى قدرة الله اللانهائية أن تحدث معجزات عن طريق الأيقونات ، وهناك فى الكتاب

(١) سنكسار الكنيسة القبطية : جـ ١ ، ١٥ هاتور ، مكتبة المحبة .
(٢) المرجع السابق ،جـ ٢ ، ٦ برمودة ، وأيضاً :
St. Sophrone do Jarusalem, P.L.: LXXXIII, J 71.

المقدس مثال واضح جداً على هذا الأمر ، وهو الحية النحاسية فعندما تضرع موسى لأجل شعبه عندما عاقبهم الله بإرساله لهم حيات نارية ، قال الرب لموسى : «اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا» . (عد ٢١ : ٨ ، ٩)

وكثيراً ما استخدم الله أدوات مادية ليتمم بها معجزاته مثل عصا موسى التى شق بها البحر (خر ١٤) ,مثل الشجرة التى طرحها موسى فى الماء المر فحولته إلى ماء عذب (خر ١٥) ومثل مناديل وعصائب القديس بوسل التى تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩) إذن من الممكن أيضاً أن يصنع الله معجزات عن طريق أيقونات القديسين .

● **وتاريخ الكنيسة يوضح هذا :**

- ورد فى كتاب تاريخ البطاركة **للأنبا ساويروس بن المقفع** : أن خمارويه بن أحمد بن طولون والى مصر (٨٨٤ - ٨٩٥ م) أتى إلى بيعة القديس أبو مقار فى وادى النطرون «ففيما هو يجتاز أبصر صورة **للشهيد تادرس** وهى تنظر للغرب وكان فى يد خمارويه حزمة ريحان فرمى بها الصورة وقال خذها يا فارس الشجعان ، فخرجت يد من الصورة وأخذت حزمة الريحان وظلت فى يده حتى أبصرها كل أحد ، فخاف خمارويه بن أحمد بن طولون جداً وبهت من هذه العجائب وأمر أن تعمل علامة فى تلك الصورة تسجيلاً لما حدث ، فصوروا فى يد القديس صليباً آخر » . (١)

- وورد فى سيرة المتنيح مثلث الرحمات **البابا كيرلس السادس** أنه عندما كان يسكن فى الطاحونة بمصر القديمة «فى إحدى الليالى هجم عليه اللصوص ظناً منهم أنه يخفى عنده مالاً وذهباً وضربوه على رأسه محاولين قتله فاستلقى على الأرض فاقد الوعى ، وتركوه لاعتقادهم بأنه فارق الحياة ، فلما أفاق الراهب مينا من غيبوبته ليرى الدم ينزف بشدة من جرح فى رأسه فتطلع إلى أيقونة شفيعه مار مينا العجائبى ... وفى الحال توقف النزيف». (٢)

إذن من الممكن أن يصنع الله معجزات عن طريق أيقونات القديسين .

وفى الحديث عن المعجزات يجدر بنا أن نشير إلى النقاط الآتية المتعلقة بهذا الأمر : (٣)

١ - ما هى المعجزة ؟

٢ - ما هى أهداف المعجزة ؟

---

(١) الأنبا ساويروس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٢) الأستاذ جرجس حلمى عازر : شخصيات قبطية صنعت التاريخ ، ص ٢٣ .

(٣) النقاط الخمس الأولى هى من مقال القس بيشوى حلمى (الوحى المقدس) ، مؤتمر العقيدة الأرثوذكسية (١١) ، ٢٠٠٨ . النقطة السادسة والأخيرة هى من مقال نيافة الأنبا رافائيل (مفهوم المعجزة) ، مؤتمر العقيدة الأرثوذكسية (١٢) ، ٢٠٠٩ .

٣ ـ المعجزات عبر تاريخ البشرية ؟
٤ ـ هل كل الآيات والعجائب هى من الله ؟
٥ ـ الفرق بين المعجزة الحرقيقية والعجيبة التى بعمل الشيطان ؟
٦ ـ هل المعجزة علامة القداسة وصحة الإيمان ؟

١ ـ ما هى المعجزة ؟

● هى عمل إلهى فوق قوانين الطبيعة ، ويتم لغاية حكيمة ونبيلة ، ولقد سُميت المعجزة هكذا لأن الإنسان يعجز عن الإتيان بمثلها ، وحده بدون عمل الله .

٢ ما هى أهداف المعجزات ؟

١ ـ إعلان الله عن ذاته : قال الله لموسى النبى : «فأسال عن الأيام الأولى ... هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ أو هل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب ، بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخازن عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم فى مصر أمام أعينكم ، أنك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الإله وليس آخر سواه» . (تث ٤ : ٣٢ ـ ٣٥) .

٢ـ دليل على صدق الأنبياء والرسل وصدق كتاباتهم :

ـ يقول **القديس بولس** : «إن علامات الرسول صُنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات» . (١ كو ١٢ : ١٢)

ـ ويقول أيضاً : «ثم تثبت لنا من الذين سمعوا شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته» . (عب ٢ : ٣)

ـ وقال **القديس مرقس** عن التلاميذ : «وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة» . (مر ٦ : ٢٠)

حتى السيد المسيح أيضاً شهدت أعماله لصدق رسالته ودعواه :

ـ وقال هو بنفسه : «وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها. هذه الأعمال هى بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى بأن الآب أرسلنى» .

(يو ٥ : ٣٦)

ـ وقال عنه **القديس بطرس** : «يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون» . (أع ٢٢ : ٢٠)

٣ ـ المعجزات عبر تاريخ البشرية :

● الله لا يترك نفسه بلا شاهد ، بل فى كل جيل له عجائب ومعجزات وآيات ، وإن كنا نجد

أن المعجزات كانت بمعدل أكبر من غيرها فى الفترات الآتية :
١ ـ فترة خروج شعب الله من أرض مصر ، والأحداث التى سبقتها وتلك التى تلتها (الضربات العشر ، عبور البحر الأحمر ، رعاية الله لشعبه فى البرية) .
٢ ـ فترة خدمة السيد المسيح على الأرض .
٣ ـ فترة تأسيس كنيسة العهد الجديد وبداية انتشارها .
● ومازالت المعجزات تتبع المؤمنين فى كل عصر كما وعد السيد المسيح تلاميذه عقب القيامة حينما أرسلهم وقال لهم : «اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ... وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون» . (مر ١٦ : ١٥ ـ ١٨)
● صحيح أن هذه الآيات تتبع المؤمنين ولكن حسب الضرورة الملحة والتدبير الإلهى .

٤ ـ هل كل الآيات والعجائب هى من الله ؟

● يقوم الشيطان وأعوانه ببعض الآيات والأعاجيب والأعمال الملفتة للنظر ، بقوة الشيطان ويتضح هذا من المواقف الكتابية الآتية :
ـ عندما طرح هرون عصاه أمام فرعون صارت حية ، ففعل عرافوا مصر أيضاً بسحرهم كذلك طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين (خر ٧ : ١٢ ، ١١) .
ـ وعندما حول موسى الماء إلى دم فعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم (خر ٧ : ٢٢) .
ـ ولكن أمام ضربة البعوض وقف السحرة عاجزين معترفين أن هذا أصبع الله (خر ٨ : ١٩) .
ـ قال **الرب** : «إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حالماً وأعطاك آية أو أعجوبة لو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلاً : لنذهب وراء آلهة آخرى لم نعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم» . (تث ١٣ : ١ ـ ٣)
ـ قال **الرب يسوع** : «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً» . (مت ٢٤ : ٢٤)
ـ قال **القديس بولس** عن (ضد المسيح) : «الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة» . (٢ تس ٢ : ٩)
ـ سجل **يوحنا الرائى** عن الوحش الطالع من الأرض فى آخر الأيام : «ويصنع آيات عظيمة حتى أنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التى أعطى أن يصنعها» . (رؤ ١٣ : ١٤ ، ١٣)

٥ـ الفرق بين المعجزة الحقيقية والعجيبة التى بعمل الشيطان ؟

العجيبة التى بعمل الشيطان	المعجزة الحقيقية	وجه المقارنة
تمجيد اسم الشخص القائم بالعمل ، فهى للاستعراض أو لإثارة الدهشة والفضول	تمجيد اسم الله ودليل صدق الوحى المقدس وصدق كتبته	الهدف والغاية
لا يوجد حاجة ملحة بل حاجة معتادة	دافع قوى وحاجة ملحة	الدافع والحاجة
تتكرر بداع أو بدون	لا تتكرر بصورة مستمرة	المعدل
به صخب واستعراض وضوضاء	هادئ ودون ضجيج	الأسلوب
غير قابلة للإدراك بالحواس بوضوح	قابلة للإدراك بالحواس بوضوح	إدراك المعجزة
بها نوع من الخداع	لا خداع فيها	الخداع
بها عنصر الإيحاء بدرجة كبيرة	ليس فيها عنصر الإيحاء	الإيحاء
غير واضحة وتحمل آراء وأقاويل عديدة	واضحة لا يختلف عليها اثنان	الوضوح
بطيئة ولا يترتب عليها خير بل ربما شر	سريعة ويترتب عليها خير دائماً	النتائج

إذاً ينبغى أن نميز بين المعجزات التى بعمل الله والعجائب التى بعمل الشيطان . وينبغى ألا نجرى وراء المعجزات فالسيد المسيح طوَّب الإيمان بغير عيان حين قال لتوما : «طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩)

٦ـ هل المعجزة علامة القداسة وصحة الإيمان ؟

يعتبر البعض أن برهان قداسة إنسان هو أنه يُجرى المعجزات ، بينما لا يقر الكتاب المقدس

بذلك :

أ ـ قديسون لم يعملوا معجزات :

● قيل عن يوحنا المعمدان : «إن يوحنا لم يفعل آية واحدة» (يو ١٠ : ٤١) هذا الرجل الذى شهد عنه السيد المسيح بنفسه قائلاً : «لأنى أقول لكم : إنه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه» . (لو ٧ : ٢٨)

● كذلك لم يُسمع عن كثيرين من الآباء أنهم عملوا معجزات مثل : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، وصموئيل ، وإشعياء ... فليست المعجزة برهان على قداسة السيرة ، بل قداسة السيرة برهان صدق المعجزة ، وأنها من عمل الله .

ب ـ أشرار عملوا آيات :

● «كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يا رب ، يارب! أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم : إنى لم أعرفكم قط! اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (مت ٧ : ٢٢ ـ ٢٣)

لقد تنبأ «بلعام بن بعور» ولكنه كان مرفوضاً من قبل الله (عدد ٢٤ : ١٧)

ـ «ويل لهم ! لأنهم سلكوا طريق قايين ، وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة ، وهلكوا فى مشاجرة قورح» (يه ١١)

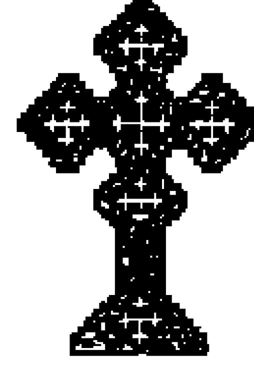
ـ «لكن عندى عليك قليل : أن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام ، الذى كان يُعلم بالاق أن يُلقى معثرة أمام بنى إسرائيل : أن يأكلوا ما ذُبح للأوثان ، ويزنوا» (رؤ ٢ : ١٤)

● وتنبأ قيافا رئيس الكهنة بخصوص السيد المسيح : «فقال لهم واحد منهم ، وهو قيافا ، كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها . ولم يقل هذا من نفسه ، بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة ، تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» . (يو ١١ : ٤٩ ـ ٥٢)

وطبعاً لم يكن قيافا قديساً ، فلقد تورط فى صلب السيد المسيح بقلب قاس جاحد .

ـ حقاً : «ليس كل من يقول لى : يا رب ، يا رب ! يدخل ملكوت السموات . بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات» . (مت ٧ : ٢١)

ـ وكذلك حقاً ما قاله **القديس بولس الرسول** : «وإن كانت لى نبوة ، وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة ، فلست شيئاً» . (١ كو ١٣ : ٢)



الفصل الرابع

سر الكهنوت

أولاً : التعريف بالسر

• سر الكهنوت هو سر مقدس فيه يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويصلى من أجله ، فينسكب عليه الروح القدس ويمنحه الدرجة الكهنوتية المتقدم لها ، ويصبح له سلطان مباشرة الخدمات الكنسية بحسب رتبته .

ثانياً : تأسيس السر

• أسس الرب يسوع هذا السر حين انتخب اثنى عشر تلميذاً . (مت١٠ : ١)

وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين . (لو١٠: ١)

• والسيد المسيح أعطى هؤلاء السلطان فى التعليم وإتمام الأسرار فقد قال لهم وحدهم : « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا ولما قال هذا نفخ وقال لهم : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » . (يو٢٠ : ٢١ - ٢٣)

ثالثاً : ممارسات الكنيسة الأولى

لقد أقام التلاميذ والرسل أساقفة وقسوساً وشمامسة فى الكنائس التى أسسوها ... وإليك الأدلة الكتابية على هذا :

• **الشمامسة :**

- سيامة الشمامسة السبعة . (أع ٦ : ٦)

- والقديس بولس يقول لكنيسة فيلبى : « إلى جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة » . (فى ١ : ١)

- وأيضاً يضع القديس بولس شروطاً للشمامسة . (١تى ٣ : ٨ - ١٣)

• **القساوسة :**

- وانتخب القديسان بولس وبرنابا قسوساً فى كل كنيسة ذهبا إليها . (أع ١٤ : ١٣)

- ومن ميليتس أرسل القديس بولس واستدعى قسوس كنيسة أفسس . (أع ٢٠ : ١٧)

- وأوصى القديس بولس تلميذه تيطس : « وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك » . (تى ١ : ٥)

• **الأساقفة :**

- « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله » . (أع ٢٠ : ٢٨)

- « إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً » . (١تى ٣ : ١)

- ويذكر القديس بولس شروط الأسقف . (١تى ٣ : ١ - ٧)

رابعاً : أقوال الآباء الأولين

- « لقد كرز الرسل لنا بالإنجيل الذى استلموه من الرب يسوع المسيح ثم اختاروا من بين المتحولين الجدد رجالاً اختبروهم بالروح لكى يكونوا أساقفة وشمامسة للمؤمنين » . (١)

« رسالة إكليمندس الرومانى إلى كورنثوس - تنيح ١٠٢م »

- « اثبتوا أيها الإخوة فى إيمان يسوع المسيح ... فى طاعة الأسقف ومجمع القسوس بذهن غير منقسم» . (٢) **« القديس إغناطيوس الأنطاكى استشهد ١٠٧م »**

- « ينبغى أن يكون القسوس ذوى قلوب رحيمة شفوقين على الجميع يردون الخراف التى ضلت ويزورون كل المرضى». (٣) **« القديس بوليكاربوس ٧٠ - ١٥٦م »**

- « يجب الخضوع للكهنة الذين أقيموا فى الكنيسة متسلسلين بحسب الخلافة من الرسل » . (٤)

« القديس إيريناؤس ١٤٠ - ٢٠٢م »

- « الأسقف ينبغى أن يكون النموذج الحى لأعضاء كنيسته ، وعلى الأخص فى أحاديثه وسلوكه مع النساء وفى ثباته فى الإيمان». (٥) **« القديس كبريانوس ٢٠٠ - ٢٥٨م »**

خامساً : القسم المنظور وغير المنظور فى السر

- القسم المنظور فى السر هو وضع يد الأسقف على المتقدم للسر والصلاة .
- والقسم غير المنظور يتمثل فى النعمة الإلهية التى ينالها الإنسان المنتخب ، والسمة أو الوسم التى يتسم بها بعد إتمام السر ، وهذه السمة دائمة ولا تمحى .

سادساً : بركات السر

- حفظ نظام الكنيسة وطقوسها وصلواتها .
- ممارسة أسرار الكنيسة ووصول النعم والعطايا للمؤمنين .
- تعليم الشعب ورعايته وانتشار كلمة الله .

---

(١) إكليمندس الرومانى : الرسالة إلى كورنثوس - Ante-Nicene Fathers, Vol. 1, P. 16, XL, II

(٢) إغناطيوس الأنطاكى : الرسالة إلى أفسس Ante-Nicene Fathers, Vol. 1, P. 57, XX

(٣) بوليكاربوس : الرسالة إلى الفيلبين ٦:١ Ante-Nicene Fathers, Vol. 1, P. 34,

(٤) إيريناؤس : ضد الهراطقة ٢٦:٤ :٢ Ante-Nicene Fathers, Vol. 1, P. 497,

(٥) كبريانوس : رسالة ٦١:٣ Ante-Nicene Fathers, Vol. 5, P. 357,

سابعاً : الدرجات الكهنوتية

١ - درجة الشماسية

- الشماس كلمة سريانية تعنى خادم ، وهى باليونانية (ذياكون) .
- تنحصر وظيفة الشماس فى معاونة القس أو الأسقف فى إتمام الطقوس الكنسية .

✤ كان فى الكنيسة الأولى سبعة شمامسة ، واشترطت فيهم أن يكونوا مملوئين من الروح القدس والحكمة . (أع ٦ : ٢، ٣)

✤ ويذكر القديس بولس شروطاً خاصة للشمامسة وهى أن يكونوا :

- ذوى وقار لا ذوى لسانين .
- غير سكيرين أو طامعين فى الربح القبيح .
- لهم سر الإيمان فى ضمير طاهر.
- مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً .
- يُختبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم . (١تى٣ : ٨ - ١٣)

✤ وفى درجة الشماسية توجد الرتب الآتية :

١ - الإبصالتس

- وتعنى المرتل ، وهى من الكلمة القبطية (إبصالموس) بمعنى مزمور أو ترتيلة .

✤ اعتادت الكنيسة أن ترسم الأطفال الصغار فى هذه الرتبة ، وذلك حسب قول المزمور : «من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سبحاً» . (مز ٨ : ٢)

وظائفه :

- عمله واضح وهو حفظ الألحان والترتيل بها .

قوانينه :

- لا توضع عليه اليد ، ولا يقص شعره .

✤ يرتدى الإبصالتس التونية بغير بطرشيل .

✤ آرشى إبصالتس :

- يمكن ترقية مرتل الكنيسة فى هذه الرتبة خصوصاً إذا كان ضريراً ولا يستطيع القراءة وبالتالى لن يرسم فى رتبة أعلى ... والآرشى إبصالتس هو رئيس المرتلين ويقود خورس الشمامسة خارج الهيكل .

٢.الأناغنوستيس : الأوغنسطس

● الأناغنوستيس أو الأوغنسطس كلمة يونانية تعنى قارئ فصول الرسائل .

وظائفه :

- تلاوة القراءات اليومية الكنسية .
- الوعظ والتعليم بإذن من الأسقف أو الكاهن .
- وقديماً تلاوة أسماء الآباء البطاركة بعد مجمع القداس .
- التسبيح وترديد الألحان (وهى وظيفة الرتبة السابقة) .

قوانينه :

● لا توضع عليه اليد ، بل يقص شعر رأسه فقط .

✤ يمكن له أن يتزوج بعد أخذ الرتبة ، وإن ماتت زوجته له أن يتزوج ثانية .

✤ يرتدى البطرشيل على هيئة صليب فوق ظهره ويكون من الأمام على هيئة حزام ويتدلى طرفاه من على الكتفين على هيئة البطرشيل الذى فى صور القديس استفانوس .

٣.الإيبوذياكون

● الإيبوذياكون كلمة يونانية تعنى مساعد شماس .

وظائفه :

- تنظيم الجلوس فى الكنيسة وحراسة أبوابها من الهراطقة والحيوانات .
- إيقاد سرج الكنيسة وتعمير المجامر .
- حفظ كتب الكنيسة وثياب الكهنة .
- تجفيف الأوانى المقدسة بلفافة .

تضاف هذه الوظائف إلى الوظائف السابقة حين كان مرتلاً وأغنسطساً .

قوانينه :

● لا توضع عليه اليد ولا يقص شعره ، بل تُعمل عليه رشومات فقط .

✤ يلبس البطرشيل مثل الأوغنسطس .

✤ يمكن له أن يتزوج بعد أخذ الرتبة دون أن يفقدها .

٤.الذياكون

● الذياكون كلمة يونانية يقابلها كلمة (شماس) فى السريانية ، وفى القبطية (ريف شمشى) وتعنى خادم .

وظائفه :

- تلاوة مردات الهيكل وقراءة إنجيل القداس .
- تنظيف الهيكل وترتيب المذبح .
- كتابة أسماء مقدمى القرابين والعطايا للكاهن ليذكرهم بعد أوشية القرابين .
- الوعظ والتعليم بإذن من الأب الأسقف أو الكاهن .
- يُسمح له أن يناول الشعب من الدم الكريم بإذن من الكاهن وفى حالة الضرورة .
- معاونة الكاهن فى الافتقاد وخدمة الأرامل والمحتاجين .

قوانينه :

● يجب أن يكون متفرغاً للخدمة مثل الأسقف والكاهن ... إذ جاء فى قوانين الرسل : «لا يشتغل أسقف أو قسيس أو شماس بأشغال هذا العالم ، وإذا اشتغل فليقطع» .

(قوانين الرسل ك٢ ق٥ من ٥٦)

✤ يرتدى الشماس التونية والبطرشيل الأحمر إشارة إلى الاغتسال بدم المسيح . ويكون البطرشيل على الكتف الأيسر دلالة على حمل الصليب .

✤ قد يلبس الذياكون أحياناً خارج المذبح ملابس سوداء كالقسيس ، وقد يلبس نوعاً من العمامة أو الطاقية السوداء على رأسه ، ويطلق لحيته .

✤ إذا تمت رسامته قبل الزواج فلا يتزوج .

✤ إذا ماتت زوجته بعد سيامته يظل بلا زواج ، أما إذا تزوج فإنه يفقد رتبته .

٥ـ الآرشيذياكون

● آرشى ذياكون تعنى رئيس شمامسة .

وظائفه :

● يرأس جميع الرتب الشماسية ويدبر أمورها .

✤ يكون مثل أذن وعين للأسقف والكاهن .

قوانينه:

● مثل الذياكون تماماً .

✤ الشماسات فى الكنيسة

● كانت توجد فى الكنيسة الأولى شماسات يساعدن الرسل فى بعض أمور الخدمة ، وقد اشترطت قوانين الرسل أن تكون الشماسة عذراء أو أرملة لرجل واحد ، وقد بلغت الستين ، أمثلة هؤلاء الشماسة فيبى خادمة كنيسة كنخريا .

❖ هذا وقد اختفت خدمة الشماسات المكرسات فى الكنيسة منذ القرن الـ ١٣م ، وقد أعادها

مرة أخرى قداسة البابا شنوده الثالث البطريرك الـ ١١٧.

✣ والجدير بالذكر أن الشماسة ليست رتبة كهنوتية فلا كهنوت للنساء ، فالشماسة لا توضع عليها اليد لكنها تُقام من الأسقف بعد بخور باكر فى القداس ، فتقف أمام الهيكل ويتلو عليها صلاة وردت فى قوانين الرسل .

عملها :

- معاونة الكاهن فى عماد النساء .
- حفظ النظام فى أماكن جلوس النساء .
- افتقاد الشابات والسيدات .
- خدمة مدارس الأحد وحضانة الكنيسة .
- خدمة الشابات والنساء فى الإجتماعات الخاصة بهن .

٢ـ درجة القسيسية

شروطه :

● هى نفس شروط الأسقف التى وردت فى (١ تى ٣) إذ يشترط أن يكون :

- بلا لوم .
- له شهادة حسنة من كل الذين حوله .
- بعل امرأة واحدة .
- صاحياً متنبهاً عاقلاً محتشماً .
- مضيفاً للغرباء ورحوماً على الفقراء .
- صالحاً للتعليم .
- غير سكير ولا يكون ضراباً .
- ولا طامع فى الربح القبيح .
- حليماً غير مخاصم .
- غير حديث الإيمان ولا حديث السن .
- مدبراً بيته حسناً وله أولاد فى الخضوع بكل وقار . (١تى٣ : ١ ـ ٧)

رتب القسيسية :

١ ـ القس .   ٢ ـ القمص .   ٣ ـ الخورى إبيسكوبوس .

١ـ القس

● من كلمة (قاشيشو) السريانية ، ويقابلها (إبريسفيتيروس) اليونانية ، وتعنى الشفيع أو الشيخ .

٢ـ القمص

● كلمة قمص أو إيغومانوس من كلمة يونانية بمعنى مدبر أو مقدم ... والقمص هو كبير القسوس فى الكنيسة .

✤ فى رفع البخور يُعطى للقس يد واحدة ، وللقمص يدان ، وللأسقف ثلاث أياد .

طقس القمصية :

● القمصية هى مجرد ترقية داخل درجة القسيسية ولا تعتبر سيامة جديدة .

٣ـ الخورى إبيسكوبوس :

● خورى إبيسكوبوس كلمة يونانية معناها أسقف القرى أو الحقول ، وهو يعاون أسقف الإيبارشية فى خدمة القرى وافتقادها.

✤ ظهرت هذه الرتبة أولاً فى آسيا الصغرى فى أواخر القرن الثالث الميلادى حينما اتسعت الإيبارشيات ، وانتقلت الرتبة بعد ذلك إلى الكنيسة القبطية ، ثم اختفت منها منذ أزمنة بعيدة ، ولكن البابا شنوده الثالث أعادها مرة أخرى .

✤ البعض يعتبر هذه الرتبة من درجة القسيسية على اعتبار أن ليس من حق صاحبها إقامة كهنة .

✤ والبعض الآخر يعتبرها من درجة الأسقفية (وهو الأرجح) والدليل على هذا :

ـ كلمة خورى إبيسكوبوس تعنى أسقف القرى فهو أسقف .

ـ صاحب هذه الرتبة يُقال له : (أنبا فلان) .

ـ يتم اختياره من بين الرهبان .

ـ يمكن ترقيته إلى درجة أسقف .

ـ له سلطة سيامة الشمامسة .

ـ يُذكر اسمه فى جميع الصلوات والألحان مثل الأسقف .

٣ـ درجة الأسقفية .

الأسقف :

● كلمة أسقف باليونانية هى (إبيسكوبوس) وتعنى الناظر من فوق أو الرقيب .

✤ شروطه هى نفس الشروط التى ذُكرت للكاهن ، ويضاف إليها أن يكون من الرهبان وليس من العلمانيين ، وفى الواقع أنه قد بدأ هذا النظام من مجمع نيقية (٣٢٥ م) حيث اتخذ الحاضرون قراراً بأن يكون الأساقفة من البتوليين أما القساوسة فمن المتزوجين .

✤ يمتاز الأسقف بأن له كمال الكهنوت ، إذ له سلطان وضع اليد والسيامة .

المطران :

● كلمة مطران من الكلمة اليونانية (متروبوليتيس) ، وهى مشتقة من (متروبوليس)

ومعناها المدينة الأم .

✤ المطران يكون متقدماً على الأسقف فى جميع طقوس الكنيسة .

✤ درجة المطران هى مجرد ترقية على نفس الإيبارشية وبنفس الاسم .

البابا البطريرك :

● بطريرك من الكلمة اليونانية (باترياركيس) وهى تتكون من مقطعين : باتريا : العشيرة ، أرشيس : رئيس ، فهى تعنى رئيس العشيرة .

✤ ولقب بابا اختص به أولاً بطريرك الإسكندرية منذ البابا ياروكلاوس البطريرك الـ ١٣ ، ومن كرسى الإسكندرية انتقل اللقب إلى الكراسى المسكونية الأخرى .

✤ البطريرك هو أعلى رتبة كهنوتية ، وله رئاسة الكهنوت العليا ، وهو خليفة الآباء الرسل ، وهو الأب الأول فى الكنيسة ، وهو الذى يرأس المجلس الملّى العام ، وجميع الهيئات القبطية الرسمية مثل هيئة الأوقاف القبطية وغيرها .

✤ يتميز البطريرك عن الأسقف أو المطران بأمرين رئيسيين :

- حق سيامة الأساقفة الجدد ، وترقية الأسقف إلى مطران فى وجود أسقفين أو أسقف واحد على الأقل .

- حق عمل الميرون المقدس ويشترك معه الأساقفة فى عمله .

✤ طبقاً للائحة المعتمدة لانتخاب بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من قبل الكنيسة ، ثم من قبل الدولة بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٥٧م ينبغى ألا يقل عمر البطريرك عن أربعين سنة عند الاختيار ، وألا تقل سنو رهبنته عن خمس عشرة سنة .

ثامناً : السيد المسيح هو رئيس الكهنة الأعظم

● السيد المسيح هو رئيس الكهنة غير المنظور والذى يستمد منه كل الكهنة عملهم . أثناء وجوده على الأرض بالجسد قدم ذاته ذبيحة وكان هو الكاهن والذبيحة ، والآن هو يشفع فينا فى كل حين فى السموات فالكاهن هو الشفيع الذى يشفع فى شعبه .

● **يقول القديس بولس :**

- «إذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله» . (عب ٤ : ١٤)

- «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات» . (عب ٧ : ٢٦)

إن صعود السيد المسيح إلى السموات العليا هو مرتبط برئاسة كهنوته وشفاعته الكفارية

الدائمة بدمه ، أمام الآب كرئيس كهنة وذبيحة فى آن واحد .

✥ كهنوت السيد المسيح يمارس حالياً فى القدس السماوى :

● ويتضح هذا من الآيات الآتية :

- يقول **القديس بولس** : «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان» . (عب ٨ : ١ ، ٢)

- وأضاف : «إن كان (المسيح) على الأرض لما كان كاهناً إذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس (كهنة اليهود) الذين يخدمون شبه السماويات وظلها» . (عب ٨ : ٤ ، ٥)

- ومعنى ذلك أن كهنوت السيد المسيح باعتباره هو رئيس الكهنة الأعظم لابد أن يُمارس فى القدس السماوى وليس على الأرض ، وحضوره أمام الآب هو سر الغفران الذى نناله نحن جميعاً كقول **القديس يوحنا** : «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا» . (١ يو ٢ : ١ ، ٢)

- وأكد **القديس بولس الرسول** نفس المعنى بقوله : «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» . (عب ٩ : ٢٤)

- وقد أكد القديس بولس أن يسوع قد دخل كسابق لأجلنا فقال : «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد» . (عب ٦ : ٢٠)

- يقول **نيافة الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ : [بدخوله إلى قدس الأقداس أعطى لكهنة العهد الجديد الحق فى تقديم ذبيحة الإفخارستيا خبزاً وخمراً على طقس ملكى صادق ، فلا يمكننا أن نقدس نحن القداس الإلهى ككهنة العهد الجديد إلا حينما يكون السيد المسيح خادماً فى الأقداس كرئيس كهنة أعظم .

- لذلك حينما رأى القديس يوحنا رؤياه قال : «ورأيتُ وإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح» . (رؤ ٥ : ٦)

- «وكانت القوات السماوية ترنم قائلة : «مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك» . (رؤ ٥ : ٩)

- «وكل الخليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش والخروف : البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين ... والشيوخ الأربعة والعشرون خروا وسجدوا للحى إلى أبد الآبدين» . (رؤ ٥ : ١٣ ، ١٤)][١]

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية ، ص ٧٧ .

تاسعاً : كهنوت ملكى صادق كان إشارة لكهنوت السيد المسيح

● وردت قصة ملكى صادق الملك والكاهن فى سفر التكوين (ص ١٤) فقد استقبله إبراهيم بعد غلبته للملوك فى (كدرلعومر) وإنقاذه للوط ابن أخيه ، فقدم إبراهيم العشور لملكى صادق الذى قدم ذبيحة غريبة من خبز وخمر . هذا الحدث لايزال يمثل لغزاً لدى اليهود لا يعرفون له تفسيراً ، إذ كيف يقدم إبراهيم (الذى فى صلبه كهنوت لاوى) العشور لرجل غريب ؟! ولماذا ظهر هذا الملك والكاهن فى الكتاب المقدس واختفى فجأة ؟ ولا يعرف أحد أباه أو أمه أو نسبه ؟ ولماذا لم يقدم ذبيحة دموية كما كانت عادة ذلك الزمان ؟ وقيل عنه أيضاً إنه كاهن لله العلى .

الإجابة على كل هذه الأسئلة هى أن ملكى صادق وهو رمز للسيد المسيح ، قد فاق شخص إبراهيم الحامل الكهنوت اللاوى فى صلبه .

- يقول **ذهبى الفم** : «ما كان يمكن له (لإبراهيم) أن يقدم العشور لغريب (ملكى صادق) لو لم يكن هذا الغريب أعظم منه» . (١)

- تقديم العشور يعنى أن أبانا إبراهيم يطلب بركة ملكى صادق وكأن الكهنوت اللاوى نفسه الذى يتقبل العشور قد انحنى فى شخص إبراهيم ليدفع العشور لمن هو رمز لشخص السيد المسيح .

أما أوجه الرمز التى حملها ملكى صادق فهى :

١ - **اسمه** : ملكى صادق ، ومعناه ملك البر ، إشارة إلى السيد المسيح ملك الملوك الذى يملك على القلوب ببره ويتربع فى النفس فيخفيها فيه لتظهر فى عينى الآب حاملة بره . «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح» . (رو ٣ : ٢٤)

٢ - **عمله** : ملك ساليم أى ملك السلام ، فقد ملك السيد المسيح رئيس السلام فى كنيسته واهباً لمؤمنيه سلاماً مع الآب ومع إخوتهم ومع أنفسهم .

٣ - **ملكى صادق كرمز للمسيح** : لم يذكر الكتاب شيئاً عن أبيه أو أمه أو نسبه وكأنه يحمل رمزاً لمن هو لا بداءة أيام ولا نهاية له ، فالسيد المسيح ليس له أب حسب الجسد ولا أم من جهة اللاهوت فهو كاهن أبدى .

٤ - **ذبيحة ملكى صادق من خبز وخمر** : لا معنى لها إلا بكونها رمزاً لذبيحة الإفخارستيا .

---

(1) In Hebr. Hom. 4:6.

عاشراً : مقارنة بين كهنوت العهد القديم وكهنوت العهد الجديد

● بعد اختيار هرون وبنيه كهنة للرب يخدمون هيكله ، عاد الله فوعد بكهنوت آخر على طقس ملكى صادق وليس على طقس هرون «أقسم الرب أنك أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق» .... فى هذا الأمر نرى عدة أمور :

١ - **تحول فى طبيعة الكهنوت من الطقس الهارونى إلى طقس ملكى صادق** من الذبائح الحيوانية إلى دم المسيح الثمين . وهذا يكشف عن ضعف الكهنوت الأول وعدم كماله وإلا فما الحاجة إلى قيام كهنوت جديد .

- يقول **القديس بولس** : « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا يقال على رتبة هرون». (عب ٧ : ١١)

بمعنى آخر إن كان الكهنوت اللاوى قد أقيم بناء على دعوة إلهية وارتبط بناموس الله لكن لم يكن إلا طريقاً مهد الأذهان لتفهم كهنوت آخر هو كهنوت السيد المسيح .

٢ - **كان الكهنوت اللاوى بدعوة إلهية** لكنه بدون قسم لأنه مؤقت يحقق هدفه بظهور الكهنوت الأبدى الجديد المقام بقسم : أقسم الرب ... (عب ٧ : ٢٠) وهذا ضمان لعهد أفضل (عب ٧ : ٢١) .

٣ - **فى الكهنوت القديم دُعى رؤساء كهنة كثيرون** حتى إذا يموت الواحد يبقى الكهنوت قائماً «وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لايزال» . (عب ٧ : ٢٣ ، ٢٤)

● علامة ضعف الكهنوت الأول أنه لم يرتبط برئيس كهنة واحد وإنما ارتبط (ببنى قهات) جميعهم من سبط لاوى ، أما السيد المسيح رئيس كهنتنا فلا يقوى الموت عليه فلهذا يبقى كهنوته أبدياً لا يزول .

● بتجسده أعلن كهنوته وبموته لم يفقد كهنوته ، بل بالعكس فإنه كان أساس كهنوته إذ قدم نفسه ذبيحة للآب وقام من الأموات ، ليعلن أبدية كهنوته فيبقى كهنوته دائماً وتبقى ذبيحته فعالة لا تتكرر .

● لازال كهنوته عاملاً فى كنيسته فى كهنته ومازالت ذبيحته حاضرة على المذبح لا تشيخ ولا تفنى ، ومن خلال هذا الكهنوت الفائق والذبيحة الفريدة ، تنعم الكنيسة بالعمل الكهنوتى والذبيحى فى المسيح الكاهن والذبيح .

● أعلن الرسول قوة هذا العمل بقوله : «فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم» . (عب ٧ : ٢٥)
● لم يمت لكنه حى أمام الآب يقدم ذبيحة نفسه عنا ، هذا هو ينبوع القوة الذى منه يستمد الكهنة جميعهم عملهم وتقدماتهم فهم يمارسون الكهنوت بلبسهم المسيح الكاهن الأعظم ، وما يقدمونه إنما ذات ذبيحة المسيح التى لا تتكرر .

٤ـ **كان رؤساء الكهنة فى القديم خطاة كسائر الشعب** يحتاجون معهم إلى من يقدسهم ، أما رئيس الكهنة فى العهد الجديد يسوع فهو قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات (عب ٧ : ٢٦) .

فإن كان قد صار كواحد منا لكنه لايزال القدوس وحده ، المنفصل عن الخطاة .
● كان كهنة العهد القديم محتاجون إلى تقديم ذبائح أولاً عن أنفسهم ثم بعد ذلك عن الشعب مكررين هذا العمل بلا انقطاع ، أما رئيس كهنتنا فقد فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه «فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابناً مكملاً إلى الأبد» . (عب ٧ : ٢٧ ، ٢٨) وشتان بين الأناس الذين بهم ضعف والابن الكامل الأبدى .

٥ـ **كهنوت العهد الجديد كهنوت سماوى أما العهد القديم فهو ظل السمويات** يقول القديس بولس : «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات» . (عب ٨ : ١)

لنا رئيس كهنة يخدم لحسابنا وهو جالس فى يمين عرش الآب فى السموات ، دمه يشفع فينا فى كل حين أمام الآب فى السموات .
● وإن كان كهنة العهد القديم يخدمون شبه السمويات وظلها كما أوحى إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن لأنه قال له : «انظر أن تصنع كل شىء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل» . (عب ٨ : ٥)

أما خدمة العهد الجديد فهى خدمة العهد الأفضل بالدخول إلى السمويات .
● إذا كان كهنة العهد القديم من التراب وأقامهم الله لخدمته بقيت خدمتهم لظل السمويات أما كاهننا فسماوى وهيكله الذى يخدمه هو السموات بعينها ...... وما هو هذا الهيكل السماوى إلا كنيسة العهد الجديد التى تحمل السمة السماوية إذ صارت سيرتنا نحن فى السمويات (فى ٣ : ٢٠) وعبادتنا أيضاً سماوية .

وفى هذا يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : « الكنيسة سماوية إنها ليست إلا السماء» . (١)
- ويقول أيضاً : «أمورنا سماوية صارت السمويات لنا حتى وإن كانت تمارس ونحن على الأرض وذلك مثل الملائكة الذين يدعون سماويون حتى وإن كانوا على الأرض ، لقد ظهر الشاروبيم على الأرض ومع هذا فهم سمائيون ، وأيضا سيرتنا هى فى السموات (فى ٣ : ٢٠) حتى وإن كنا نعيش هنا ... فإن كنا قريبين من الله إنما نكون فى السماء فإننى ماذا أعنى بالسماء ؟! إننى أرى رب السماء وأصير أنا نفسى سماء إذ يقول : نأتى (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً (يو ١٤ : ٢٣) إذن لتكون نفوسنا سماء» . (٢)
وفى سفر الرؤيا يقول اكتب إلى ملاك كنيسة ... ولم يقل اكتب إلى أسقف كنيسة ... ليعرفنا أن الكنيسة هى السماء بعينها وأننا فى العهد الجديد نتمتع بكهنوت سماوى .

٦- تغيير الكهنوت يقتضى تغيير الناموس

● فلكل كهنوت عهده وشريعته ووصاياه .

بالكهنوت الجديد صار هناك عهد جديد وناموس جديد وتعاليم جديدة ، ليست ناقضة للقديم وإنما مكملة له تكشف أعماقه وتدخل به من الطفولة إلى النضوج الروحى ، ولهذا أكد السيد المسيح حين أعلن دستوره أنه ما جاء لينقض الناموس وإنما ليكمله (مت ٥ : ١٧) .
- يقول **القديس بولس** : «لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغيير للناموس أيضاً فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله» . (عب ٧ : ١٢ ، ١٨ ، ١٩)
أُبطلت الوصية القديمة لا بنقضها وإنما بتحقيقها فى الوصية الجديدة المكملة لها ، هذه التى فتحت لنا (رجاء أفضل) إذ به نقترب إلى الآب باتحادنا معه .

٧- يقارن القديس بولس بين ذبائح العهد القديم وذبيحة العهد الجديد ففى الناموس الموسوى يقدم الكهنة دم تيوس وعجول مرشوش على المنجسين يهدف إلى طهارة الجسد (عب ٩ : ١٢ ، ١٤) أما رئيس كهنة العهد الجديد فيقدم دم نفسه ويهدف إلى طهارة الإنسان كله وخلاصه . يقول **القديس بولس** : «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالأحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى» . (عب ٩ : ١٢ - ١٤)

---

(1) In Hebr. Hom.1 4:3 .
(2) Ibid : 16:7 .

٨- فى القديم كان يُقدم دم حيوانات تقاد للمذبح بغير إرادتها أما فى العهد الجديد فقدم رئيس الكهنة (السيد المسيح حمل الله) نفسه بإرادته الحرة وطاعته لأبيه حتى الموت موت الصليب ، وكان هو الكاهن والذبيحة فى نفس الوقت . يقول **القديس أوغسطينوس** : «أنت هو الكاهن وأنت الذبيحة : أنت المقدم وأنت التقدمة» .

٩- ما بين خدمة العهد القديم وخدمة العهد الجديد :

● الخدمة الأولى (العهد القديم) وهى خدمة الوقت الحاضر تركز على تطهير الجسد ، أما الثانية (العهد الجديد) وهى خدمة ما فوق الزمن الحاضر تمس الضمائر وأعماق النفس الداخلية .

● الأولى تقوم على دم حيوانات تموت . الثانية تقوم على دم ابن الله الذى بروح أزلى قدم نفسه لله الآب ، وقام من بين الأموات إذ كان لا يمكن للفساد أن يمسك به ، ولا للموت أن يتمكن منه .

● الأولى يقوم بها كهنة تحت الضعف محتاجون إلى تكفير عن خطاياهم . الثانية يقوم بها من هو بلا عيب (أع ١٤) قادر أن يقدسنا .

حادى عشر : وظائف وألقاب رجال الكهنوت

١- وكـــلاء

● الكهنة وكلاء المسيح على الأرض ، وكلاء لسرائر الله . أقام السيد المسيح الآباء الرسل ليكونوا نواباً ووكلاء عنه . هذا هو معنى الكهنوت العميق .

فالكاهن وكيل عن المسيح والوكيل غير الأصيل . الوكيل له أمام الأصيل حساب دقيق ، وله سلطان التصرف ولكن من دون تخط لحدود اختصاصه كوكيل .

- يقول **السيد المسيح** : «فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على عبيده ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد (الوكيل) الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله ، ولكن إن قال ذلك العبد الردئ فى قلبه سيدى يبطئ قدومه فيبتدأ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى يأتى سيد ذلك العبد (الوكيل) فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها فيقطعه (يشقه من وسطه) ويجعل نصيبه مع المرائين هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» . (مت ٢٤ : ٤٥ - ٥١)

● **السيد المسيح** وصف الرسل الاثنى عشر بأنهم وكلاء . وهذا واضح من مثل السهر

والاستعداد لأنه لما قال بطرس : «يا رب . ألنا تقول هذا المثل ، أم للجميع أيضاً؟» . أجابه الرب : «يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم ، الذى أقامه سيده على عبيده ، ليعطيهم الطعام فى حينه» . (مت ٢٤ : ٤٥)

نقول هذا على الرغم من أن الوكيل هو أيضاً عبد كالباقين ، إذ يقول الرب عنه : «طوبى لذلك العبد ، الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا» (لو ١٢ : ٤٣) . ولكنه متميز عن باقى العبيد ، من جهة عمله واختصاصاته ، ومسئوليته عنهم أمام سيد الكل الذى أقامه عليهم .

● على أن الوكالة لم تكن فقط للرسل الاثنى عشر . إنما بولس الرسول وكل مساعديه كانوا أيضاً وكلاء . قال **القديس بولس الرسول** عن نفسه وعن زملائه : «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح، ووكلاء سرائر الله . ثم يسأل فى الوكلاء ، لكى يوجد الإنسان أميناً» . (١ كو ٤ : ١ ، ٢) هنا سرائر الله . وخدام له ووكلاء عليها ، على أسرار الكنيسة .

● على أن القديس بولس ، لم يتكلم عن نفسه كوكيل من جهة سرائر الله فقط وإنما من جهة التعليم أيضاً ، لأنه استؤمن فيه على وكالة . فقال : «إن كنت أبشر فليس لى فخر ، إذ الضرورة موضوعة على . فقد استؤمنت على وكالة ، فويل لى إن كنت لا أبشر» . (١ كو ٩ : ١٦ ، ١٧)

وأطلق لقب وكلاء أيضاً على الأساقفة . فقيل : «ليكن الأسقف بلا لوم كوكيل لله» . (تى ١ : ٧)

هؤلاء كلهم يعملون باسم الله وسلطانه . لأن التوكيل الذى منحهم إياه ، يحمل تفويضاً منه لهم فى العمل . هم يمثلونه على الأرض . لذلك قال لهم : «الذى يسمع منكم ، يسمع منى . والذى يرذلكم يرذلنى» . (لو ١٠ : ١٦) ، «من يقبلكم يقبلنى» . (مت ١٠ : ٤٠)

إنهم مفوضون منه ، ليكملوا العمل الذى بدأه .

٢ـ سفراء

● يقول **القديس بولس الرسول** فى (٢ كو ٥ : ٢٠) : «الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه .. إذن نسعى كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا ، نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله» . مع الله الذى «أعطانا خدمة المصالحة» . (٢ كو ٥ : ١٨)

عمل المصالحة قام به السيد المسيح ، الذى أقام صلحاً بين الله والعالم (٢ كو ٥ : ١٩) . وعمل المصالحة مستمر ، لأن الإنسان دائماً يخطئ ويغضب قلب الله . وعمل المصالحة هذا عهد به الرب إلى خدامه ، رجال الكهنوت ، وكلاء الله على الأرض (تى ١ : ٧) يسعون

كسفراء للمسيح ، يقولون للناس : تصالحوا مع الله .

● السفير يقوم بعمل المصالحة . والسفير أيضاً يوصل كلمة الله إلى الناس . وهذا العمل المزدوج قام به الرسول : فقال : «لأعلم جهاراً بسر الإنجيل ، الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل» . (أف ٦ : ٢٠) ولايزال هذا العمل المزدوج مستمراً .

٣ـ ملائكة

● أطلق هذا اللقب على رجال الكهنوت ، وقد قيل هذا فى وضوح عن يوحنا المعمدان كاهن ما بين العهدين ، ابن زكريا الكاهن . قال عنه الله : «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى ، الذى يهيئ طريقك قدامك» . (مر ١ : ٢ ، ملا ٣ : ١)

والملاك هو رسول بين السماء والأرض . كما قال **القديس بولس** عن الملائكة : «أليسوا جميعاً أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤) هكذا أيضاً الكهنة : شخصيات خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص . إنهم ـ كالملائكة ـ منفذو مشيئة الله على الأرض .

● وأطلق لقب ملائكة على رعاة (أساقفة) الكنائس السبع التى فى آسيا ، فقيل إنهم ملائكة الكنائس . وهذا اللقب صدر من فم الرب نفسه . فقال لتلميذه القديس يوحنا : «اكتب إلى ملاك كنيسة أفسس ... إلى ملاك كنيسة سميرنا ... إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا ...» . (رؤ ٢ . ٣) .

● ولكن لعل البعض يعترض قائلاً : كيف نسمى رجال الكهنوت ملائكة ، ولهم أخطاء ؟!

ونحن نجيب : هكذا السيد المسيح سمى كهنة كنائس آسيا ملائكة ، فى نفس الوقت الذى ذكر فيه أخطاءهم . إذ قال مثلاً لملاك كنيسة أفسس : «اذكر من أين سقطت وتب» . (رؤ ٢ : ٥) فعلى الرغم من السقوط ، والحاجة إلى التوبة ، وتركه لمحبته الأولى ، سماه ملاكاً . وقال لملاك كنيسة ساردس : «أنا عارف أعمالك ، أن لك اسماً أنك حى وأنت ميت» . (رؤ ٣ : ١) ومع هذا لقبه بملاك .

● وفى قصة «يهوشع الكاهن العظيم» الذى مع أنه كان فى خطية ، لابساً ثياباً قذرة إلا أن ملاك الرب انتهر الشيطان من أجله قائلاً : «لينتهرك الرب يا شيطان لينتهرك الرب .. أليس هذا شعلة منتشلة من النار» . (زك ٣ : ٢ ، ٣)

واستخدم الوحى الإلهى عبارة «الكاهن العظيم» على الرغم من خطيئته . وقال له : «قد أذهبت عنك إثمك ، وألبسك ثياباً مزخرفة» . (زك ٣ : ٤)

والكاهن هو ملاك الكنيسة بحكم وظيفته . والمفروض أن يكون كالملاك فى نقاوته . وترمز

إلى هذا الثياب البيضاء التى يلبسها أثناء الخدمة .

٤ـ رعــاة

● وقد اطلق هذا اللقب على الآباء الرسل ، ثم أيضاً على الآباء الأساقفة ، وذلك حسب تعليم الكتاب المقدس .

ـ قال **السيد المسيح** لبطرس : «ارع غنمى .. ارع خرافى» . (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦)

ـ وقال **القديس بولس الرسول** لأساقفة أفسس : «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ، لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» . (أع ٢٠ : ٢٨)

وهذه الآية واضحة فى الربط بين الأسقفية وعمل الرعية .

ـ وهذا الربط يظهر أيضاً فى قول **القديس بطرس الرسول** عن ربنا يسوع المسيح : «راعى نفوسكم وأسقفها» . (١ بط ٢ : ٢٥)

ـ وفى حديث **القديس بطرس الرسول** إلى أساقفة الشتات يقول لهم : «ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً .. لا كمن يسود على الأنصبة ، بل صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» . (١ بط ٥ : ٢ـ٤)

ـ وفى توزيع الرتب و المسئوليات ، قال **القديس بولس** إن الله : «أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين .. لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح» . (أف ٤ : ١١ ، ١٢)

٥ـ آبــاء

● رجال الكهنوت (كهنة وأساقفة) يدعون آباء . فقد دعى بطرس وبولس ويوحنا وغيرهم من الرسل آباء ، كما سنوضح هذا الأمر تفصيلياً فيما بعد .

٦ـ معلمون

● ليس لكل أحد سلطان أن يعلم ، بل للذين أعطى لهم .

لذلك قيل فى (رو ١٢ : ٧) : «أم المعلم ففى التعليم» . وقال **القديس بولس** إن الله : «وضع فى الكنيسة أولاً رسلاً ، ثانياً أنبياء ، ثالثاً معلمين» . (١ كو ١٢ : ٢٨)

ـ وقال أيضاً : «إنه أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء والبعض مبشرين ، البعض رعاة ومعلمين» . (أف ٤ : ١١) وهذه الآية تربط بين الرعاية والتعليم . ولما كان الأساقفة هم الرعاة ، لذلك نجد من شروط الأسقف أن يكون «صالحاً للتعليم» . (١ تى ٣ : ٢)

- وفى الرسالة إلى تيطس ، يقول **القديس بولس** عن الأسقف ، إنه يجب أن يكون : «ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم ، لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين» . (تى ١ : ٩)

- ويقول **للقديس تيطس** أسقف كريت : «وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح» . (تى ٢ : ١)

- ويقول **للقديس تيموثاوس** أسقف أفسس : «اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ انتهر عظ ، بكل أناة وتعليم» (٢ تى ٤ : ٢) «لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك » . (١ تى ٤ : ١٦)

● المسيح إلهنا المعلم الصالح ، عهد إلى الرسل بالتعليم ، حينما قال لهم : «اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦ : ١٥) ، «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) والرسل سلموا التعليم للأساقفة ، وأمروهم أن يعلموا الشعب . وهؤلاء رسموا قسوساً وشمامسة ، ليكونوا أمناء على التعليم . وفى (١ تى ٥ : ١٧) يتحدث الرسول عن القسوس : «الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم» . وبقيت عبارة العهد القديم قائمة : «لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة . ومن فمه يطلبون الشريعة ، لأنه رسول رب الجنود» . (ملا ٢ : ٧)

● ليس عمل الكاهن إذن مقتصراً على تقديم الذبائح ، إنما من أهم أعماله : التعليم .. لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة . والشريعة موجودة كما فى العهد القديم ، كذلك أيضاً فى العهد الجديد ، تحتاج إلى من ينقلها إلى أسماع وأفهام الناس .

٧- مرشدون ومدبرون

● يتكلم **القديس بولس الرسول** عن المرشدين فيقول : «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم» . (عب ١٣ : ٧)

- ويقول أيضاً : «أطيعوا مرشديكم واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يعطون حساباً ، لكى يفعلوا ذلك بفرح ، غير آنين إن هذا غير نافع لكم» . (عب ١٣ : ١٧)

● ومن جهة عمل الكهنة كمدبرين ، يقول **القديس بولس** : «أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم» (١ تى ٥ : ٧) ويقول : «المدبر فباجتهاد» .

و المدبر Hegwman أو إيغومانوس ، ويمكن أن تترجم قمص .
- يقول **القديس بولس** عن المدبرين : «ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم فى الرب وينذرونكم . وأن تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة» . (١ تس ٥ : ١٢)
والتدبير فى الرب ، هو التدبير الروحى أو الكنسى الخاص بعلاقة الناس بالرب ، ولذلك قال أيضاً : «وينذرونكم» .

٨- كهنة

١ - رجال الكهنوت ، فى كل درجاته ، دعوا كهنة . تماماً كما فى مجال مهنة الطب من الممارس العام إلى الاستشارى كل منهم يلقب بأنه طبيب.
٢ - السيد المسيح دعى كاهناً ، ودعى أيضاً رئيس كهنة ، بصفته رئيساً لكل كهنة العهد الجديد .
- قيل إنه : «كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق» (عب ٧ : ٢١ ، مز ١١٠ : ٤) . وفى نفس الوقت قيل عنه إنه رئيس كهنة : «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا ، قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة ، وصار أعلى من السموات» (عب ٨ : ١) .
انظر أيضاً (عب ٨ ، ٩) .
٣ - بولس الرسول دعى كاهناً (رو ١ : ١٦) .
● **وكلمة قسيس تكررت كثيراً فى العهد الجديد ، وكذلك كلمة كاهن ، ولكن الإخوة البروتستانت يترجمونها شيخاً فى الترجمة البيروتية . لكنها فى الترجمة الكاثوليكية ليست كذلك .. وسنضرب أمثلة لذلك :**
- (١ تى ٥ : ١٧) الترجمة الكاثوليكية : « والكهنة الذين يقومون بعملهم قياماً حسناً يستحقون إكراماً مضاعفاً » .
الترجمة البروتستانتية : «أما الشيوخ المدبرون حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة » .
- (١ تى ٥ : ١٩) - الترجمة الكاثوليكية : «لا تقبل الشكوى على كاهن ، إلا بشهادة شاهدين أو ثلاثة» .
الترجمة البروتستانتية : «لا تقبل شكاية على شيخ ، إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود» .
- (١ تى ١ : ٥) الترجمة الكاثوليكية : «تركتك فى اقريطش ، لتتم فيها تنظيم الأمور ، وتقيم كهنة فى كل بلدة كما أوصيتك» .
الترجمة البروتستانتية : «تركتك فى كريت ، لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة ، وتقيم فى كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك» .

ـ (يع ٥ : ١٤) الترجمة الكاثوليكية : «هل فيكم مريض ؟ فليدع كهنة الكنيسة ، ليصلوا عليه ، بعد أن يدهنوه بالزيت » .

الترجمة البروتستانتية : «أمريض أحد بينكم ، فليدع شيوخ الكنيسة ، فيصلوا عليه ويدهنوه بالزيت» .

والكلمة التى وردت فى هذه الشواهد فى الأصل اليونانى هى إبريسفيتيروس وتصريفاتها ـ أى كهنة (شفعاء) .

ثانى عشر : دور الكهنوت فى خلاص الإنسان

ـ يقول **القديس كبريانوس** أسقف قرطاجنة : (لاخلاص خارج الكنيسة) ولكن كيف يقدم هذا الخلاص ؟

● لقد قدم السيد المسيح الفداء على الصليب للعالم أجمع عبر كل الأزمنة ولكن ليس الكل يتمتع بهذا الخلاص ...... وكيف للمؤمن أن ينال هذا الخلاص ؟

لأخذ مفاعيل هذا الخلاص كان لابد من الكنيسة كمؤسسة يقدم من خلالها هذا الخلاص ، وكان لابد من وجود وكلاء أمناء يقدمون هذا الخلاص لمن يستحقه ، وكان لابد من وجود قنوات (أسرار) تقدم هذا الخلاص من خلالها بطريقة سرية غير مرئية لأنها على مستوى الروح وليست على مستوى الجسد المادى .

● إذن يمكن القول إن الكهنوت ضرورة كيما يتمتع الناس بهذا الخلاص المجانى الذى قدمه السيد المسيح . ويمكن القول أيضاً أن للكهنوت أعمال كلها مرتبطة بخلاص الإنسان :

١ ـ خدمة الكلمة والتعليم .

٢ ـ خدمة الأسرار .

٣ ـ خدمة المصالحة .

٤ ـ خدمة الرعاية .

١ ـ خدمة الكلمة والتعليم

● العمل الأول لرجال الكهنوت بالنسبة لغير المؤمنين هو الوعظ والتعليم ، ودعوة الناس للخلاص والتوبة والإيمان .

ـ يقول **القديس بولس** : «كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا ؟» . (رو ١٠ : ١٤)

ـ حين أرسل السيد المسيح الآباء الرسل (الأساقفة العموميون الأوائل) قال لهم : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب و....... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» . (مت ٢٨ : ١٩)

ـ فى سيامة الشمامسة السبعة ، قال الآباء الرسل : «وأما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة» . (أع ٦ : ٤)

ـ وفى قصة اهتداء كرنيليوس أرسل له الله ملاكاً ، وكان يمكن لهذا الملاك أن يبشر كرنيليوس برسالة الخلاص ، ولكن لم يفعل ذلك إنما أحاله إلى الكنيسة المؤتمنة على هذه الخدمة أحاله إلى القديس بطرس أحد الأساقفة (أحد الرسل) وهكذا قال له : «أرسل إلى يافا رجالاً ، واستدع سمعان الملقب بطرس ، وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك» . (أع ١٠ : ١٤) وصارت هذه هى مهمة من مهام عمل الكنيسة والآباء الكهنة خدمة التعليم وتفهيم الناس قواعد الإيمان وتعريفهم طريق الخلاص .

ـ يقول **القديس بولس** : «إذ الضرورة موضوعة علىَّ فويل لى إن كنت لا أبشر فقد استؤمنت على وكالة» (١ كو ٩ : ١٦ ، ١٧) .

ـ ويقول **القديس بولس** أيضاً : «اكرز بالكلمة اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب» . (٢ تى ٤ : ٢)

ـ ويقول أيضاً : «لاحظ نفسك والتعليم ودوام على ذلك فإنك إن فعلت هذا تخلِّص نفسك والذين يسمعونك» . (١ تى ٤ : ١٦)

ـ ويقول أيضاً «لأعلم جهاراً بسر الإنجيل الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل» . (أف ٦ : ٢٠)

ـ فخدمة الكلمة أحد أعمال رجال الكهنوت المؤيدين بالروح القدس ليعرفوا الإنسان طريق الخلاص

٢ـ خدمة الأسرار

● الكنيسة تقدم الخلاص عن طريق أسرارها المقدسة (الأسرار اللازمة للخلاص) (المعمودية ـ الميرون ـ الاعتراف ـ التناول) .

ـ يتمم الكاهن سر المعمودية للذين آمنوا ، فيتم لهم التطهير من الخطايا وتجديد الطبيعة الساقطة.

ـ ويمسح الكاهن المعمد بالميرون ، فيثبته فى الحياة المسيحية .

ـ ويقبل الكاهن اعتراف الإنسان الخاطئ ، ويعطيه مغفرة بالسلطان المعطى له .

ـ ويقدم الكاهن جسد ودم السيد المسيح للمتناولين ، خلاصاً وغفراناً للخطايا .

لهذا يسمى سر الكهنوت بالسر الوالد للأسرار لأن كل الأسرار الأخرى تتم من خلاله .

٣- خدمة المصالحة

● الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ..... إذن نسعى كسفراء المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله (٢ كو ٥ : ٢٠) .

أعطانا خدمة المصالحة (٢ كو ٥ : ١٨) .

عمل المصالحة قام به السيد المسيح (رئيس الكهنة) أقام صلحاً بين الله والعالم (٢ كو ٥ : ١٩) .

وعمل المصالحة مستمر لأن الإنسان دائماً ما يخطئ ويغضب الله ، وخدمة المصالحة هذه عهد بها الرب إلى خدامه رجال الكهنوت ووكلائه على الأرض (تى ١ : ٧) .

يسعون كسفراء للمسيح يقولون للناس : تصالحوا مع الله .

ويقوم الكاهن أيضاً بخدمة المصالحة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وأيضاً بعمل المصالحة بين الإنسان ونفسه .

● يقول نيافة **الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ : «ليس الكهنوت زياً يرتديه الكاهن أو لقباً يتزين به ، إنما الكهنوت ممارسة حقيقية للمصالحة مع الله والمناداة بالتوبة . الكهنوت هو خدمة المصالحة » . (١)

٤- خدمة الرعاية

● الله أعطى البعض أن يكونوا رعاة (أف ٥ : ١١) لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح .

- وقال **السيد المسيح** لبطرس بعد القيامة : «يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء ..... ارع غنمى ..... ارع خرافى» . (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦)

- عمل الرعاية هذا يقوم به رجال الكهنوت فى الكنيسة وهكذا قال **بولس الرسول** لأساقفة أفسس : «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» . (أع ٢٠ : ٢٨)

- يقول **الإنجيل** عن السيد المسيح : «لما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها» . (مت ٩ : ٣٦)

- «ارعوا كنيسة الله التى بينكم نظاراً ..... لا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة

---

(١) نيافة الأنبا بيشوى : خدمة الكهنوت ، ص ١٢ .

للرعية» . (١ بط ٥ : ٢ـ ٤)

وجزء هام من عمل الرعاية هو خدمة الارشاد والتدبير :

● إرشاد الناس فى الطريق الروحى وتدبير للرعية وأعمال الرعاية .

ـ «أما القسوس المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة» . (١ تى ٥ : ٧)

ـ «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ..... انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » . (عب ١٣ : ٧)

ـ «أطيعوا مرشديكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً» . (عب ١٣ : ١٧)

ثالث عشر : كرامة الكهنوت للقديس يوحنا ذهبى الفم

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** فى رائعته (الكهنوت المسيحى) [(١)] :

[● إن نعمة الكهنوت ، وإن كانت فى الحقيقة تعطى على الأرض ، ولكنها تعد بين الرتب السماوية . وهذا أمر طبيعى ، لأنه لا إنسان ، ولا ملاك ، ولا رئيس ملائكة ، ولا أى خليقة أخرى ، بل الباراقليط نفسه هو الذى أسس هذه الدعوة ، وحث البشر ، وهم بعد فى الجسد أن يقوموا بخدمة الملائكة !! لذلك ينبغى على الكاهن الذى يقدس أن يكون طاهراً ، كما لو كان واقفاً فى السموات عينها فى وسط تلك القوات .....

● لأنه لو أدرك أى شخص كم هو أمر جسيم أن يتمكن شخص ، حال كونه إنساناً ومحصوراً فى اللحم والدم ، أن يقترب إلى هذه الطبيعة المباركة الطاهرة ، فإنه حينئذ سوف يرى بوضوح ما هى الكرامة العظيمة التى تمنحها نعمة الروح للكهنة ، إذ بواسطتهم تقام هذه الطقوس وغيرها ، التى لا تقل عنها بأى حال فيما يختص بمجدنا وخلاصنا .

● فإن الذين يسكنون الأرض ، ويقيمون فيها ، يؤتمنون على خدمة الأمور السماوية ويأخذون سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة !! لأنه لم يخاطب أحداً منهم بالقول : «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» . (مت ١٨ : ١٨)

● إن حكام الأرض لهم فى الحقيقة سلطان ليربطوا ولكن الجسد فقط . فى حين أن هذا الربط يقع على الروح ويخترق السموات . وما يفعله الكهنة هنا على الأرض يصادق عليه

(١) يوحنا ذهبى الفم : الكهنوت المسيحى ، ص ٥٢ـ ٥٨ .

الله من فوق ، وما ينطق به العبيد يؤيده السيد !! لأنه فى الحقيقة سلطان سماوى لاشك ، ذلك الذى أعطاه الله لهم عندما قال : «من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠ : ٢٣) . أى سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا ؟!! «الآب ... قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو ٥ : ٢٢) ولكنى أراها كلها بين يدى هؤلاء الرجال بواسطة الابن، لأنهم يؤهلون إلى هذه الكرامة كما لو كانوا قد انتقلوا إلى السماء ، وارتفعوا فوق الطبيعة البشرية ، وتحرروا من الأوجاع التى نحن عرضة لها .

• زد على هذا ، إذا منح ملك هذه الكرامة لواحد من رعاياه ، معطياً إياه سلطاناً ليلقى فى السجن من يشاء ويطلق سراح من يشاء ، فإنه يصبح موضع حسد واحترام لجميع الناس ، أما الذى أخذ من الله سلطاناً عظيماً بمقدار ما تسمو السماء عن الأرض ، والروح عن الجسد ، فإنه يبدو للبعض أنهم أخذوا كرامة ضئيلة حتى أنهم يمكن أن يتصوروا أن واحداً من الذين أؤتمنوا على هذه الأمور يحتقر هذه العطية !! دعنا من جنون كهذا ! لأنه جنون واضح أن نحتقر هذه الكرامة العظيمة . إذ بدونها لا يمكن أن نحصل على خلاصنا ولا على الأشياء الصالحة التى وعدنا بها الله . لأنه إذا كان أحد لا يمكنه أن يدخل ملكوت السموات دون أن يولد من الماء والروح ، ومن لا يأكل من جسد الرب ويشرب دمه يحرم من الحياة الأبدية ، وإذا كانت هذه الأمور تتم فقط عن طريق هذه الأيدى المقدسة ، أعنى أيدى الكاهن ، فكيف يمكن لأى إنسان ـ بدون هذه الأمور ـ أن يهرب من نار الجحيم أو يربح هذه الأكاليل المعدة للفائزين ؟!!

• هؤلاء هم الذين بالحقيقة أؤتمنوا على آلام المخاض الروحى ، والميلاد الذى يجرى بالمعمودية . إننا بواسطتهم نلبس المسيح ، وندفن مع ابن الله ونصير أعضاء فى ذلك الرأس المقدس . فلا ينبغى أن نهابهم أكثر من الحكام والملوك فحسب ، بل نكرمهم أيضاً أكثر من الوالدين . لأن هؤلاء ولدونا من دم ومن مشيئة الجسد ، أما أولئك فهم وسيلة ميلادنا من الله ، ذلك الميلاد الثانى الذى هو الحرية الحقيقية والبنوة بالنعمة .

• ولقد كان للكهنة اليهود السلطان أن يشفوا الجسد من البرص ، أو بالحرى لا يشفوها بل فقط يفحصون الذين تطهروا . وأنت تعلم كم كانت وظيفة الكاهن موضوع منافسة في ذلك الوقت . أما كهنتنا فقد أخذوا سلطاناً ليس على برص الجسد بل على نجاسة الروح لا ليعلنوا أنها طهرت بعد فحصها بل لينزعوها بالفعل . لذلك فالذين يحتقرون هؤلاء الكهنة يستوجبون اللعنة أكثر من داثان وجماعته ، ويستحقون عقاباً أشد قساوة . لأن أولئك رغم

أنهم نسبوا لأنفسهم كرامة ليست لهم ، إلا أنهم كانوا ينظرون إليه (الكهنوت) نظرة سامية . وقد برهنوا على ذلك بهذا الاشتياق الشديد الذى سعوا به إليه .

● أعود مرة أخرى إلى النقطة التى بدأت منها : لقد منح الله للكهنة قوة أعظم من التى لوالدينا الجسديين ، فالفرق بينهما فى الواقع كبير كالفرق بين الحياة الحاضرة والحياة المستقبلة . لأن والدينا الجسديين ولدانا لهذه الحياة فقط ، أما أولئك فلتلك الحياة الآتية . الأولون ليس فى مقدورهم أن يمنعوا الموت عن أولادهم ، أو يصدوا عنهم هجمات المرض ، أما الكهنة فكثيراً ما خلصوا نفساً عليلة أو إنساناً على حافة الهلاك . ويوقعون على البعض عقاباً شديداً ، ويمنعون الآخرين من السقوط . ليس فقط بالتعليم والإرشاد ولكن أيضاً بمعونة صلواتهم . لأن سلطان غفران الخطايا ليس فقط ساعة الميلاد الثانى ، بل أيضاً بعد ذلك لهم هذا السلطان فقد قيل : «أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب ، وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » . (يع ٥ : ١٤ ، ١٥) .

● كذلك نجد أن الآباء الجسديين ، إذا حدث خلاف بين أولادهم وبين أحد من ذوى الرتب العالية فى العالم ، فلا يستطيعون أن يفعلوا لهم شيئاً ، أما الكهنة فإنهم يصالحونهم ، ليس مع الحكام والملوك بل مع الله نفسه عندما يحل غضبه عليهم] .

رابع عشر : الرد على أسئلة وادعاءات

١ - لماذا الرئاسات فى الكنيسة ؟

● يعترض البعض قائلاً : أليس جميعنا إخوة كما قال السيد المسيح : «وأنتم جميعاً إخوة» (مت ٢٣ : ٨) إذن لماذا الرئاسات فى الكنيسة ؟

الرد :

يجيب على هذا السؤال **قداسة البابا شنوده الثالث** - أدام الله حياته - فيقول :

[● حقاً إننا جميعاً إخوة . فكلنا أبناء آدم وحواء ، وكلنا أبناء نوح وإبراهيم . وكلنا أبناء إيمان واحد ، ومعمودية واحدة . وكلنا أبناء الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية . ولكن :

هل الإخوة متساوون ؟

● إن كان الجميع يتساوون فى أنهم أبناء الله ، وصورة الله ، وهياكل لروحه القدوس . ويتساوون من جهة المسئولية الأدبية .. إلا أنهم ليسوا متساوين من جهة العمل والاختصاصات ، ومن جهة الكهنوت .

● هذا هو التعليم الكتابى . وفيه يقول الرسول : «وضع الله أناساً فى الكنيسة . أولاً رسلاً ، ثانياً أنبياء ، ثالثاً معلمين ، ثم قوات ، وبعد ذلك مواهب .. ألعل الجميع رسل ؟ ألعل الجميع أنبياء ؟ ألعل الجميع معلمون ؟» . (١ كو ١٢ : ٢٨ ، ٢٩)
إذن هنا لا مساواة . وليس العمل واحداً للكل .

● ونفس تمايز العمل يكرره الرسول فى رسالته إلى أفسس ، فيقول عن الرب : «وهوأعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح» . (أف ٤ : ١١ ، ١٢) هو أعطى البعض ، وليس الكل . إذن لا مساواة ..

● هو اختار أشخاصاً معينين ، لأعمال معينة كلفهم بها . وهذا الاختيار ليس هو طبعاً لجميع الناس . فليس الجميع متساوين فى الاختيار والإرسالية . وليس الكل مختارين للخدمة التى كلف بها الرب رجاله ، وهى أعمال معينة ، نسميها أعمال الكهنوت .

- هل الإخوة تعنى عدم النظام فى الكنيسة ؟ وهل المساواة تعنى أن الكنيسة تسير بلا ترتيب ، بلا قيادة ، بلا أشخاص مسئولين أمام الله و الناس ؟ حاشا أن يحدث هذا ، فقد قال الكتاب : «ليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب» . (١ كو ١٤ : ٤٠)

● إن الكنيسة هى الوضع المثالى فى النظام ، لأنها جسد المسيح . ومع أن كل أعضاء الجسد إخوة ، إلا أن هناك رأساً ، وأعضاء .. بل فى كل أسرة : هناك زوج وزوجة وأولاد ، ومع ذلك فالرجل رأس المرأة ، والأولاد يخضعون للأبوين .
ولا يمكن باسم المساواة أن تتمرد المرأة على رئاسة الرجل .
ولا يمكن باسم المساواة أن يتمرد الأبناء ، ولا يخضعوا لوالديهم فى الرب لأن هذا الخضوع حق (أف ٦ : ١ ، ٢) .

● أما من جهة الرئاسات ، فإن الله هو الذى وضعها فى الكنيسة ، فى السماء أولاً بين الملائكة . وهكذا قيل : « خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين» (كو ١ : ١٦) . وقيل فى سفر دانيال النبى عن الملاك ميخائيل : «ميخائيل الرئيس العظيم» . (دا ١٠ : ١٣)

● كذلك أوجد الله رئاسات فى مجال الكهنوت . فعين هرون رئيساً للكهنة ، وتتابع رؤساء الكهنة على مدى الأجيال .. وقيل عن يهوشع : «الكاهن العظيم» (زك ٣ : ١) وعبارة : «رئيس كهنة» وردت فى الكتاب مرات عديدة جداً .

● بل سمح الله لموسى بإقامة رؤساء علمانيين معاونين له : «رؤساء ألوف ، ورؤساء مئات ،

ورؤساء خماسين ، ورؤساء عشرات ، فيقضون للشعب كل حين .. والدعاوى العسرة يجيئون بها إلى موسى» . (خر ١٨ : ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ وتث ١ : ١٥)

● ولعلهم يسألون : وما موقف المسيح من كل هذه الرئاسات ؟

السيد المسيح «هو رأس كل رياسة وسلطان» (كو ٢ : ١٠) . وجود الرئاسات على الأرض لا يمنع رئاسته . وجود ملوك على الأرض لم يمنع أنه «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩ : ١٦) . ووجود رعاة لا يمنع أن السيد المسيح هو راعى الرعاة ، وراعى الخراف العظيم (ع ب ١٣ : ٢٠) .

- قال **القديس أوغسطينوس** للرب : « أنا راع لهؤلاء ، ولكننى أمامك ، أنا معهم واحد من قطيعك . وأنا معلم لهم ، ولكننى أمامك أتعلم منك معهم» .

● الناس أمام الله إخوة . ولكنهم بالنسبة إلى بعضهم البعض ، يوجد فيهم أبناء وآباء ، ورعية ورعاة ، وتلاميذ ومعلمون . وأيضاً فيهم علمانيون وكهنة .

✤ هناك **اعتراض آخر** يقدمه البعض فى موضوع المساواة وهو : قول السيد المسيح لتلاميذه «أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم ، والعظماء يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا . بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً ، فليكن لكم خادماً . ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً . كما أن ابن الإنسان لم يأت لِيُخدم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» . (مت ٢٠ : ٢٥-٢٨)

واضح أن هذا الكلام عن التواضع ، وعدم التسلط ، وعدم محبة العظمة وليس هو عن إلغاء الرئاسات ، بدليل إبراز مثل السيد المسيح نفسه .. فهو سيد ورئيس ، مع أنه جاء ليخدم ويبذل (يو ١٣ : ١٣) .

والمقصود بالرئاسات فى الكنيسة وفى الكهنوت ، النظام ، وتوزيع المسئولية والإشراف على الخدمة ، وما إلى ذلك . وليس هدفه مطلقاً التسلط ، ومحبة العظمة ، الأمور الكائنة فى الجو العلمانى الذى انتقده الرب . وأيضاً محبة الكرامة التى كانت ظاهرة فى تصرفات الكتبة والفريسيين وقد هاجمها الرب فى (مت ٢٣ : ٥-٨)] . (١)

٢- أليس جميعنا ملوكاً وكهنة ؟

● يقول المعترضون أليس جميعنا ملوكاً وكهنة ؟ ويعتمدون فى ذلك على الآيات الآتية :

١- «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة وشعب اقتناء» . (١ بط ٢ : ٣٩)

---

(١) بتصرف من كتاب الكهنوت ، جـ ١ ، لقداسة البابا شنوده الثالث ، ص ٨٤-٨٦ .

٢ ـ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» . (رؤ ١ : ٦)

الرد :

١ ـ آية القديس بطرس مأخوذة أصلاً من العهد القديم من قول الرب لليهود : «وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة» . (خر ١٩ : ٦)

٢ ـ ورغم أن هذه الآية قيلت فى القديم لليهود جميعاً إلا أنه كان هناك كهنوت خاص معين وهو سبط لاوى . فعلى الرغم من أن الجماعة كلها مقدسة ومملكة كهنة إلا أن الله اختار له كهنة معينين .

٣ ـ ولما حاول قورح وداثان وأبيرام أن يجعلوا الكهنوت مشاعاً وقالوا لموسى وهرون : «كفاكما إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب» . (عد ١٦ : ٣) عاقبهم الله عقاباً شديداً بأن جعل الأرض تفتح فاها وتبتلعهم هم ومن معهم (٢٥٠ فرداً) .

٤ ـ ولما تجرأ شاول الملك بأن يصعد محرقة رفضه الرب وفارقه روح الرب (١ صم ١٦ : ١٤) .

٥ ـ وكذلك عزيا الملك لما تجرأ بأن يمسك مجمرة البخور ليرفع بخوراً ضربه الرب بالبرص (٢ أى ٢٦) .

إذن فمحاولة تعميم الكهنوت أو جعله مشاعاً محاولة قديمة ... رفضها الله وقاومها .

٦ ـ لكن بأى معنى نفهم عبارة «جعلنا ملوكاً وكهنة لله» :

هنا الكهنوت بالمعنى الروحى الذى يقدم فيه المؤمن ذبائح روحية وبخوراً روحياً ، مثل :

ـ **ذبيحة صلاة :** «فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك . وليكن رفع يدى كذبيحة مسائية» . (مز ١٤١)

ـ **ذبيحة البذل والخدمة :** «أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» . (رو ١٢ : ١)

ـ **ذبيحة التسبيح :** « فلتقدم به كل حين لله ذبيحة التسبيح .. أى ثمر شفاه معترفة باسمه» . (عب ١٣ : ١٥)

ـ **ذبيحة العطاء :** «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يُسر الله» . (عب ١٣ : ١٦)

ـ **ذبيحة الحمد :** «لك أذبح ذبيحة الحمد» . (مز ١١٦)

✠ رجال الكهنوت أشخاص مميزون بأعمال مميزة [1]

مما يدل على وجود الكهنوت الخاص فى العهد الجديد ، هو أننا نجد أن رجال الكهنوت فى الكتاب المقدس أشخاص ميزهم الله بأمور معينة :

١ـ أشخاص اختارهم الرب ودعاهم وأرسلهم :

ـ اختارهم :

ـ قال عن الاختيار : «لستم أنتم اخترتمونى ، بل أنا اخترتكم ، وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر». (يو ١٥ : ١٦) والاختيار يدل على أنه ليس لكل أحد .

ـ دعاهم :

● يقول **القديس بولس الرسول :** «لا يأخذ أحد هذه الكرامة بنفسه ، بل المدعو من الله كما هرون» . (عب ٥ : ٤) ومادامت هناك دعوة ، إذن العمل ليس للكل .

ـ يقول **الكتاب المقدس** عن السيد المسيح : «ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر» . (مت ١٠ : ١) وهذه الدعوة شرحها الإنجيل بالنسبة لكل واحد على حدة .

ـ أرسلهم :

«هؤلاء الاثنا عشر ، أرسلهم يسوع ، وأوصاهم قائلاً» . (مت ١٠ : ٥)

إذن هنا دعوة ، لأشخاص معينين .. وهنا إرسالية لهم وليس لكل أحد .

ـ «ودعا تلاميذه الإثنى عشر ، وأعطاهم قوة وسلطاناً .. وأرسلهم ليكرزوا» .(لو٩ : ١ ، ٢)

ـ «وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً ، وأرسلهم اثنين اثنين» . (لو ١٠ : ١)

ـ وقال **الرب** عن هذه الإرسالية : «كما أرسلنى الآب ، أرسلكم أنا» . (يو٢٠ : ٢١)

ـ وقال فى صلاته للآب : «كما أرسلتنى إلى العالم ، أرسلتهم أنا إلى العالم» . (يو ١٧ : ١٨)

ـ وفى تأكيد الإرسالية من الله قال : «اطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده» . (مت ٩ : ٣٨)

● إذن هنا اختيار ودعوة وإرسالية . ولا يستطيع أحد أن يعمل هذا العمل من ذاته ، بل المدعو من الله كما هرون .

٢ـ ولهم اشتراطات معينة :

● خاصة **بالأسقف والقس :** (١ تى ٣ : ٢ـ ٧) .

● خاصة **بالشمامسة :** (١ تى ٣ : ٨ـ ١٣) .

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ٤١ ـ ٥٠ .

٣ـ ويقامون بوضع اليد :

● بصلاة وصوم ونطق :

وذلك واضح فى إرسال شاول وبرنابا «فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ، ثم أطلقوهما بسلام» . (أع ١٣ : ٣)

وواضح وضع اليد والصلاة فى سيامة الشمامسة « فصلوا ووضعوا عليهم الأيادى» .

(أع ٦ : ٦)

وإن كان الأمر لجميع الناس ، فما لزوم وضع اليد والصلاة ، واختيار مجموعة معينة «انتخبوا أنتم سبعة رجال منكم» . (أع ٦ : ٣)

ما لزوم هذا الطقس : صلاة ـ صوم ـ وضع يد . وطبعاً معه نطق خاص بالرتبة . ويقام من شخص له سلطان ؟!

٤ـ وأعطاهم سلطان التعليم والتعميد :

ـ قال لهم : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» . (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) «اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص» . (مر ١٦ : ١٦)

هؤلاء هم الذين أئتمنهم على خدمة الكلمة . ولم يعط هذه الخدمة لجميع الناس .

ـ بل أعطاها لهؤلاء الذين قال لهم : «من يسمع منكم ، يسمع منى» ، (لو ١٠ : ١٦) ولم يقل الرب لجميع الشعب : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» «اكرزوا بالإنجيل» .. لأن سلطان التعليم ليس للجميع !

ـ وفى هذا الأمر يشهد القديس بطرس الرسول قائلاً : «ليس لجميع الشعب ، بل لشهود سبق الله فانتخبهم . لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه .. وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد » .

(أع ١٠ : ٤١ ، ٤٢)

٥ـ وأعطاهم سلطان الحل والربط :

● لم يعط الرب هذا السلطان لجميع الشعب ، وإنما أعطاه أولاً للرسل فى شخص بطرس كما جاء فى (مت ١٦ : ١٨) ثم وجه الحديث بعد ذلك لكل الرسل قائلاً : «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» . (مت ١٨ : ١٨)

ـ وبعد القيامة يقول **الإنجيل** إنه نفخ فى وجوههم وقال لهم : «اقبلوا الروح القدس . من

غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» . (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣)

٦ـ ولهم سلطان ممارسة سر الإفخارستيا :

ـ قال لهم ، وليس لجميع الشعب : «هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى» . (لو ٢٢ : ١٩) ولهذا فإن بولس الرسول حينما يتعرض لهذا الأمر يقول : «كأس البركة التى نباركها ، أليست هى شركة دم المسيح ؟ الخبز الذى نكسره ، أليس هو شركة جسد المسيح» .
(١ كو ١٠ : ١٥)

فقال : «نبارك ونكسر» ولم يقل : تباركون وتكسرون .

لأن إقامة هذا ليست لكل أحد ، بل للكهنوت .

أما التناول منه فهو للكل ، لذلك قال : «لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين .. لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين» . (١ كو ١٠ : ٢١)

٧ـ ولهم وضع اليد وإقامة الخدام :

● كان وضع اليد لإقامة الخدام ، هو من عمل الرسل وحدهم ، ثم صار أيضاً من عمل خلفائهم الأساقفة .

ـ ففى سيامة الشمامسة السبعة ، قال الرسل للمؤمنين : «انتخبوا أنتم سبعة رجال .. فنقيمهم (نحن) على هذه الحاجة .. الذين أقاموهم أمام الرسل ، فصلوا ووضعوا عليهم الأيادى» .
(أع ٦ : ٣ـ٦)

ـ **وبولس الرسول** يقول لتلميذه تيموثاوس الأسقف : «فلهذا السبب أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يدى» . (٢ تى ١ : ٦)

ـ وقال لهذا الأسقف : «لا تضع يدك على أحد بالعجلة ، ولا تشترك فى خطايا الآخرين» .
(١ تى ٥ : ٢٢)

ولو كان الكل كهنة ، فما لزوم وضع اليد هنا ؟!

ـ كذلك أمر **بولس الرسول** تلميذه تيطس أسقف كريت قائلاً : «من أجل هذا تركتك فى كريت ، لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة ، وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك» .
(تى ١ : ٥)

ـ وقال لتلميذه تيموثاوس : «لا تهمل الموهبة التى فيك ، المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة» . (١ تى ٤ : ١٤)

إذن وضع اليد لإقامة الخدام فى كل رتب الكهنوت ، لم يكن لكل أحد ، إنما كان للرسل ولمساعديهم وخلفائهم من الأساقفة .

٨ـ ولهم منح الروح القدس :

ـ ففى قصة إيمان السامرة ، كان أهلها قد تعمدوا ولم ينالوا الروح . وهنا يقول الكتاب إن الرسل : «أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس .. حينئذ وضعا الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس» . (أع ٨ : ١٤ ـ ١٧)

فلو كان الكل كهنة ، لكان ممكنا لأى أحد من المؤمنين أن يمنح أهل السامرة الروح القدس ، ولا حاجة إلى أن يرسل إليهم الرسل بطرس ويوحنا الرسولين .

ـ نلاحظ نفس الوضع فى منح الروح القدس لأهل أفسس . ما كانوا يعرفون شيئاً عن الروح القدس . ولكن «لما وضع بولس يديه عليهم ، حل الروح القدس عليهم» . (أع ١٩ : ٦)

إذن كان الرسل يمنحون الروح القدس ، للناس ، الذى عرف فيما بعد بسر المسحة (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) . ولم يكن هذا عمل عامة المؤمنين ، كما يعلمنا الكتاب .

● وهذا الأمر أدركه حتى سيمون الساحر ، ولكنه أخطأ فى الوسيلة . ويقول الكتاب : «ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس ، قدم لهم دراهم قائلاً أعطيانى أنا أيضاً هذا السلطان» . (أع ٨ : ١٨ ، ١٩) فلو كان الكهنوت للكل ، لماذا كانت هناك حاجة أن يطلب الروح القدس من هؤلاء الناس بالذات ؟!

٩ـ ولهم عمل الإرشاد والتدبير :

ـ يقول **القديس بولس الرسول** : «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله» . (عب ١٣ : ٧) «أطيعوا مرشديكم واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يعطون حساباً ..» . (عب ١٣ : ٧)

وطبعاً هذا الكلام ليس للكل ، إنما للذين سيعطون حساباً عن الاهتمام بنفوس الآخرين .

ـ ويقول الرسول أيضاً : «نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ، ويدبرونكم فى الرب ، وينذرونكم ، وأن تعتبروهم جميعاً فى المحبة» . (١ تى ١٥ : ١٢ ، ١٣)

وعبارة : «تعرفوا الذين .. يدبرونكم» معناها أنها ليست لكل أحد .

ملخص

● إن كان الكهنوت لكل أحد ، فهل يستطيع كل أحد من الشعب أن يعمد ، ويمنح الروح القدس للآخرين ، ويقيم الأساقفة والقسوس والشمامسة ؟ ويعلم ويدبر؟!

وهل كل أحد له سلطان الحل والربط ، وأن يغفر الخطايا أو يمسكها ؟ وهل كل أحد له سلطان إقامة سر الإفخارستيا .. وباقى الأعمال التى تميز بها الكهنة ؟

لم يحدث أن السيد المسيح أعطى السلطان على كل هذا لجميع الناس كما سبق وذكرنا .

٣ـ هل انتهى الكهنوت فى العهد الجديد بتقديم ذبيحة المسيح ؟

الـرد :

١ ـ أولاً يقول القديس بولس بكل وضوح إن الكهنوت قد تغير (عب ٧ : ١٢) ولم يقل قد ألغى ، تغير من الكهنوت اللاوى إلى كهنوت على طقس ملكى صادق .

٢ـ وجاء عن السيد المسيح أنه كاهن إلى الأبد (عب ٧ : ٣ ، ٢١ ، ٢٤) .

وجاء عنه أيضاً أنه رئيس كهنة : «مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق» . (عب ٥ : ١٠)

فإن كان المسيح رئيس كهنة كما ذكر عنه ، إذن فهو رئيس لمن ؟

هل رئيس لكهنة العهد القديم ، إنه كهنوت مختلف .. إذن هو رئيس لكهنة العهد الجديد .

٣ـ والقديس بولس كاهن إذ يقول : «حتى أكون مباشراً لإنجيل المسيح ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس» . (رو ١٥ : ١٦)

٤ـ والآباء الرسل أقاموا شمامسة وكهنة كما سبق ذكره :

ـ انظر (أع ٦ و أع ١٤ : ٢٣ و ٢ تى ١ : ٦ و ١ تى ٥ : ٢٢) .

٥ـ وكيف انتهى الكهنوت وهناك نبوات عن كهنوت الأمم خاصة بالعهد الجديد :

ـ قال الرب لليهود : «ليس لى مسرة بكم ـ قال رب الجنود ـ ولا أقبل تقدمة من يدكم لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقربون لاسمى بخوراً وتقدمة طاهرة لأن اسمى عظيم بين الأمم» . (ملا ١ : ١١)

فمن هؤلاء الذين سيقدمون للرب بخوراً وتقدمة من أهل الأمم سوى كهنوت العهد الجديد .

ـ وقال لليهود فى سفر إشعياء النبى : «ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب ... واتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين قال الرب» . (إش ٦٦ : ١٩ ـ ٢١)

٤ ـ هل السجود أمام الأب البطريرك والأساقفة هو للعبادة ؟

الـرد :

١ ـ السجود للأسقف هو لكونه وكيلاً لله ، يحمل اسمه وينطق بكلمته ، مثل سفير الدولة الذى يمثل دولته ويلقى احتراماً ومعاملة خاصة من كل من يتعامل معه احتراماً لدولته ورئيسها ، وأى إكرام موجه له فهو موجه لدولته ورئيسها ، وأى تقصير فى إكرامه فهو أيضاً تقصير فى إكرام دولته ورئيسها.

٢ ـ والسجود للأب البطريرك أو الأسقف هو أيضاً للإكرام والتوقير والاحترام ، وسجود الاحترام والتوفير ليس بأسلوب جديد ، بل هو طريقة معروفة منذ القديم فى إعلان الاحترام والتوقير والخضوع أيضاً ، ومازالت هذه العادة أيضاً معروفة فى بلادنا فى الصعيد ، حين يخضع الابن لأبيه بجسده وينحنى أمامه ويقبل يديه ، مهما كان عمر الابن أو مركزه أو جاهه .

ـ فإذا كان الابن المهذب والبار بوالديه ينحنى هكذا أمام أبيه الجسدى ، فكم بالحرى ينبغى أن يكون احترام الابن لأبيه الروحى ، وإعلان الاحترام والتوقير والخضوع لإرشاده وحكمته .

فالسجود أمام الأب البطريرك والآباء الأساقفة يحمل هذه المعانى الروحية والأدبية ولا يحمل معنى العبادة التى لا تُقدم إلا لله وحده . الأمر الذى نعرفه نحن الأرثوذكس ونعيشه جيداً بل نعلمه للآخرين أيضاً .

ـ يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** (آدام الله حياته) فى هذا المجال :

[● تعود الناس أن يسجدوا للأسقف احتراماً ، باعتباره وكيل الله (تى ١ : ٧) . فهم يسجدون لله فى شخصه .

ومثال ذلك : أنهم يستقبلون الأسقف بلحن : إب أورو (يا ملك السلام ، أعطنا سلامك) بينما ملك السلام هو المسيح . ولكنهم يقولون هذا اللحن فى وجود الأسقف ، للترحيب به ، باعتباره وكيلاً للمسيح .

وبالمثل حينما يصلى الأسقف الإنجيل ، يرتلون لحن : «أقسم الرب ولن يندم ، أنك أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق» (مز ١١٠) بينما هذا اللحن هو للسيد المسيح ، وهذا المزمور نبوءة عنه . ولكن اللحن يقال فى وجود الأسقف باعتباره الوكيل مثل الضابط الذى يمثل رئيس الجمهورية ، حتى لو كان ضابطاً صغيراً .

● والسجود للأسقف هو سجود احترام ، وله أمثلة فى الكتاب . وكثير من الأساقفة يمتنعون عن قبول هذا السجود ، فيحترمهم الشعب بالأكثر بسبب تواضعهم ، ويتمسكون بالسجود بالأكثر . فيضطر هؤلاء أن يستسلموا لهذا الواقع ، وفى قلوبهم يعتقدون أنهم تراب ورماد .

● ولبحث الموضوع لاهوتياً وكتابياً نقول إن هناك نوعين من السجود : سجود عبادة وسجود احترام .

● وسجود العبادة هو لله وحده . وعن سجود العبادة قال الكتاب عن الأصنام : «لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (تث ٥ : ٩) وقال أيضاً : «للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد» (مت

٤ : ١٠) وفى كلا النصين يقترن السجود بالعبادة والآيات كثيرة . ولا خلاف فى أن سجود العبادة هو لله وحده .

● أما سجود الاحترام ، فأمثلته كثيرة فى الكتاب . وقد صدر من قديسين يعتبرون أمثلة عليا فى الإيمان : سجدوا لغيرهم ، أو قبلوا السجود .

❖ قديسون سجدوا لبشر :

● أبونا إبراهيم مثلاً ، أبو الآباء والأنبياء : لما اشترى من بنى حث أرضاً لمقبرة ، ليدفن زوجته سارة ، يقول الكتاب : «فقام إبراهيم ، وسجد لشعب الأرض لبنى حث» و «سجد إبراهيم أمام شعب الأرض» . (تك ٢٣ : ٧ ، ١٢)

● وأبونا يعقوب أبو الآباء «سجد إلى الأرض سبع مرات ، حتى اقترب إلى أخيه عيسو» وكذلك سجدت زوجتاه وجاريتاه وأولادهن لعيسو (تك ٣٣) .

● وموسى النبى خرج لاستقبال حميه يثرون ، وسجد وقبّله (خر ١٨ : ٧) .

● وداود النبى سجد أمام شاول الملك لأنه مسيح الرب وقال له : «يا سيدى الملك» . (١ صم ٢٤ : ٨)

إن سجود آبائنا إبراهيم ويعقوب وداود وموسى ، أمام بشر ، كان مجرد احترام وتوقير . ومن المحال أن نتهم إيمان هؤلاء الأنبياء العظام الذين شهد لهم الرب بنفسه .

❖ قديسون سجدوا للملائكة :

● وهناك قديسون سجدوا أيضاً لملائكة :

فإبراهيم أبو الآباء رأى ثلاثة رجال ، فركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض (تك ١٨ : ٢) وكانوا الرب وملاكين .

● ولما «جاء الملاكان إلى سدوم مساء ، وكان لوط جالساً فى باب سدوم . لما رآهما لوط ، قام لاستقبالهما ، وسجد بوجهه إلى الأرض» . (تك ١٩ : ١) ولم يعترض الملاكان إطلاقاً على سجود لوط لهما . إنه سجود احترام . ولو كان سجود عبادة لمنعاه حتماً .

● وبلعام لما أبصر ملاك الرب واقفاً «خر ساجداً على وجهه» ، لم نسمع أن الملاك منعه من السجود أو وبخه على ذلك ، بل وبخه على أنه ضرب أتانه» (عد ٢٢ : ٣١ ، ٣٢) .

● إن الملاك الذى سجد له يوحنا ، امتنع تواضعاً (رؤ ١٩ : ١٠) .

ومن المحال أن تظن أن هذا الرسول العظيم الذى كان من أعمدة الكنيسة ، قد خرج عن الإيمان بسجوده للملاك ! ولكن يوحنا عاد وحاول أن يسجد للملاك مرة ثانية (رؤ ٢٢ : ٨).

✤ أنبياء تقبلوا السجود :

● ورجال الله القديسون : كما سجدوا لغيرهم ، فإنهم أيضاً تقبلوا من غيرهم السجود ، ولم يمتنعوا ، ولم يعتبروا هذا الأمر عبادة :

- **داود النبى العظيم** : سجدت له إبيجايل (١ صم ٢٥ : ٢٣) ، وسجد له الرجل العماليقى (٢ صم ١ : ٢) ، وسجد له مفيبوشت بن ناثان (٢ صم ٩ : ٦ ، ٨) ، وسجدت له المرأة التقوعية (٢ صم ١٤ : ٤) ، وسجد له صيبا غلام مفيبوشت (٢ صم ١٦ : ٤) ، وسجد له شمعى بن جيرا (٢ صم ١٩ : ١٨) ، وسجدت له زوجته بثشبع (١ مل ١ : ١٦ ، ٣١) .

سجد له كل هؤلاء احتراماً ، كمسيح للرب . وقبل داود منهم هذا السجود ، ولم يعتبره عبادة .

●بل سجد له ناثان النبى ، فقد قيل عن ناثان النبى إنه : «دخل إلى أمام الملك (داود) . وسجد للملك على وجهه إلى الأرض» (١ مل ١ : ٢٣) . وهنا نرى نبياً يسجد أمام نبى آخر هو ملك ومسيح للرب .

فهل أخطأ هذان النبيان ؟ أم أنه سجود احترام ؟

● وأرونه اليبوسى سجد لداود «فخرج أرونه ، وسجد للملك على وجهه إلى الأرض» (٢ صم ٢٤ : ٢٠) .

● **ودانيال النبى** قبل السجود من نبوخذ نصر الملك (دا ٢ : ٤٦) .

● **وإيليا النبى** قبل السجود من رئيس الخمسين الثالث : «فصعد رئيس الخمسين الثالث ، وجاء وجثا على ركبتيه أمام إيليا . وتضرع إليه وقال له : يا رجل الله ، لتكرم نفسى وأنفس عبيدك هؤلاء الخمسين فى عينيك» . (٢ مل ١ : ١٣)

● **واليشع النبى** قبل السجود من المرأة الشونمية : وذلك بعد إقامته ابنها من الموت : «فأتت وسقطت على رجليه ، وسجدت إلى الأرض . ثم حملت ابنها وخرجت» . (٢ مل ٤ : ٣٧)

● ومن أمثلة سجود الاحترام ، سجود **الملك سليمان** لأمه بثشبع : «دخلت بثشبع إلى الملك سليمان ، لتكلمه عن أدونيا . فقام الملك للقائها ، وسجد لها . وجلس على كرسيه ، ووضع كرسياً لأم الملك ، فجلست عن يمينه» . (١ مل ٢ : ١٩)

وسليمان الملك ، وإن كان قد سجد لبثشبع لأنها أمه ، فإنه من الناحية الأخرى اقتبل السجود من أدونيا ، الذى رشحه البعض للملك (١ مل ١ : ٥٣) .

● **ويوسف الصديق** قبل سجود إخوته له : «فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم

إلى الأرض» . (تك ٤٢ : ٦) وسجدوا له مرة أخرى (تك ٤٣ : ٢٦) ومرة ثالثة (تك ٤٤ : ١٤) ومرة رابعة (تك ٥٠ : ١٨) .

ولم يوبخهم على السجود ، ولم يمتنع . كان ذلك شيئاً طبيعياً كعلامة احترام أما لو خرج عن هذا المعنى إلى العبادة ، لرفضه يوسف الصديق بلا شك .

✥ أشخاص سجدوا بأمر من الله :

● سجود إخوة يوسف له ، كان بوحي من الله . وكان مؤيداً برؤى إلهية حكاها يوسف لوالديه وإخوته . فالأمر إذن متفق مع مشيئة الله ، وبتدبير منه .

قال لإخوته عن حلمه : «وإذا حزمتي قامت وانتصبت ، فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي» . (تك ٣٧ : ٧) ، وقال لأبويه : «حلمت حلماً أيضاً . وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي ... فانتهره أبوه وقال له : ما هذا الحلم الذي به حلمت ؟ هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟». (تك ٣٧ : ٩ ، ١٠)

● ومن البركة الإلهية التي نالها يعقوب أبو الآباء ، أن يسجد له إخوته ، وتسجد له شعوب وقبائل . هكذا كانت البركة : «ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك» . (تك ٢٧ : ٢٩)

● ولئلا يظن البعض أن بركة سجود الغير ،أو طاعته وخضوعه ، كانت في العهد القديم فقط ، نأخذ مثلاً واضحاً له في العهد الجديد ، في سفر الرؤيا . وذلك في الرسالة إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا ، حيث قال الرب عن القائلين إنهم يهود ، وهم ليسوا يهوداً بل يكذبون : «أصيرهم يأتون ، ويسجدون أمام رجليك ، ويعرفون أني أنا أحببتك» . (رؤ ٣ : ٩)

ومادام هؤلاء سيسجدون لراعي كنيسة فيلادلفيا ، بأمر إلهي وبمشيئة إلهية ، إذن مثل هذا السجود ليس خطية .

✥ أنواع سجود أخرى :

● وهناك سجود أمام الهياكل والمذابح والأماكن المقدسة .

ـ يقول داود النبي : «أمام الملائكة أرتل لك ، وأسجد قدام هيكلك المقدس» . (مز ١٣٧)

ـ ويقول أيضاً : «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك ، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك» . (مز ٥)

ونحن حينما نسجد أمام الهيكل أو المذبح ، إننا لسنا نعبد الهيكل أو المذبح ؟! حاشا . وإنما هو احترام للمواضع المقدسة . كما قال رئيس جند الرب ليشوع : «اخلع نعلك من رجليك ، لأن

المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس» . (يش ٥ : ١٥)» (١)

ملحوظة هامة :

● هناك أمر هام جداً فى هذا الموضوع ، وهو أن الأسقف أو البطريرك الذى يسجد له الناس ، هو أيضاً يسجد لهم . وذلك قبل بداية القداس قائلاً للشعب : «أخطأت سامحونى» .
وكذلك يفعل الأب الكاهن أيضاً .

٥ـ هل التبخير أمام الآباء الأساقفة هو نوع من العبادة ؟

الـــرد :

● ليس التبخير أمام الآباء الأساقفة هو نوع من العبادة ، فالعبادة لا تقدم إلا لله وحده . والإنسان الأرثوذكسى العادى يعرف هذا جيداً ، فما بالك برجال الإكليروس الذين يمارسون هذا الأمر :

نذكر هنا طقس التبخير للأب البطريرك أو الأسقف بشىء من الإيضاح :

● بعد أن يبخر الكاهن أمام المذبح ويدور حوله ثلاث مرات ، يبخر أمام الهيكل فى الجهات الأربعة ، ثم أمام الإنجيل ، ثم أمام رفات القديسين . ثم يعطى الكاهن ثلاث أياد بخور للأب البطريرك أو الأسقف إذا كان حاضراً ، وهو يقول : «الرب يحفظ حياة وقيام أبينا المكرم رئيس الكهنة أبينا ... حفظاً أحفظه لنا سنين عديدة وأزمنة سالمة . ويخضع جميع أعدائه تحت قدميه سريعاً» ...

ثم يُقبِّل الصليب الذى فى يد البطريرك أو الأسقف ، وهو يقول : «اطلب من المسيح عنا ليغفر لنا خطايانا» .

ويمكن إيجاز المعانى من وراء التبخير للأسقف فى النقاط الآتية :

١ ـ تقديم الخضوع والاحترام والتوقير لرئيس الكهنة غير المنظور ، والذى يمثله رئيس الكهنة المنظور الموجود فى المكان .

٢ ـ دعاء وطلب من أجل الأب البطريرك أو الأسقف أن يحفظ الرب حياته ويعطيه (وبالتالى يعطى الكنيسة) سنين هادئة سالمة . ويخضع جميع أعدائه (الذين هم أعداء الكنيسة أيضاً) تحت قدميه سريعاً .

٣ ـ طلب الكاهن لشركة الأب الأسقف معه فى الصلاة ، من أجل أن يغفر الرب للجميع خطاياهم .

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ١٥٨ .

إذن فهذا الطقس يعنى طلب المعونة للأب البطريرك أو الأسقف إحساساً بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقه كراع للشعب . ثم أيضاً هو طلب شركة الأب البطريرك أو الأسقف فى الصلوات التى يرفعها الكاهن عن الشعب أمام الله . أى هى شركة صلاة لكل المؤمنين معاً .

● ويتضح هذا أيضاً من طقس إعطاء البخور لباقى الكهنة . إذ يعطى الكاهن البخور لزملائه الكهنة :

فللقمص يدان وهو يقول : فى اليد الأولى : «أسألك يا أبى القمص أذكرنى فى صلواتك» .

وفى اليد الثانية : «لكى المسيح إلهنا يغفر لى خطاياى» .

وللقس يد واحدة : وهو يقول : «أسألك يا أبى القس أذكرنى فى صلاتك» .

فيجاوبه كل من القمص والقس قائلاً : «الرب يحفظ كهنوتك مثل ملكى صادق وهرون وزكريا وسمعان كهنة الله العلى» .

وإذا كان الكاهن هو الخديم (أى الذى يقدم الذبيحة) فيجاوبه زميله قائلاً : «الرب يقبل ذبيحتك مثل ملكى صادق وهرون وزكريا وسمعان كهنة الله العلى» .

إذن فهى شركة الصلاة معاً : «أسألك يا أبى أذكرنى فى صلاتك .. الرب يحفظ كهنوتك ... الرب يقبل ذبيحتك ...» .

وبنفس المنطق والفكر هى شركة صلاة مع الأب الأسقف : «حفظاً احفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سالمة ... اطلب من المسيح عنا ليغفر خطايانا» .

إذن التبخير أمام الأسقف هو إكرام لرئيس الكهنة غير المنظور من جهة ، وللدعاء للأسقف المنظور والطلب من أجل رسالته من جهة ثانية ، كما أنه طلب لشركة صلاته من جهة ثالثة .

٦ـ ما معنى توجيه الألحان والصلوات لرجال الإكليروس فى صلوات الكنيسة ؟

الـرد :

● توجيه الألحان لرجال الإكليروس هو :

١ ـ لتوجيه كلمات الشكر والمديح للسيد المسيح نفسه على اعتبار أن الأسقف وكيل للمسيح ، فأى كلمات مديح توجه لرجال الإكليروس توجه أصلاً للمسيح ، لأن أى كلمات توجه للوكيل فهى موجهة للموكل نفسه ... وأى صلوات توجه للبطريرك الرئيس المنظور للكنيسة فهى موجهة أيضاً للسيد المسيح الرئيس غير المنظور للكنيسة .

٢ ـ وهو أيضاً نوع من الإكرام والتقدير للرؤساء الدينيين ، وهذا منهج كتابى آبائى ويتضح هذا من الأمور السابق ذكرها فى فصل الشفاعة ، وهى أن :

أ ـ الله يقدر قديسيه .

ب ـ الله يطالب شعبه بإكرام قديسيه وأنبيائه ومسحائه .

جـ ـ الشعب يستجيب ويعلن ولاءه ومحبته وخضوعه لرؤسائه ، وتقديره للخدمة الباذلة والرعاية الساهرة التى يقدمها الرعاة من أجله .

٣ ـ وهو أيضاً نوع من الصلاة من أجل رجال الإكليروس ، إحساساً بمدى المسئولية الملقاة على أكتافهم ، فنحن نطلب من الله أن يعينهم ويساعدهم ويجعلهم متكملين بالفضائل الروحية الجميلة (لحن الاثنى عشر فضيلة) .

٤ ـ وهو أيضاً نوع من طلب الصلاة منهم لأجلنا ، وهذا أيضاً مبدأ كتابى .

٧ـ هل لرجال الكهنوت بركة ؟

● إذ نقول فى لحن نى صافيف تيرو : «بركة بطريركنا الأب المكرم رئيس الكهنة أبينا ... حبيب المسيح تحل على هذا الشعب كله آمين» .

الرد :

ـ يجيب على هذا السؤال أيضاً **قداسة البابا شنوده الثالث** (آدام الله حياته) فيقول :

[● لا جدال أن الله هو مصدر كل بركة ، وهو الذى بارك آدم وحواء (تك ١ : ٢٨) ، وبارك نوحاً وبنيه (تك ٩ : ١) ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه (تك ٢ : ٣) ، والله هو الذى بارك أبانا إبرام (تك ١٢ : ٢ ، ٣) ، وبارك أيوب الصديق فى آخرته (أى ٤٢ : ١٢) ، كما أمر الله أن تتلى بركاته على جبل جرزيم أمام كل الشعب (تث ٢٧ : ١٢) ، ووردت قائمة هذه البركات فى سفر التثنية . وفى العهد الجديد نرى السيد المسيح يبارك تلاميذه (لو ٢٤ : ٥٠) . ونراه أيضاً يبارك الأطفال (مر ١٠ : ١٦) . ويبارك الخبز فى سر الإفخارستيا (مت ٢٦ : ٢٦) .

ولكن بركة الله لا تمنع مطلقاً بركة البشر للبشر .. وسنذكر أمثلة عديدة جداً فى هذا المقال :

✥ بركة الآباء البطاركة :

● لقد بارك أبونا نوح بن سام (تك ٩ : ٢٦) . وكما قال هكذا كان فقد جاء السيد المسيح من نسل سام .

● وأبونا إسحق بارك يعقوب ، ثم أعطى بركة لعيسو . وكلام أبينا إسحق كان كأنه صادر من فم الله نفسه ، وتم كما قال . وأتى السيد المسيح من نسل يعقوب ، حسبما باركه أبوه إسحق قائلاً : «الله القدير يباركك .. ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك» . (تك ٢٨ : ٣)

لقد كانت بركة إسحق ليعقوب مطابقة لقول الرب لرفقة وهى حبلى : «فى بطنك أمتان . ومن أحشائك يفترق شعبان .. وكبير يستعبد لصغير» . (تك ٢٥ : ٢٣)

● وبالمثل «بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابنى يوسف» . (عب ١١ : ٢١) «وبفطنة وضع يديه» . (تك ٤٨ : ١٤) اليمنى على رأس إفرايم الصغير واليسرى على رأس منسى البكر . ولم يغير الوضع حينما ساء ذلك فى عينى يوسف أبيهما ، أن تكون اليد اليسرى على البكر . وكما فعل يعقوب هكذا كان إذ «قدم إفرايم على منسى وباركهما فى ذلك اليوم» . (تك ٤٨ : ٢٠)

● والآباء لم يباركوا فقط ، إنما أيضاً كانوا بركة :

- وهكذا قال الله لأبينا إبراهيم ، ليس فقط : «أباركك وأعظم اسمك» ، وإنما أيضاً : «تكون بركة» . (تك ١٢ : ٢) هكذا كان أبونا إبراهيم بركة للعالم كله .
- كما كان إيليا النبى بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا (١ مل ١٧) .
- وكان إليشع النبى بركة فى بيت المرأة الشونمية (٢ مل ٤) .
- وكان يوسف الصديق بركة فى بيت فوطيفار . ويقول الكتاب هنا عبارة جميلة ودقيقة وهى إن : «الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف» . (تك ٣٩ : ٥) ويكمل الوحى قوله عن بركة يوسف فى بيت فوطيفار : «وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل . فترك كل ما كان له فى يد يوسف» . (تك ٣٩ : ٥ ، ٦)
- عبارة : «تكونون بركة» قالها الرب أيضاً لبيت يهوذا (زك ٨ : ١٣) .

● إن الذى يرفض البركة من رجال الله هو الخاسر .

✣ بركة الكهنوت :

● نذكر مثالاً هو بركة موسى وهرون الكاهنين (مز ٩٩ : ٦) .

- يقول الكتاب : «فنظر موسى جميع العمل ، وإذا هم قد صنعوه كما أمر الرب فباركهم موسى» . (خر ٣٩ : ٤٣)

● وكان هرون وبنوه يباركون الشعب بأمر إلهى . يقول الكتاب : «وكلم الرب موسى قائلاً : كلم هرون وبنيه قائلاً هكذا تباركون بنى إسرائيل قائلين لهم : يباركك الرب ويحرسك . يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك .. فيجعلون اسمى على بنى إسرائيل ، وأنا أباركهم» . (عد ٦ : ٢٢ - ٢٧)

● إذن بركة الكهنة هى استمداد لبركة الله على الشعب . يباركون الشعب قائلين له : «يباركك

الرب» . بركة الكهنة إذن هى صلوات إلى الله لأجل الشعب . وهم قنوات من خلالها يوصل الله بركته للشعب . أو هم وكلاء الله يوصلون بركته للناس. الله هو الذى اختار القنوات بنفسه . وهو الذى أمرهم بمباركة الشعب ، ووضع على ألسنتهم البركة التى يقولونها . وأمرهم أن يوصلوا هذه البركة قائلين للشعب : «يباركك الله» . وتكون هذه البركة من الله ، من فم الكاهن . تماماً ككلمة الحل والمغفرة ، مع تنوع التفاصيل .

● **هل نحتج ونقول :** كيف يباركون الشعب وهم بشر ؟! الله هو الذى أمرهم بهذا .. أم هل نحتج ونقول : إذن ليسوا هم الذين يباركون وإنما الله . ليكن . ولكن الله شاء أن تكون بركته عن طريقهم . وهو - تبارك اسمه - الذى استخدم هذا التعبير : «هكذا تباركون (الشعب) .. وأنا أباركهم» . (عد ٦ : ٢٢)

● ونفس المعنى نراه فى مباركة ملكى صادق الكاهن لأبينا إبراهيم (تك ١٤ : ١٨ ، ١٩) . ومعلمنا القديس بولس الرسول يتأمل هذا الحادث التاريخى فى عمق ، ويستخرج منه عقيدة عن أفضلية الكهنوت الذى بطقس ملكى صادق على الكهنوت الهرونى فيقول : «لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم ، كاهن الله العلى ، الذى استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه .. وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر» . (عب ٧ : ١ ، ٧)

ورجال الكهنوت لا يباركون الأشخاص فقط ، وإنما السرائر المقدسة أيضاً ، وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول : «كأس البركة التى نباركها ، أليست هى شركة دم المسيح» . (١ كو ١٠ : ١٦)

✤ بركة الأنبياء والأبرار :

● خرج شاول الملك لكى يباركه صموئيل النبى (١ صم ١٣ : ١٠) .

ونقرأ أيضاً عن مباركة داود النبى لهدورام (١ أى ١٨ : ١٠) .

وقد ذكر لنا الكتاب أن سليمان الملك بارك الشعب (١ مل ٨ : ١٤ و ٢ أى ٦ : ٣) طبعاً بصفته مسيحاً للرب .

ونقرأ عن أن يا هو «صادف يهوناداب بن ركاب يلاقيه ، فباركه» . (٢ مل ١٠ : ١٥)

● ولعل من الأمثلة الواضحة للبركة : مباركة سمعان الشيخ للسيدة العذراء ويوسف النجار (لو ٢ : ٣٤) .

● ومن نصوص الكتاب الواضحة عن بركات البشر للبشر : «ببركة المستقيمين تعلو المدينة» . (أم ١١ : ١١) ، «الرجل الأمين كثير البركات» . (أم ٢٨ : ٢٠)

✤ **بركات أخرى :**

● نذكر في المقدمة بركة الوالدين : سواء قالوا البركة بألسنتهم ، ونال الابن بركة إكرامهم . وفي ذلك يقول **بولس الرسول** : «أكرم أباك وأمك ، التي هي أول وصية بوعد» . (أف ٦ : ٢) . ولعل المقصود هو البركة التي ذكرت في الوصايا العشر «أكرم أباك وأمك ، لكي تطول أيامك على الأرض» . (خر ٢٠ : ١٢)

● هناك بركة أخرى هي بركة خدمة الفقراء والمساكين : ولعل من أمثلتها قول **أيوب الصديق** في حديثه عن خدمته للمساكين : «بركة الهالك حلت عليَّ» (أي ٢٩ : ١٣) أي أن الشخص الذي كان يهلك ، أو كان في حكم الهالك وأنقذته ، هذا بركته حلت عليَّ .

● وهناك بركة ، سواء كلمة دعاء من الفقير أو طالب المعونة ، تكون بركة للإنسان ، أو مجرد بركة الخدمة ذاتها ولو في الخفاء .

● بركة دعاء من أي أحد . كقول الرسول : «باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا» . (رو ١٢ : ١٤) ولعله قد أخذ هذا من قول الرب في العظة على الجبل : «أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم» . (مت ٥ : ٤٤)

وفي هذا المعنى يقول **القديس بطرس الرسول** : «غير مجازين عن شر بشر ، أو عن شتيمة بشتيمة ، بل بالعكس مباركين» . (١ بط ٣ : ٩)

● فإن كان الإنسان يمكن أن يتلقى كلمة بركة من أي إنسان ، حتى ممن قد أساء هو إليه ، فكم بالأولى كلمة البركة من الكاهن الذي استؤمن من الله على منح البركة .

إذن عبارة : «كيف نأخذ بركة من إنسان» لا تتفق مع الحق الإنجيلي . ومن ناحية أخرى ، فإن مباركة الكهنة للشعب عبارة عن وصية أمر بها الرب . وإن لم ينفذوها يكونون مقصرين ومخطئين] . (١)

٨- لماذا تخاطب الكنيسة الآباء الكهنة بكلمة « أبونا » ؟

رغم قول السيد المسيح : «لأن أباكم واحد الذي في السموات» . (مت ٢٣ : ٩)

الرد :

يجيب على هذا السؤال أيضاً **قداسة البابا شنوده الثالث** (آدام الله حياته) فيقول :

[○ «لا تدعوا لكم أباً» . هذه العبارة للرسل ولخلفائهم ، الذين ليس لهم آباء على الأرض . أما باقي الشعب ، فلهم آباء روحيون ، كما سنرى .

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ١٤٨ - ١٥٢ .

شهادات من العهد القديم :

• الأبوة الروحية موجودة منذ العهد القديم ، إذ قيل عن إبراهيم إنه أب لجميعنا . (رؤ ٤ : ١١) ليس فقط للذين هم من الناموس ، ومن نسل إبراهيم ، إنما أيضاً لكل الذين هم من إيمان إبراهيم ، كما هو مكتوب إنى قد جعلتك أباً لأمم كثيرة (رو ٣ : ١١ ، ١٢) .

وعن هذه الأبوة الروحية التى لإبراهيم يقول الرسول أيضاً : «كما آمن إبراهيم فحسب له براً ، اعلموا إذن أن الذين هم من الإيمان ، أولئك هم بنو إبراهيم» . (غل ٣ : ٦ ، ٧)

• مثال آخر هو قول إليشع لإيليا البتول عند صعوده : «يا أبى يا أبى ، يا مركبة إسرائيل وفرسانها» . (٢ مل ٢ : ١٢) إنها أبوة روحية ، لأن إليشع كان تلميذاً لإيليا .

• ونفس الوضع نقوله عن يوآش الملك ، الذى لما مرض إليشع مرض الموت ، نزل إليه يوآش، وبكى على وجهه وقال : «يا أبى يا أبى ، يا مركبة إسرائيل وفرسانها» . (٢ مل ١٣ : ١٤) فهل كان إليشع النبى مخطئاً حينما دعا إيليا أباً له ، وحينما قبل أن يدعى أباً من يوآش ؟ وهل كان لا يدرك أبوة الله الذى فى السموات ؟!

• وهل أخطأ داود النبى حينما دعا شاول مسيح الرب أباً ؟! وقال له : «انظر يا أبى انظر ، طرف جبتك فى يدى» . (١ صم ٢٤ : ١١) قال له هذا بحكم المركز والسن ، ولكونه مسيح الرب . فكم بالأولى الكهنوت .

• وهل أخطأ أيوب الصديق حينما قال : «أب أنا للفقراء» . (أى ٢٩ : ١٦) .

وبالمثل هل أخطأ يوسف الصديق حينما قال : «إن الله جعلنى أبا لفرعون وسيداً لكل بيته» . (تك ٤٥ : ٨)

شهادات من العهد الجديد :

• إن الأبوة الروحية يذكرها العهد الجديد فى مواضع كثيرة : وقد تحدث بولس الرسول عن أبوة أبينا إبراهيم فى العهدين القديم والجديد (غل ٣ : ٦ ، ٧) .

وكذلك الرسل فى العهد الجديد دُعوا آباء . إن بولس يدعو كلاً من تيموثاوس وتيطس وإنسيموس أبناء.. فيقول : «تيموثاوس الابن الصريح فى الإيمان» . (١ تى ١ : ٢) . ويقول : «تيموثاوس الابن الحبيب» . (٢ تى ١ ، ٢) ويقول عن تيطس : «الابن الصريح حسب الإيمان» . (تى ١ : ٤) ويرسل إلى فليمون فيقول له : «أطلب إليك لأجل ابنى إنسيموس الذى ولدته فى قيودى» . (فل ١٠) ويقول لتيموثاوس : «فتقو أنت يا ابنى بالنعمة » . (٢ تى ٢ : ١)

والمعروف أن بولس الرسول كان بتولاً ، وليس له أبناء حسب الجسد ، ولكنه كان أباً روحياً لكل هؤلاء .

● وبولس الرسول لم يدع أفراداً فقط أبناء له ، إنما أيضاً دعا شعوباً أولاداً له ، كأب روحى لهم .. فقال لأهل غلاطية : «يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً ، إلى أن يتصور المسيح فيكم» . (غل ٤ : ٩) ، ويقول لأهل كورنثوس : «بل كأولادى الأحباء أنذركم ، لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح ، لكن ليس آباء كثيرون ، لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل . لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب» . (١ كو ٤ : ١٤ ـ ١٧)

وعبارة : «ولدتكم بالإنجيل» تظهر لنا أبوة روحية ، هى أبوة فى الإيمان ، وفى الكرازة والتعليم. فالقديس بولس صار أباً لأهل كورنثوس ، لأنهم آمنوا على يديه ... وكذلك أهل غلاطية ولأنهم تلاميذه .

● ألا يدل هذا التفكير على خطأ فى فهم الكتاب المقدس ؟! ألم يقل لنا الكتاب : «الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى» . (٢ كو ٣ : ٦)

كما يدل هذا التفكير على خطورة تطبيق الآية الواحدة ، دون النظر إلى باقى الآيات . ويدل كذلك أيضاً على الطريقة الخاطئة فى التفسير التى تطبق كل آية على كل أحد ، دون معرفة من هو المقصود بالقول !!!

● والقديس يوحنا أيضاً ـ كالقديس بولس ـ دُعى أباً روحياً .

ـ فيقول : «يا أولادى ، أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا» . (١ تى ٢ : ١)

ـ ويقول : «ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن اسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق» .

(٣ يو ٤)

● وبطرس الرسول يقول عن مرقس إنه ابنه .

ـ فيقول : «تسلم عليكم المختارة التى فى بابل ، ومرقس ابنى» . (١ بط ٥ : ١٣) قال هذا من جهة فارق السن الكبير بينهما ، لأن المعروف هو أن مرقس ابن أرسطوبولس بالجسد .

● فهل أخطأ الرسل الكبار ، إذ دعوا أنفسهم آباء ؟!

هل أخطأ بولس وبطرس ويوحنا ، وارتأوا فوق ما ينبغى لهم ، إذ حسبوا أنفسهم آباء ، وكأنهم قد نافسوا الله فى أبوته ؟! أم أن عبارة : «لا تدعوا لكم أباً» موجهة للرسل وحدهم ، الذين قالوا مرة للمسيح : «ألنا قلت هذا المثل أم قلته للجميع» . (لو ١٢ : ٤١)

● إن وصية المسيح ، لو فهمت على حرفيتها ، لكانت نتيجتها إلغاء الأبوة الجسدية أيضاً ، لأنها

أبوة على الأرض !! لأن السيد المسيح لم يقل هنا أبوة روحية ، ولا أبوة جسدية ، إنما أطلق العبارة مرسلة .

وطبعاً لا يمكن أن يكون قد ألغى الأبوة الجسدية ، وإلا ما كان الرسول يقول : «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب ، لأن هذا حق . أكرم أباك وأمك ، التي هي أول وصية بوعد» . (أف ٦ : ١ ، ٢)

فإن كنا نحترم الأبوة الجسدية ، فكم بالأولى الروحية ؟

● إنما السيد المسيح قال هذه الوصية ، بل هذا الأصحاح كله ، في مجال إلغاء القيادات الدينية القديمة كالكتبة والفريسيين .. فالأصحاح كله تتكرر فيه مرات عديدة : «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون» . (مت ٢٣) وقد بدأ بذكر السيد المسيح لأخطائهم . حتى وصل إلى عبارة إنهم : «يحبون المتكأ الأول في الولائم ... والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي» . (مت ٢٣ : ٦ ، ٧) وبعدها قال مباشرة : «وأما أنتم فلا تدعوا سيدي ... ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ... ولا تدعوا معلمين» .

● إذن هي مهاجمة صريحة لأبوة الكتبة والفريسيين ، وليس للأبوة الروحية التي للعهد الجديد. إن السيد المسيح كان وقتها بصدد إلغاء القيادات الدينية التي كانت مسيطرة على المجتمع وقتذاك ، حتى لا تصبح جماعة المؤمنين خاضعة لأبوتها ولا لسيادتها ولا لتعليمها .. وذلك لينشئ أبوة وسيادة وتعليماً من نوع جديد] . (١)

ويقول أيضاً **نيافة الأنبا بيشوي** مطران دمياط وكفر الشيخ ، في هذا المقام :

[● أما عن قوله : «لا تدعوا لكم أباً على الأرض» فقط خصص الرب الكلام هنا للآباء الرسل الذين هم بمنزلة البطاركة ، والبطاركة هم رؤساء آباء (باتريارشيس) التي تعني (أب لأمة) فكلمة (باتريا) تعني : (أسرة ـ عشيرة ـ شعب ـ أمة) وكلمة (آرشي) بمعنى (رئيس) ، ليس هناك أبوة على الأرض تعلو أبوة البطريرك فهو أب الآباء لذلك قال السيد المسيح للآباء الرسل : «لا تدعوا لكم أباً على الأرض» ولا تنسبوا أنفسكم كأبناء لأحد على الأرض ، لأنكم أنتم الآباء في الكنيسة وكل أبوة بعد ذلك تأتي متدرجة منكم .

● قال السيد المسيح لا تدعوا سيدي ولا تدعوا معلمين ، أي لا تفخروا بالسلطة ولا بالتعليم ، لكن بالنسبة للأبوة لم يقل لهم لا تدعوا آباء ، لأن الأبوة شيء جميل] . (٢)

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت جـ ١ ، ص ٧٦ ـ ٨١ .

(٢) الدكتور سامح حلمي (حالياً القس بيشوى حلمي) : مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى ، ص ١٤٠.

٩ـ لماذا تخاطب الكنيسة الأب البطريرك والأساقفة بكلمة « سيدنا » ؟

رغم قول السيد المسيح : «لا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح» . (مت ٢٣ : ٨)

الـرد :

يجيب على هذا السؤال أيضاً **قداسة البابا شنوده الثالث** (آدام الله حياته) فيقول :

[● قال السيد المسيح هذه العبارة فى مجال نقده لكبرياء الكتبة و الفريسيين ، الذين «يعرضون عصائبهم ، ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى» . (مت ٢٣ : ٥ ـ ٧) ، ثم قال بعد ذلك مباشرة : «وأما أنتم فلا تدعوا سيدى» .

قال لهم هذا ، ليلغى قيادة الكتبة والفريسيين وسيادتهم ، تمهيداً لوضع نظام لقيادات كنيسة جديدة ، لا علاقة لها بهؤلاء السادة محبى الظهور .

● وقال هذه العبارات لرسله القديسين ، وليس لكل الشعب : «لا تدعوا سيدى .. لا تدعوا معلمين . لا تدعوا لكم أبا على الأرض» . (مت ٢٣ : ٨ ـ ١٠) فالرسل وخلفاؤهم من رؤساء الآباء ، ليس لهم على الأرض معلم أو أب أوسيد .. أما باقى الشعب فلهم .

● ونتكلم الآن عن كلمة «سادة» ، فنقول : إن السيادة منحها الله للإنسان منذ البدء ، لأنه خلقه على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦) . وقال لآدم وحواء : «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء ..» . (تك ١ : ٢٨)

● وهذه السلطة ذاتها ، وهذه السيادة ، كما منحها الله لآدم وحواء ، منحها أيضاً لنوح وأولاده ، بعد الفلك (تك ٩ : ٢) .

الإنسان كصورة لله هو سيد ، وكوكيل له على الأرض هو سيد . وسيادة الإنسان لا تتعارض مع سيادة الله إطلاقاً ، ولا تنافسها . إنها منحة من الله ، وليس منافسة له ، وتمارس باتضاع .

● وأمامنا مثال هو يوسف الصديق ، منحه الله ألقاب السلطة والسيادة والأبوة دفعة واحدة ، وسلك فى ذلك باتضاع . يقول **يوسف الصديق** إن الله : «جعلنى أبا لفرعون ، سيداً لكل بيته ، ومتسلطاً على كل أرض مصر» . (تك ٤٥ : ٨)

● وما أكثر الأمثلة فى الكتاب المقدس ، التى منح فيها الله بعض أولاده أن يكونوا سادة بغير كبرياء ..

● هل تعجبون من أن الله جعل يوسف أباً لفرعون ، وسيداً لكل بيته ؟! هوذا ما هو أكبر من هذا ، أعنى قول الرب لموسى : «أنا جعلتك إلهاً لفرعون» . (خر ٧ : ١) وقوله أيضاً لموسى

عن هرون : «هو يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً» . (خر ٤ : ١٦)
طبعاً كلمة «إلهاً» هنا لا تعنى اللاهوت الذى هو طبيعة الله وحده ـ تبارك اسمه ـ إنما تعنى السيادة ، بأسلوب فيه لون واضح من التمجيد ..
● نأخذ مثالاً للسيادة فى البركة التى أخذها يعقوب أبى الآباء ، حيث قال له فيها : «ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل . كن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك» .
(تك ٢٧ : ٢٩)
ونلاحظ أن السيادة التى منحها الله ليعقوب على إخوته ، لم يستخدمها فى كبرياء ، ولا هى أفقدته اتضاعه . بل أنه ـ وهو السيد ـ سجد إلى أخيه سبع مرات إلى الأرض (تك ٣٣ : ٣) .
● السيادة إذن فى الكهنوت ، لا تمنع الاتضاع . وهى نابعة من أن الأسقف هو وكيل لله (تى ١ : ٧) فكل احترام مقدم له ، إنما هو مقدم لمركزه هذا ووضعه ، أليس هو الشخص الذى بوضع يده ينال الروح القدس ؟
و السيادة هنا ما هى إلا طاقة للتنظيم فى الكنيسة ، وليست مطلقاً للتسلط ، كما كان يحدث مع الكتبة والفريسيين] . [1]
ويقول **نيافة الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ وسكرتير المجمع المقدس ، فى هذا المجال:
[● لنقرأ معاً هذه الفقرة من إنجيل معلمنا متى : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس : فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس : سيدى سيدى ! وأما أنتم فلا تدعوا سيدى ، لأن معلمكم واحد المسيح ، وأنتم جميعاً إخوة . ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد المسيح . وأكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » . (مت ٢٣ : ١ ـ ١٢)
● جزء من كلام السيد المسيح هنا موجه للجموع : «فكل ما أقوله لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا» . وجزء آخر مخصص للآباء الرسل.كما هو واضح من المكتوب : «خاطب يسوع

---

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ١٥٥ ـ ١٥٧.

الجموع وتلاميذه» لذلك قال للتلاميذ (أى الرسل) : «فلا تدعوا سيدى ... ولا تدعو معلمين» فمعنى ذلك أنه ينهاهم عن أن يطالبوا الناس بأن يدعوهم سيدى . لأنه يقول إن الكتبة والفريسيين «يحبون .. التحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى» لذلك يقول لهم : «وأكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» فهنا يحارب السيد المسيح الكبرياء . فعبارة : «فلا تدعوا سيدى» أى لا تطالبوا الناس أن يدعوكم «سيدنا» فالاحترام ينبع من الآخر ولا يُفرض عليه .. وهكذا فى عبارة : «لا تدعوا معلمين» فلا تلزموا أحداً أن يدعوكم هكذا] . (١)

١٠ - هل يغار الله من أولاده ؟

الرد :

● الذين ينكرون الكهنوت ، يغارون لله غيرة خاطئة ..! ويظنون أننا نأخذ مجد الله ، ونعطيه للكهنوت ! ويحتجون بقول الله : «مجدى لا أعطيه لآخر» . (إش ٤٢ : ٨) كما لو كنا نحن نمنح الكهنوت صفات أو ألقاباً ليست له ! أو نمنحه سلطاناً واختصاصات ليست له ، أو نقابله باحترام وتوقير يليق بالله وحده ، ولا يجوز منحه للبشر !

١ - بعض ألقاب المسيح منحها لتلاميذه وللمؤمنين :

● يحتجون ويقولون : «كيف تؤخذ ألقاب السيد المسيح وتُعطى للبشر» ؟! والأمر الذى أريد أن أقوله هو : إن الكتاب أعطى بعض ألقاب السيد المسيح للناس ، والسيد المسيح نفسه أعطى بعض ألقابه للناس .. السيد المسيح أعطى بعض ألقابه للشعب كله ، لكل جماعة المؤمنين . بينما بعض ألقابه أعطاها لوكلائه من الرسل ولخلفائهم من بعدهم ، حسب المسئولية الملقاة عليهم . وسنضرب أمثلة لهذا كله ، لنرى بماذا يرشدنا التعليم الكتابى :

١ - لقب المسيح باعتباره الراعى :

● قال **السيد المسيح** : «أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» . (يو ١٠ : ١١) وكرر نفس العبارة مرة أخرى : «أنا هو الراعى الصالح» . (يو ١٠ : ١٤)

● إن السيد المسيح الذى قال : «أنا هو الراعى» . قال للقديس بطرس الرسول : «ارع غنمى .. ارع خرافى» . (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) مكرراً لقب الرعاية لبطرس ثلاث مرات ...وبطرس الرسول الذى يقول عن السيد المسيح : «كنتم كخراف ضالة . لكنكم رجعتم الآن إلى راعى

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى ، ص ١٣٩.

نفوسكم وأسقفها» . (١ بط ٢ : ٢٥) ، هو نفسه يقول للرعاة فى نفس الرسالة : «ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً (أو أساقفة) لا عن اضطرار بل باختيار » . (١ بط ٥ : ٤)

● والقديس **بولس الرسول** يقول لأساقفة أفسس : «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ، لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» . (أع ٢٠ : ٢٨)

ها نحن نرى أن لقب الراعى ، أطلق على المسيح وعلى الرسل والأساقفة . ولكنه للمسيح بمعنى ، وللرعاة من البشر بمعنى آخر .

● المسيح هو الراعى بطبيعته . وهم رعاة بتكليف منه ، كمجرد وكلاء الله (تى ١ : ٧) المسيح هو الراعى للكل ، حتى للرعاة أنفسهم . ولذلك هو «راعى الرعاة» . الكاهن يرعى شعبه ، شعب المسيح هو معهم واحد من خرافه .. ولذلك يقول **القديس بطرس** عن السيد المسيح إنه : «رئيس الرعاة» . أما الرعاة فيقول لهم : «صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة ، تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» . (١ بط ٥ : ٣ ، ٤)

● إن لقب الراعى هو لقب لله منذ القديم :

ولذلك يقول فى **سفر حزقيال النبى** : «أنا أرعى غنمى وأربضها ـ يقول السيد الرب ـ وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح» . (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) ، ويقول داود النبى : «الرب راعى ، فلا يعوزنى شىء» . (مز ٢٣ : ١) ومع ذلك نرى الكتاب يقول إن الله : «أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين» . (أف ٤ : ١١)

هو الذى أعطى . فلماذا نغار نحن له ولألقابه ؟!

٢ـ لقب المسيح باعتباره المعلم :

● هكذا كان الكل يلقبونه : «أيها المعلم الصالح» . (مت ١٩ : ١٦)

والسيد المسيح نفسه قال لتلاميذه حينما غسل أرجلهم : «أنتم تدعوننى معلماً وسيداً . وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت ـ وأنا السيد والمعلم ـ قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض» . (يو ١٣ : ١٣ ، ١٤)

فعلى الرغم من أن السيد المسيح هو المعلم ، وعلى الرغم من قوله لرسله ولخلفائهم ـ وليس لكل الشعب ـ «لا تدعوا لكم معلمين ، لأن معلمكم واحد ، المسيح» . (مت ٢٣ : ١٠) . على الرغم من كل هذا : «أعطى البعض أن يكونوا رعاة ومعلمين» . (أف ٤ : ١١)

● نكرر ونقول : اللقب واحد ، ولكن الاستعمال مختلف .

المسيح هو المعلم بمعنى . ووكلاؤه معلمون بمعنى آخر . والآيات الخاصة بهم كمعلمين كثيرة جداً .

المسيح هو المعلم الحقيقى ، هو مصدر كل علم ومعرفة . أما الكاهن فهو معلم من حيث هو ينقل تعليم الله للناس ، لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧) .

هل يغار أحد للمسيح ، من حيث لقبه كمعلم ؟! اطمئنوا : لقب المسيح فى حصن حصين وبكل حرص مصون .

● ولكن رسالته كمعلم ، عهد بها إلى أناس أمناء أكفاء أن يعلموا آخرين (٢ تى ٢ : ٢) .

٣ـ لقب المسيح كابن الله :

● المسيح هو ابن الله . والآيات فى هذا اللقب عديدة جداً . وكمثال لذلك استخدام السيد المسيح هذا اللقب فى حديثه مع المولود أعمى قائلاً له : «أتؤمن بابن الله» . (يو ٩ : ٣٥) فآمن ذلك الأعمى وسجد له (يو ٩ : ٣٨) .

ومع ذلك أعطانا نفس اللقب : أبناء الله ، إذ قيل : «وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» . (يو ١ : ١٢) وقال القديس يوحنا : «انظروا أية محبة أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله» . (١ يو ٣ : ١)

● ولكن نحن أبناء بمعنى . والمسيح ابن الله بمعنى آخر .

نحن أبناء بالإيمان ، بالمحبة ، بالتبنى . أما هو فإنه ابن الله بمعنى أنه من جوهره وله نفس طبيعته ، لذلك دعى «الابن» (يو ٨ : ٣٦) ، ودعى أيضاً «الابن الوحيد» (يو ٣ : ١٦ ، ١٨ و يو ١ : ١٨ و ١ يو ٤ : ٩) .

أخذنا لقب أبناء الله ، دون أن يؤثر هذا على السيد المسيح فى شىء . وهذا اللقب بالذات لقب أبناء الله ، ليس فقط للرسل ولرجال الكهنوت ، بل هو لجميع لناس .

٤ـ لقب السيد المسيح باعتباره النور :

قال : «أنا هو نور العالم» . (يو ٨ : ١٢) وكرر نفس العبارة : «أنا نور العالم» . (يو ٩ : ٥) وقال عن نفسه إنه هو النور(يو ١٢ : ٣٥) . ومع ذلك قال لنا : «أنتم نور العالم .. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذى فى السموات» . (مت ٥ : ١٤ ، ١٦)

فهل تنازل السيد المسيح هنا عن مجده ، وأعطاه للناس ؟! كلا ، بل كما قلنا سابقاً ، نقول أيضاً إنه نور بمعنى ، بينما المؤمنون نور بمعنى آخر .

● هو النور الحقيقى (يو ١ : ٩) أما نحن فبنوره نعاين النور .
هو الذى ينير لكل إنسان (يو ١ : ٩) لذلك يقول المرتل فى المزمور : «الرب نورى وخلاصى ، ممن أخاف» . (مز ٢٧ : ١) . وإنه «نور لا يدنى منه» . (١ تى ٦ : ١٦) وهو «النور العجيب» (١ بط ٢ : ٩) .

● نورنا بالنسبة إلى نور الله ، يشبه نور القمر بالنسبة إلى الشمس . فالشمس نورها حقيقى ، والقمر يستمد نوره منها . إذن هو نور بذاته . أما نحن فننير حينما نستمد نورنا منه . وهو نور ليس فيه ظلمة البتة (١ يو ١ : ٥) أما نحن فكثيراً ما يكتنفنا الظلام بسبب خطايانا . ولذلك فإن يوحنا المعمدان ، مع أنه كان عظيماً أمام الرب (لو ١ : ١٥) إلا أن الكتاب قال عنه : «هذا جاء للشهادة ، ليشهد للنور ، لكى يؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور» . (يو ١ : ٧ ، ٨)

٥ـ لقب أسقف ، ولقب مدبر :

● بنفس الوضع نتكلم عن لقب أسقف ، ولقب مدبر . قيل عن السيد المسيح : «راعى نفوسكم وأسقفها» . (١ بط ٢ : ٢٥) وقيل فى الكهنوت : «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله» . (تى ١ : ٧) . فالمسيح هو الأسقف ، لأنه هو الراعى الحقيقى . أما الأسقف فهو بهذه الصفة ، لأنه وكيل للمسيح الذى هو أسقف نفوسنا .

● وقيل عن المسيح ، فى الحديث عن بيت لحم : «منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل» . (مت ٢ : ٦) بينما قيل عن رجال الكهنوت : «الشيوخ المدبرون حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة» . (١ تى ٥ : ١٧)

● ولكن ما أعظم الفرق بين المسيح كأسقف ومدبر ، وبين رجال الكهنوت .. المسيح هو أسقف الكل ، ومدبر الكل . أما رجال الكهنوت فلهم دائرة محدودة وهم فى رعايتهم وتدبيرهم تحت رعاية المسيح وتدبيره . وتنطبق عليهم ـ كما على الشعب ـ عبارة : «راعى نفوسكم وأسقفها» . (١ بط ٢ : ٢٥) ، والمسيح راع وأسقف من حيث طبيعته . أما هم فرعاة وأساقفة ومدبرون من حيث إنهم وكلاء الله ، استؤمنوا على وكالة (٢ كو ٥) .

٦ـ لقب كاهن :

● بنفس الوضع نتكلم عن لقب كاهن . قيل عن السيد المسيح إنه : «كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق» . (عب ٥ : ٦) وقال بولس الرسول عن نفسه : «حتى أكون خادماً .. مباشراً لإنجيل الله ككاهن» . (رو ١٤ : ١٦)

ولكن بين كهنوت المسيح ، وكهنوت البشر فرقاً جوهرياً .

● المسيح كاهن باعتبار أنه مقدم الذبيحة ، وهو نفسه الذبيحة . أما كهنوت البشر ، فإنهم خدام لهذه الذبيحة عينها ، أما المسيح فهو الذبيحة .

كما أن البشر يستمدون كهنوتهم من كهنوت المسيح ، ولولا أن المسيح ككاهن قدم نفسه ذبيحة ، ما كان الكهنوت المسيحى يستطيع أن يقف على مذبح . والمسيح يعطى الغفران بكهنوته وذبيحته ، أما الكهنة فيمنحون الغفران بسلطان منه ، كوكلاء له على استحقاق دمه .

إذن عمل البشر ككهنة ، لا يتعارض مع عمل المسيح ككاهن ، بل على العكس هو استمرار له .

● بعد أن عرضنا كيف أن ألقاباً كثيرة للمسيح أعطيت لتلاميذه ، دون المساس بمجده ، أقول للذين يغارون لمجد الله أن يعطى لآخر ، ما رأيكم فى قول السيد المسيح عن تلاميذه فى حديثه مع الآب فى (يو ١٧) : «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى» . (يو ١٧ : ٢٢) هل تقفون مبهوتين أمام هذه العبارة ؟! لا مانع أن تقفوا مبهوتين ، وأنا أيضاً معكم أقف مبهوتاً أمام محبة الله لأولاده ولخدامه . ولكن لا نغار لله . فالمسيح لم يعطهم المجد الذى كان له عند الآب قبل كون العالم (يو ١٧ : ٥) . وإنما المجد الذى يمكن أن تحتمله طبيعتهم البشرية ، كخدام . أعطاهم مجد هذه الخدمة ، التى مُسح فيها السيد المسيح كاهناً وملكاً ونبياً .

● سلمهم بعضاً مما قدمه المجوس : ذهبا ولباناً ومراً . فكان لهم المجد فى الذهب ، فى تاج الكهنوت ، فى رئاسة شعبه ... وكان لهم مجد اللبان ، فى عمل الكهنوت وتقديم البخور عن الشعب . وكان لهم مجد المر ، مجد الصليب الذى يحتملونه فى الخدمة . مع الفارق ... إذ كان مجد الذهب واللبان والمر غير محدود بالنسبة إلى السيد المسيح ، بينما هو محدود بالنسبة إلى رجال الكهنوت .

٢ ـ الله يمجد خليقته :

● إن الله يمنح مجداً لخليقته ، حتى الجامدة منها . وفى هذا يقول القديس بولس الرسول : «مجد السمويات شىء ، ومجد الأرضيات شىء آخر . مجد الشمس شىء ، ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر . لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» . (١ كو ١٥ : ٤٠ ، ٤١) ، حتى زنابق الحقل أعطاها الله فى جمالها مجداً لم يكن لسليمان الملك . وفى ذلك قال الرب: «تأملوا زنابق الحقل ... ولا سليمان فى كل مجده ، كان يلبس كواحدة منها ...». (مت ٦ : ٢٨ ، ٢٩)

• بل تأملوا الملابس الكهنوتية التى أمر الله أن تصنع لهرون رئيس الكهنة بالذهب والأسمانجونى .. للمجد و البهاء (خر ٢٨ ، ٤٠) .

أى مجد هذا أعطاه الله لهرون فى ملابسه وفى شفاعته ؟!

• بل انظروا المجد الذى أعطاه لموسى وإيليا على جبل التجلى .

• ومن أمثلة المجد الذى أعطاه الله لخليقته ، المجد الذى أعطاه للملائكة «المقتدرين قوة» . (مز ١٠٣) الذى يقال عن الواحد منهم إنه ملاك نور (٢ كو ١١ : ١٤) ، بكل مواهبهم وجمالهم ونقاوتهم ...

• والمجد كما أعطاه الله للقديسين ، أعطاه كذلك للتائبين . انظروا إلى الخاطئة يهوذا (فى سفر حزقيال) ، هذه التى كانت مطروحة بدمها ، كيف طهرها الله وقال لها : «حممتك بالماء ، وغسلت عنك دماءك ، ومسحتك بالزيت» ليس هذا فقط بل يقول أيضاً : «وألبستك مطرزة ... وحليتك بالحلى ... وتاج جمال على رأسك . فتحليت بالذهب والفضة ، ولباسك الكتان والبز والمطرز وجملت جدا جداً ، فصلحت لمملكة . وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك ، لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك ، يقول السيد الرب» . (حز ١٦ : ٩ - ١٤) أى مجد هذا ، أن يلقى الله بهاءه على البشر ، ليكون جمالهم كاملاً ببهائه ؟!

• ولكن ليس هذا غريباً على الله الذى عندما خلق الإنسان قال : «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه» . (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) هذا هو أول مجد ، إن الإنسان خُلق على صورة الله .

• ومن المجد الذى مجد الله به الإنسان ، صنع العجائب . وهى معجزات عظم الله بها أولاده فى أعين الناس ، وكانت وسيلة لنشر أو تثبيت الإيمان . ونحن نرى فى معجزة شق الأردن أن الله قال ليشوع بن نون قبلها : «اليوم جمع إسرائيل ، لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك» .(يش ٣ : ٧) ، وكذلك سمح الله أن معجزة شق البحر الأحمر لا تكون بيده الإلهية مباشرة ، وإنما بيد موسى ...

على أنى لا أرى فى الكتاب المقدس كله أى آية تدل على تمجيد الله لأولاده بالمعجزات ، أكثر من قول السيد المسيح لتلاميذه : «من يؤمن بى ، فالأعمال التى أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها» . (يو ١٤ : ١٢)

الكتاب المقدس مملوء بالمعجزات ، وهناك سجل بالمواهب ذكره بولس الرسول (١ كو ١٢) ولم يكن ضد مجد الله فى شىء أن يتمتع أولاده بهذه المواهب التى أعطاهم الله إياها ..

● إن المجد لم يطلبه أولاد الله ، بل هو الذى أعطاه لهم . ولو كان الله يرى فى ذلك شيئاً ضده ، ما كان يعطى . ولكن هوذا الرسول يقول : «الذين دعاهم ، فهؤلاء بررهم أيضاً . والذين بررهم مجدهم أيضاً» . (رو ٨ : ٣٠) . ويقول : «إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه» . (رو ٨ : ١٧)

● ومن أروع أنواع المجد ، ذلك المجد العتيد الذى نناله فى القيامة وفى العالم الآخر ، مجد الأبدية . يقول بولس الرسول : «إن آلام الزمان الحاضر ، لا يقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» . (رو ٨ : ١٨) ولعل أولى بشائر هذا المجد الجسد الروحانى الذى سنقوم به «على صورة جسد مجده» . (فى ٣ : ٢١) هذا «الذى دعانا إلى مجده الأبدى» . (١ بط ٥ : ١٠) دعانا إلى ملكوته ومجده (١ تس ٢ : ١٢) .

وعن جسد القيامة يقول بولس الرسول : «يزرع فى هوان ويقام فى مجد . يزرع جسماً حيوانياً ، ويقام جسماً روحانياً ... وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس أيضاً صورة السماوى» . (١ كو ١٥ : ٤٣ ـ ٤٩)

وبطرس الرسول يقول عن نفسه : «شريك المجد العتيد أن يعلن» (١ بط ٥ : ١) ... ويقول للرعاة : «ومتى ظهر رئيس الرعاة ، تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» . (١ بط ٥ : ٤)

٣ ـ الله يعظم خليقته :

● يشهد السيد المسيح لعظمة **يوحنا المعمدان** الكاهن فيقول : «لم يقم بين المولودين من النساء ، أعظم من يوحنا المعمدان» . (مت ١١ : ١١) . بل العجيب فى يوحنا هذا ، أن يقال عنه أثناء البشارة بمولده إنه : «يكون عظيماً أمام الرب» . (لو ١ : ١٥) . يمكن أن يكون عظيماً أمام الناس ، أما عبارة : «عظيماً أمام الرب» فتدل على تواضع كبير من الله ، ومحبته لأولاده تجعلهم عظماء أمامه ، وهم تراب ورماد .

● وهوذا **إبراهيم أبو الآباء** ، يقول له الرب : «أجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك ، تكون بركة» . (تك ١٢ : ٢)

والكتاب يشرح لنا الكثير عن عظمة إبراهيم ، وعن شفاعته فى أهل سادوم (تك ١٨) ، وعن أن لعازر المسكين حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم (لو ١٦ : ٢٢) . كما يحدثنا الكتاب عن نسل إبراهيم ، وقول الرب لهذا القديس : «تتبارك فيك جميع قبائل الأرض» . (تك ١٢ : ٣)

● ولا ننسى العظمة التى وهبها الله **للسيدة العذراء** . هذه الوحيدة التى قال لها الرب :

«الروح القدس يحل عليك . وقوة العلى تظللك . لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله» . (لو ١ : ٣٥) وشعرت القديسة مريم بأن القدير صنع معها عجائب ، لذلك قالت : «هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» . (لو ٤٨ ، ٤٩)

وبلغ من تكريم الله للقديسة العذراء ، أنه بمجرد وصول سلامها إلى أذنى اليصابات ، أن اليصابات امتلأت من الروح القدس ، وارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها (لو ١ : ٤١ ، ٤٤) .

● وعظم الرب من شأن **موسى** جداً .. وصنع على يديه معجزات وعجائب عديدة . بل إنه بلغ من المجد الذى أسبغه الرب على موسى أن قال له : «أنا جعلتك إلها لفرعون» . (خر ٧ : ١) ولما تقولت مريم وهارون على موسى ، قال الرب لهما مدافعاً عنه : «إن كان منكم نبى للرب ، فبالرؤيا استعلن له ، فى الحلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه .. وشبه الرب يعاين» . (عد ١٢ : ٦ ـ ٨) وضرب الرب مريم بالبرص عقاباً لها لأنها تكلمت على موسى .

● **وأعطى عظمة ، حتى للعامة أيضاً** .. فقال : «وأما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات» . (مت ٥ : ١٩) وقال عن المتضعين أيضاً إنهم هم : «الأعظم فى ملكوت السموات» . (مت ١٨ : ١ ، ٤) والمرأة الكنعانية ، على الرغم من أنها من شعب لعنه أبونا نوح بعد الطوفان ، إلا أن السيد المسيح وجد فيها شيئاً حسناً ، فقال لها : «عظيم هو إيمانك» . (مت ١٥ : ٢٨)

● **ووصف الله بالعظمة ، حتى الطبيعة والمدن** . فوصف الشمس والقمر بعبارة : «النيرين العظيمين» . (تك ١ : ١٦) وجعل أحدهما لحكم النهار والآخر لحكم الليل . وقال عن نينوى : «المدينة العظيمة» لمجرد أنها كانت مدينة ذات شعب كبير (يون ٤ : ١١) .

● بعد هذا نتكلم عن **العظمة التى منحها الله لرجال الكهنوت** . رأى القديس يوحنا حول العرش الإلهى «أربعة وعشرين كاهناً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب» . (رؤ ٤ : ٤) من هؤلاء الذين يمكنهم الجلوس فى حضرة الله ، وعلى رؤوسهم أكاليل ، بينما الملائكة وقوف قدامه ، الشاروبيم والسارافيم (إش ٦ : ٢) .

ويتابع الرائى حديثه عن هؤلاء الكهنة ، بأن لهم جامات (مباخر) من ذهب ، مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين (رؤ ٥ : ٨) يرفعونها إلى الله ..

ولقب العظمة يلصقه الله برئيس الكهنة ، فيقول عنه «الكاهن العظيم» . (زك ٣ : ١) ، وأحياناً يقول عنه : «الكاهن الأعظم» . (لا ٢١ : ١٠)

إذن لا تغاروا لله ، فألقاب العظمة ، هو الذى يمنحها لأولاده ، دون أن تؤثر هذه على عظمته هو .

● حقا إن العظمة الطبيعية هى لله وحده . ولكنه من تواضعه منح العظمة لأولاده . ولكن بين عظمة الله والناس فروقاً . عظمة الله طبيعية بحكم لاهوته . أما العظمة بالنسبة إلى الإنسان ، فهى إما مكتسبة أو هى منحة من الله . وعلى أية الحالات ، ليست هى منه ، من ذاته ، لأنه تراب ورماد .. عظمة الله هى عظمة شاملة . أما الإنسان فمن زاوية معينة . عظمة الله هى عظمة حقيقية تتصف بالكمال والقدسية والدوام ، بعكس الإنسان فى كل هذه الصفات ..

● إذن لا داعى مطلقاً لأن يغار البعض لله من عظمة يسبغها هو على بعض عبيده ، ويبقون على الرغم من ذلك عبيداً كما هم . فعظمتهم ومجدهم ، كلها أمور نسبية ، فى المقارنة مع إخوتهم . أما أمام الله فهم خدامه . وكل إكرام منه لهم يزيدهم تواضعاً قدامه ..

● وأخيراً نقول لكل من يغار لله من الكهنوت :

- الله يريد أن يعطى غيرك . فلماذا تتذمر على عطاياه ؟!

- الله يمجد أولاده . فماذا يضايقك أنت من هذا ؟!

- الله لا يحسب هذا انتقاصاً لمجده . فما سبب الغيرة ؟! أتريد أن تكون ملكياً أكثر من الملك نفسه ؟! أتود أن تحسب عطايا الله ومواهبه ضد مجده ؟! (١)

١١- ما هو رأى الكنيسة الأرثوذكسية فى كهنوت المرأة

الــرد :

لقد سمحت الكنيسة الإنجليكانية - للأسف - للمرأة بممارسة الكهنوت ليس فقط فى درجة القسيسية ، بل فى درجة الأسقفية أيضاً ... وهذا هو العجب العجاب .

- والإجابة عن هذا السؤال ستكون من خلال الرسالة التى أعدها **قداسة البابا شنوده الثالث** عن رأى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى موضوع منح الكهنوت للنساء ، وقدمها نيافة الأنبا بيشوى إلى مؤتمر لامبث للأساقفة الإنجليكان فى إنجلترا سنة ١٩٨٨ ، والتى جاء فيها :

١- عدم قيام المرأة بالتعليم فى الكنيسة :

● وفى ذلك يقول **القديس بولس الرسول** : « لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع . ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت . لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء . وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى . ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » . (١ تى ٢ : ١١ - ١٤)

(١) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، جـ ١ ، ص ١٢٤ - ١٣٩ .

● ونلاحظ أن تعليم القديس بولس الرسول فى هذا المجال قد قدم تبريراً لهذا المنع لا علاقة له بالظروف الاجتماعية السائدة فى ذلك الزمان ، ولا بالظروف الخاصة للكنيسة التى كان يرعاها تلميذه تيموثاوس ، بل استند إلى أمور تخص الرجل والمرأة منذ بداية الخليقة وحتى قبل خروج آدم وحواء من الفردوس بسبب الخطية .

● فإذا علمنا أن المرأة لا ينبغى أن تعلّم فى الكنيسة فمن باب أولى لا يجوز منحها درجة من درجات الكهنوت حيث إن الكاهن يمارس خدمة الأسرار إلى جوار التعليم وقيادة الكنيسة فى حدود مسئوليته .

٢ـ الرجل هو رأس المرأة حسب تعليم الكتاب المقدس :

● يقول **القديس بولس الرسول** : « أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد . ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شىء » . (أف ٥ : ٢٢ـ٢٣)

● كيف يمكن تطبيق هذا التعليم فى حالة منح الكهنوت للمرأة ؟ كيف تخضع لرجلها فى كل شىء إن كانت هى التى تقوم بعمل القيادة والرعاية والتعليم ؟ المفروض أن الخراف هى التى تخضع لراعيها والتلاميذ لمعلمهم والأفراد لقائدهم والأبناء لآبائهم .

● نحن نقرأ أيضاً : « ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هوالمسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله . لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل » . (١ كو ١١ : ٣ ، ٨ ، ٩)

● لا يستطيع أحد أن ينكر أن عمل الكهنوت هو امتداد لعمل المسيح الخلاصى على الأرض. ولهذا فالكاهن يمثل السيد المسيح فى رسالته الخلاصية . وقيل عن السيد المسيح إنه رئيس كهنة وليس رئيس كاهنات .

● ومن جانب آخر نلاحظ أنه لم يكن بلا ترتيب أن جاء السيد المسيح رجلاً وليس امرأة ، لهذا يقول الكتاب : « يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » (أع ٢ : ٢٢) . كل طفل يولد من الممكن أن يكون ذكراً أو أنثى أما السيد المسيح فقد ولد ذكراً إذ هو رئيس الكهنة الأعظم ، وله الأبوة الروحية والرئاسة على الكنيسة كلها إذ هو رأس الكنيسة . لهذا قيل عنه : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (إش ٩ : ٦ ، ٧) . فالوحى الإلهى هنا يعلن بوضوح أن هناك علاقة

وثيقة بين الأبوة والرئاسة والقيادة والإرشاد .

٣ـ لم يسبق فى التاريخ أو التقليد مثل هذا الكهنوت للمرأة :

● السيد المسيح نفسه اختار رسله من الرجال ولم يختر بينهم امرأة واحدة ولا على سبيل الاستثناء . بل سلم الكنيسة لاثنى عشر رجلاً ، ثم أرسل إرسالية من سبعين رجلاً ، وأوصى بالكنيسة لتلاميذه (مت ٢٨) ، (مر ١٦) وكلهم من الرجال . كذلك الآباء الرسل لم يختاروا امرأة واحدة لتصير كاهنة ، بل أقاموا جميع خلفائهم من الرجال فقط بلا استثناء واحد .

٤ـ العذراء القديسة مريم وعلاقتها بالكهنوت :

● العذراء مريم وهى أقدس إنسانة لم تتولَ أى عمل من أعمال الكهنوت ، ولو كان يحق الكهنوت للمرأة لكانت هى أولى من غيرها فى كل زمان ومكان .

الذين يطالبون بالكهنوت للمرأة عليهم أن يتأملوا عملياً مثال العذراء مريم ، التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة وساهمت فى تنشئته ـ وهو رئيس الكهنة الأعظم ـ لكنها ظلت محتفظة بدورها الطبيعى كأم ولم تطالب بالكهنوت على الإطلاق .

٥ـ الإفخارستيا والكهنوت :

● نلاحظ أن السيد المسيح قد سلم تقديس الإفخارستيا لتلاميذه الرجال الذين كانوا حوله على مائدة الفصح وقال لهم : « اصنعوا هذا لذكرى » . (لو ٢٢ : ١٩)

٦ـ منشأ الكهنوت :

● حين أمر الله موسى أن يأخذ اللاويين الذكور له بدلاً من أبكار بنى إسرائيل ، وجد فرقاً فى العدد مقداره ٢٧٣ ذكراً ... أى أن عدد ذكور اللاويين أقل من المفروض (وهو ٢٢٢٧٣ فرداً) بمقدار ٢٧٣ حينئذ طلب الرب عنهم خمسة شواقل فضة لكل رأس (عد ٣ : ٤٠ ـ ٤٧) . فلو كان من الممكن منح الكهنوت للمرأة لكان الأولى أن يأخذ هذا الفرق من بين الإناث اللاتى ولدن قبل باقى إخوتهن .

٧ـ الكهنوت هو للرجال فقط :

● نلاحظ أن أنواع الكهنوت التى قدمها لنا الكتاب المقدس كلها من الرجال . سواء كهنوت الآباء البطاركة الأول مثل نوح وأيوب وإبراهيم وإسحق ويعقوب ، أو الكهنوت الهارونى ، أو كهنوت ملكى صادق ، أو كهنوت الرسل وخلفائهم من الأساقفة كله كهنوت رجال ، وبهذا يكون كهنوت المرأة هو ابتداع فى الدين .

٨ـ انقسامات فى الكنيسة :

● لاشك أن هذا الابتداع فى الدين سوف يكون سبباً فى حدوث نزاعات تؤثر فى وحدة الكنيسة . سواء وحدة الكنيسة الإنجليكانية داخلياً ، أو فى علاقتها مع الكنائس الأخرى . وهنا نحب أن نقول إننا كنا نتطلع نحو مزيد من التقارب بين كنائسنا لا إلى مزيد من التباعد .

٩ـ نتائج المبالغة فى إعطاء حقوق للمرأة خارج إطار تعليم الكتاب :

● نحن نرى العالم يندفع مسرعاً نحو تعديل ما يختص بالتعليم الكتابى . حتى وصل الأمر بالمدافعين عن حقوق المرأة إلى محاولة فرض الإنوثة على اسم الله نفسه . ومنع كلمة (أبانا) أو (أبوكم السماوى) . وهنا تغيير للكتاب فى مواضيع عديدة يختص بعضها بالأقانيم الإلهية وعلاقتها ببعضها ، مثل علاقة الابن بالآب السماوى ويختص بعضها بالفداء وعمل المسيح الكفارى وأبوته الروحية كرئيس كهنة .

١٠ـ عقبات عملية :

● هناك عقبات عملية بالنسبة للمرأة فى فترات الحمل والولادة والرضاعة الأمور التى تأخذ بسببها بعض النساء الموظفات عطلات طويلة من وظائفهن . وربما يؤدى الانشغال بعمل الكهنوت إلى إهمال وظيفة ربة البيت تماماً بما فى ذلك تربية الأطفال . (١)

١٢ـ هل يُقال للبطريرك رئيس رؤساء الكهنة ويُقال عن السيد المسيح رئيس الكهنة فقط ؟

● ليس هذا هو الحق ، وإنما يُقال للبطريرك رئيس رؤساء الكهنة على اعتبار أنه رئيس الأساقفة ، فإذا كان الأسقف رئيس كهنة فلا غبار فى أن يُقال للأب البطريرك إنه رئيس رؤساء الكهنة على اعتبار أنه رئيس الأساقفة ، والبطريرك هو رئيس رؤساء الكهنة المنظور للكنيسة ، أما السيد المسيح فهو رئيس رؤساء الكهنة غير المنظور .

● ولقد جاء عن رئيس الكهنة المنظور فى الكتاب المقدس فى العهد القديم أنه : «الكاهن العظيم» (زك ٣ : ١) ، وقيل عنه أيضاً إنه : «الكاهن الأعظم» (لا ٢١ : ١٠) بمعنى أنه الأعظم بين الكهنة الأرضيين أى رئيس الكهنة .

● والسيد المسيح يُقال له رئيس الكهنة الأعظم بالصورة المطلقة ، ولهذا نقول له فى **قسمة صوم الآباء الرسل** : «أنت هو كلمة الآب الذى قبل الدهور **رئيس الكهنة الأعظم** الذى تجسد

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى ، ص ٨٠ ، ٨٢.

وتأنس من أجل خلاص جنس البشر ...» .

● والكنيسة إذ ترتب هذه الصلاة فى الاحتفال بالآباء الرسل الذين كانوا فى درجة أساقفة عموميين فإنما لتعلن أنه بالرغم من أن كل واحد منهم هو رئيس كهنة لأنه يرأس كهنة ، إلا أن السيد المسيح هو رئيس الكهنة الأعظم الذى يستمد منه كل هؤلاء عملهم الكهنوتى والرعوى فالسيد المسيح هو راعى نفوسنا الأعظم وأسقفها .

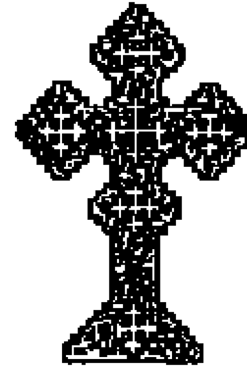
● وفى **صلاة القسمة لسبت الفرح**. نقول للسيد المسيح : «يا يسوع المسيح ذا الاسم المخلص الذى بكثرة رحمته نزل إلى الجحيم وأبطل عز الموت ، أنت هو ملك الدهور غير المائت الأبدى ، كلمة الله الذى على الكل ، راعى الخراف الناطقة ، **رئيس كهنة الخيرات العتيدة** الذى صعد إلى السموات ، وصار فوق السموات ، ودخل داخل الحجاب موضع قدس الأقداس الموضع الذى لا يدخل إليه ذو طبيعة بشرية ، وصار سابقاً عنا صائراً **رئيس كهنة إلى الأبد** على رتبة ملكي صادق ...» .

● وفى **قسمة عيد القيامة** يقول الأب الكاهن أيضاً : «أيها المسيح إلهنا **رئيس كهنة الخيرات العتيدة**،ملك الدهور غير المائت الأبدى ، كلمة الله الذى على الكل ، الذى أنعم علينا بهذا السر العظيم الذى هو جسده المقدس ودمه الكريم لغفران خطايانا ....» .

كل هذه الكلمات والأوصاف والتى تعبر عن السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم لا تقولها الكنيسة لرئيس الكهنة المنظور رغم الاحترام الذى نقدمه له ... فهناك تعبيرات وكلمات خاصة بالسيد المسيح كرئيس كهنة لا تعطيها الكنيسة للأب البطريرك أو الأسقف فلم تقل لأحد منهم فى مناجاة أو لحن :

- رئيس الكهنة الأعظم.
- أو رئيس كهنة الخيرات العتيدة .

لأن مثل هذه الكلمات تقال لأصل الكهنوت ومنشأه وحده ، وهو السيد المسيح ولا تقال لأحد غيره . فاعتراض صاحب السؤال ليس له حق فيه .



الفصـل الخامس

سر الشكر والإفخارستيا

أولاً : التعريف بالسر

ثانياً : رموز الإفخارستيا فى العهد القديم

ثالثاً : الوعد بالسر

رابعاً : تأسيس السر

خامساً : ممارسات الكنيسة الأولى

سادساً : أقوال الآباء الأولين

سابعاً : إيمان الكنيسة الأرثوذكسية

جسد حقيقى ودم حقيقى ليسوع المسيح ابن الله

ثامناً : فاعلية السر

تاسعاً : الرد على أسئلة وإدعاءات

(١) ما معنى الاستحالة ؟ وكيف تتم ؟

(٢) هل سر الشكر هو ذبيحة حقيقية ؟

(٣) ما علاقة ذبيحة الإفخارستيا بذبيحة الصليب ؟

(٤) ما معنى « اصنعوا هذا لذكرى » ؟

(٥) لماذا الخبز والخمر كمادة لذبيحة الإفخارستيا ؟

(٦) هل السجود أمام الخبز والخمر الموضوعين على المذبح هو عبادة وثنية؟

١ - التعريف بالسر

● سر الشكر هو سر مقدس فيه يتناول المؤمن جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين ، تحت أعراض الخبز والخمر .

● أسماء السر : سر الشكر ، العشاء الربانى ، العشاء السرى ، العشاء الإلهى ، مائدة الرب ، مائدة المسيح ، المائدة السرية ، المائدة المقدسة ، الخبز السماوى ، سر الشركة ، سر الأسرار .

● مادة السر : الخبز والخمر .

ثانياً : رموز الإفخارستيا فى العهد القديم

- شجرة الحياة (تك ٢) . - ذبيحة ملكى صادق (تك ١٤ : ١٧ _ ٢٠) .
- خروف الفصح (خر ١٢) . - خبز الوجوه (خر ١٥) .
- المن السماوى (خر ١٦) . - ذبيحة السلامة (لا ٣) .
- جمرة إشعياء النبى (إش ٦ : ٦ ، ٧) .

ثالثاً : الوعد بالسر

● وعد السيد المسيح بهذا السر حين قال : « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .. الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه ... من يأكلنى فهو يحيا بى » . (يو ٦ : ٥١ - ٥٧)

رابعاً : تأسيس السر

● أسس السيد المسيح هذا السر ليلة آلامه وسلمه إلى تلاميذه : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . (مت ٢٦ : ٢٦ - ٢٨)

خامساً : ممارسات الكنيسة الأولى

● ومارست الكنيسة الأولى هذا السر .. ويتضح هذا من الآيات الآتية :

- « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » . (أع ٢ : ٤٢)
- « وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب » . (أع ٢ : ٤٦)
- « وفى أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً » . (أع ٢٠ : ٧)
- يقول **القديس بولس** : « لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد » . (١ كو ١٠ : ١٧)
- ويعطى الرسول بولس تحذيرات كثيرة للمؤمنين فى كورنثوس من أجل التناول باستحقاق .. مما يبرهن على أن السر كان معروفاً وممارساً بينهم . (١ كو ١١)

سادساً : أقوال الآباء الأولين

- « فى يوم الرب المخصص اجتمعوا معاً لتكسروا الخبز وتقدموا تشكرات ، ولكن أولاً اعترفوا بخطاياكم حتى تكون ذبيحتكم طاهرة ، ولكن لا ينبغى أن يشترك فى اجتماعكم هذا من كان متخاصماً مع أخيه إلى أن يصطلحا ... من كان طاهراً فليقترب ومن كان غير طاهر فليتب » . (١) **« الديداكية ـ نهاية القرن الأول »**
- « اثبتوا أيها الإخوة فى إيمان يسوع المسيح مقسمين نفس الخبز الواحد الذى هو ترياق الخلود والمصل المضاد للموت » . (٢) **« إغناطيوس الأنطاكى استشهد ١٠٧ م »**
- « كونوا غيورين مواظبين على شر الشكر لأن جسد ربنا يسوع المسيح واحد والكأس واحدة فى جسده الواحد » . (٣) **« إغناطيوس الأنطاكى استشهد ١٠٧ م »**
- ويتحدث **القديس كبريانوس (٢٠٠ ـ ٢٥٨ م)** عن طقس مزج عصير الكرمة بالماء الذى كان معمولاً به منذ القديم فيقول : « إن الماء يمثل الشعب وعصير الكرمة يمثل دم المسيح ... فحينما يمتزج الماء بالخمر فى الكأس يكون الشعب متحداً بالمسيح ويكون جمهور المومنين قد اتحد وارتفق بمن آمنوا » . (٤)

سابعاً : إيمان الكنيسة الأرثوذكسية

- جسد حقيقى ودم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين . تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أن بعد حلول الروح القدس على الخبز وعصير الكرمة وتقديسهما فقد تحولا

---

(١) الديداكية : ١٤ ، ١٠ ـ أسرار الكنيسة ، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ، ص ٩٠ .
(٢) إغناطيوس الأنطاكى : الرسالة لأفسس (٢٠) ـ Ante - Nicene Fathers Vol. 1, P. 57
(٣) إغناطيوس الأنطاكى : الرسالة لفيلادلفيا (٤) ـ Ante - Nicene Fathers Vol. 1, P. 81
(٤) كبريانوس : رسالة ٦٢ : ١٣ ـ Ante - Nicene Fathers Vol. 5, P. 362

سرياً إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين ، حتى أن الخبز وعصير الكرمة اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً وعصيراً بسيطين ، بل هما جسد الرب ذاته ودمه الأقدسان تحت شكلى الخبز وعصير الكرمة .

ـ ويقول **نيافة الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ : « عقيدتنا فى سر التناول المقدس أو سر الإفخارستيا أى سر الشكر ـ حسب إيمان الكنيسة الأرثوذكسية ـ هو أننا نتناول جسداً حقيقياً ودماً حقيقياً تحت أعراض الخبز والخمر . وهذا تسميه الكنيسة السر العظيم الذى للتقوى «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) . فهذه هى ذبيحة الخلاص الحقيقية التى سلمها السيد المسيح لتلاميذه فى ليلة آلامه قبل صلبه مباشرة ، يسميها البعض العشاء الأخير ، ويسميها البعض الآخر العشاء الربانى ، ويسميها آخرون العشاء السرى» . (١)

● وهذا هو ما يعلنه الكاهن فى الاعتراف الأخير فى القداس الإلهى ثلاث مرات :

ـ «جسد مقدس ودم كريم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين».

ـ «مقدس وكريم جسد ودم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين» .

ـ «جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين» .

ثم يقول أيضاً : «آمين آمين آمين ، أؤمن أؤمن أؤمن واعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير» . (٢)

ويصدق الشماس على إيمان الكاهن فيقول : «آمين آمين آمين ، أؤمن أؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين» .

✣ البراهين الدالة على صدق إيماننا الأرثوذكسى

(١) كلام السيد المسيح فى أثناء حديثه عن السر ، وفى أثناء إتمامه

١ ـ فى أثناء حديثه عن السر (الوعد بالسر) :

ـ « أنا هو خبز الحياة . أباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء . لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت » . (يو ٦ : ٤٨ ـ ٥٠)

(١) نيافة الأنبا بيشوى : سر التناول المقدس ، ص ١٠ ـ .

(٢) الخولاجى المقدس : القداس الباسيلى .

- « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » . (يو ٦ : ٥١)

- « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » .
(يو ٦ : ٥٣ ، ٥٤)

- « لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه » . (يو ٦ : ٥٦)

- « من يأكلنى فهو يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ليس كما أكل أباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد » . (يو ٦ : ٥٧ ، ٥٨)

٢- فى أثناء إتمام السر :

- أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : « خذوا كلوا هذا هو جسدى » .
(مت ٢٦ : ٢٦)

- وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : «اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . (مت ٢٦ : ٢٧ ، ٢٨)

- ووصف **القديس لوقا** هذا الحدث فقال : «وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً : هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكرى » . (لو ٢٢ : ١٩)

- وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً : « هذه الكأس هى للعهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم » . (لو ٢٢ : ٢٠)

- إن الرب يسوع كان من عادته متى تكلم عن أمر ورأى أن اليهود قد فهموه على غير المقصود ، يبادر ويوضح لهم المعنى الحقيقى ويرفع من أمامهم كل غموض (راجع يو ٢ : ٣-٥ ، ٤ : ٣٢ ، ٨ : ٢١-٤٠ ، ١١ : ١١-١٦ ، ١٦ : ١١-٢٤ ، مت ١٦ : ٦ ، ١٩ : ٣٤) فلو رأى الرب أن اليهود أخطأوا فى فهم كلامه وقصده لأوضح لهم ذلك وأبان لهم أنه يتكلم مجازياً ورمزياً . ولكنا نرى الأمر بالعكس فإنه أخذ يزيد الكلام قوة وإيضاحاً للمعنى الحرفى قائلاً : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » . (يو ٦ : ٥٣ - ٥٥) فنلاحظ هنا :

١ - أنه بدأ كلامه بقوله : « الحق الحق » التى كان معتاداً أن يبدأ بها عندما يقصد إيضاح

حقيقة من الحقائق وزيادة تأكيدها .
٢ - أنه يفرض الشركة فى جسده وفى دمه أمراً ضرورياً للحصول على الحياة الأبدية بقوله : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية » .
٣ - إن كلمة « حق » فى قوله : « جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » تشهد بأن الجسد جسد حقيقى والدم دم حقيقى.

(٢) موقف تلاميذ المسيح :

● إن تلاميذ السيد المسيح فهموا المعنى المقصود بكلام المسيح فى (يو ٦) عن جسده ودمه الحقيقيين اللذين يقدمهما لهم حتى قال بعضهم لبعض : « هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه » ورجع كثيرون من تلاميذه لأنهم استصعبوا هذا الأمر (يو ٦ : ٦٠) فلو لم يكن جسده حقيقياً ودمه حقيقياً - كما يتوهم البعض - لكان السيد المسيح أعلن لهم ذلك ولم يدع مجموعة من التلاميذ تنفصل عنه دون داعٍ .

(٣) موقف اليهود :

● اليهود أنفسهم فهموا المعنى الذى قصده السيد المسيح من كلامه وأنه يتحدث عن جسد حقيقى ودم حقيقى .. وابتدأوا يتخاصمون ويتساءلون - كما يقول المعترضون اليوم - كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟ فلو لم يفهموا أن السيد المسيح يتكلم عن جسده ودمه الحقيقيين لما كان هناك محل لهذا الاعتراض ، ولا وجد داعٍ لهذا الخصام . (يو ٦)

(٤) أقوال القديس بولس الرسول عن هذا الأمر :

● والقديس بولس أعطى لشعب كورنثوس مجموعة كبيرة من التحذيرات قبل التناول ، والتى توضح بكل تأكيد أنه لابد وأن يكون هذا الذى نتناوله هو جسد ودم المسيح بالحقيقة وليس مجرد خبز وعصير عاديين ، وإلا لما استحقا كل هذه التحذيرات .

يقول القديس بولس :

- « أقول كما للحكماء احكموا أنتم فيما أقول كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسده » . (١ كو ١٠ : ١٥ ، ١٦)
- « إذاً أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الإنسان نفسه أولاً وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب .. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا

لما حكم علينا » . (١ كو ١١ : ٢٩ ـ ٣١)

● هل بعد كل هذه الآيات التحذيرية والتوضيحية يمكن أن يقال أن هذين مجرد خبز وخمر عاديين ؟ هل من الممكن أن السيد المسيح يعطينا خبزاً وعصيراً بسيطين ويحاسبنا على أنهما جسده ودمه الحقيقيان ؟

(٥) أقوال الآباء الأولين :

● أقوال الآباء الأولين فى هذا الشأن توضح بكل صدق أنهم يؤمنون أن الخبز والعصير بعد التقديس هما جسد ودم حقيقيان ليسوع المسيح إلهنا ، وإليك بعضاً من هذه الأقوال :

ـ فى حديث القديس **إغناطيوس الرسولى** (استشهد ١٠٧ م) عن الهراطقة قال : « إنهم يتعدون عن الإفخارستيا والصلاة لعدم اعترافهم بأن الإفخارستيا هى جسد مخلصنا يسوع المسيح الذى تألم لأجلنا » . (١)

ـ وقال **القديس إيريناؤس** (١٤٠ ـ ٢٠٢ م) عن الهراطقة : « كيف يستطيعون أن يدركوا أن الخبز الذى عليه تم الشكر هو جسد الرب ، وأن هذه الكأس هى كأس دمه ما لم يفهموا أنه هو ابن صانع العالم » . (٢)

ـ وقال **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ ـ ٣٨٦ م) : « لكونه هو نفسه تكلم وقال عن الخبز : (هذا هو جسدى) فمن يجسر بعد ذلك أن يرتاب ، ولكونه هو نفسه ثبت وقال : (هذا هو دمى) فمن يتوهم أن يقول إنه ليس دمه ، لأن الذى حوَّل وقتاً ما الماء إلى خمر فى قانا الجليل بإشارته أفليس مصدقاً إذا قال إنه حول الخمر إلى دم » . (٣)

ـ وقال **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : « كم منكم يقول الآن ليتنى كنت أرى هيئة الرب وشكله وملابسه ، أنت تنظره وتلمسه وتأكله هو نفسه وأنت تشتهى أن ترى ملابسه ، مع أنه هو يعطيك ذاته لا لتراه فقط بل لتلمسه أيضاً ولتأكله ولتأخذه فى داخلك » . (٤)

ـ وقال أيضاً **القديس يوحنا ذهبى الفم** : «عندما ترى المائدة معدة قدامك قل لنفسك : من أجل جسده لا أعود أكون تراباً ورماداً ، ولا أكون سجيناً بل حراً . من أجل هذا (الجسد) أترجى السماء ، وأتقبل الخيرات السماوية ، والحياة الخالدة ، ونصيب الملائكة ، والمناجاة مع

---

(١) إغناطيوس الأنطاكى : الرسالة لأزمير ٧ ـ Ante - Nicene Fathers Vol. 1, P. 59

(٢) إيريناؤس : ضد الهراطقة ٤ : ١٨ : ٤ ، ٥ ـ Ante - Nicene Fathers Vol. 1, P. 486

(٣) كيرلس الأورشليمى فى الأسرار ٤ : ١ ، ٢ ـ N.P.N.F., Ser Vol. 7, P. 121

(٤) القديس يوحنا ذهبى الفم : على ١ كو ١٠ : ١٥ ـ ١٧.

المسيح . سُمر هذا الجسد بالمسامير وجلد ، ولا يعود يقدر عليه الموت . إنه الجسد الذى تخضب بالدماء وطعن ، ومنه خرج الينبوعان المخلصان للعالم : ينبوع الدم وينبوع الماء ». (١)

ـ وقال **القديس يوحنا ذهبى الفم** : « لنذكر إننا إنما نتناول الجسد الجالس على العرش والمسجود له من الملائكة » . (٢)

ـ وقال **القديس أمبروسيوس** (٣٢٩ ـ ٣٩٧ م) : « المسيح هو بعينه الذى يعلن خلال الكاهن : «هذا هو جسدى» . (٣)

ـ قال **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ ـ ٣٧٣ م) : « حينما ترتفع الصلوات العظيمة والتضرعات المقدسة ، ينزل الكلمة على الخبز والكأس ويصيران جسده (ودمه) » . (٤)

ـ وقال **القديس مار إفرآم السريانى** (تنيح فى ٣٧٩ م): « إنكم تشتركون فى جسد الرب الكلى القداسة بإيمان كامل غير مرتابين بأنكم تأكلون الحمل كله » .

ـ وقال أيضاً : « إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به أيضاً ودمه الطاهر يصب فى شرايننا ، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا » . (٥)

● والخلاصة أن هذا الإيمان هو إيمان جميع الآباء فى كل عصر منذ نشأة الكنيسة حتى الآن، ونجد هذا التعليم فى مؤلفات القديس إكليمنضس الإسكندرى (كتاب المربى ١ : ٦١ ، ١١ : ٥) والعلامة ترتليانوس فى (كتابة ضد مركيون ٥ : ٨) وديونيسيوس الإسكندرى فى (مجموع القوانين) والقديس باسيليوس فى (رسالته ٩٣) والقديس أبيفانيوس ، والقديس كيرلس الإسكندرى فى (تفسيره يوحنا ٢٠ : ٧ وضد نسطور ٤ : ٥ ، ٦) وغيرهم من الآباء . (٦)

(٦) المجامع المسكونية :

● ورد فى قرارات المجمع المسكونى الأول : « لا ينبغى أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال ، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس . ونتفهم بالإيمان أن حمل الله الرافع خطية العالم يستريح ههنا مذبوحاً من الكهنة ، وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بأنهما رسوم لقيامتنا » . (٧)

(1) A.P.N.F, Ser I, Vol. 12, Hom 24 on 1, rn.

(2) In Eph, hom 14 : 3 .

(٣) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ١٧٧ . Ambrosse : De Mystor q

(٤) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ١٧٧ . Frag 7 : p . 626 : 1325

(٥) أ / حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٧٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٧) المرجع الأسبق ، ص ٧٢ .

● وقد ثبت المجمع المسكونى الثالث رسالة القديس كيرلس بطريرك الإسكندرية إلى نسطور وجاء فى نصها هذه العبارة وهى : « إننا ننادى بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالجسد ، ونقر بقيامته وبصعوده إلى السموات ، فنتمم فى الكنائس الذبيحة غير الدموية ، وهكذا نقترب من الأسرار المباركة ونتقدس إذ نشترك فى جسد يسوع المسيح مخلصنا المقدس ودمه الكريم .. لكن لا ينبغى أن ننظر إلى جسده كما إلى جسد إنسان يماثلنا من كل الوجوه فى أهوائنا ، بل يجب أن نوقن أنه بالحقيقة جسد الذى قد صار وسمى لأجلنا ابن الإنسان نفسه » (مجمع أفسس جلسة ١ وكيرلس الإسكندرى) . (١)

✥ الليتورچيات القديمة :

● أمثلة من الليتورچيات القديمة والتى توضح إيمان الكنيسة الأولى ، وهو أن هناك تحول حقيقى على المذبح بعمل الروح القدس ، فيصير الخبز جسداً حقيقياً والخمر دماً حقيقياً ليسوع المسيح .

✥ جاء فى الليتورچية المنسوبة للقديس هيبوليتس الرومانى (القرن الثالث الميلادى) :

● حلول الروح القدس :

«نطلب إليك أن ترسل روحك القدوس على تقدمة كنيستك المقدسة ، إذ يجتمعون معاً فى وحدانية . هب قديسيك الذين يشتركون فى قدساتك (أسرارك) أن يمتلئوا من الروح القدس ويثبتوا فى الحق . بهذا نسبحك ونمجدك بابنك يسوع المسيح» .

● المجدلة (ذوكصولوجية) Doxology أو الصلاة الختامية :

«لك المجد والإكرام به ، مع الروح القدس ، فى كنيستك المقدسة ، الآن وإلى أبد الدهور . آمين.

يقول الأسقف : أيضاً نتوسل إليك أيها الآب القدير ، أبا ربنا يسوع المسيح ، هب لنا أن نتقبل بشكر هذا السر المقدس ، فلا يكون سبب دينونة لأحد . وأهّل الذين يتقبلون السر المقدس ، جسد ودم المسيح ربنا القدير وإلهنا» .

ليقل الشماس : «صلوا» .

أما الأسقف فيقول :« أيها الإله القدير ، هب أن يكون سرك المقدس مصدر قوة ولا يكون أبداً سبب دينونة لنا ...» .

يقول الشماس : «فلننصت» .

---

(١) المرجع الأسبق .

ويقول الأسقف : «القدسات للقديسين» .[1]

✤ **وجاء فى خولاجى الأسقف سرابيون (القرن الرابع الميلادى) :**

● **حلول اللوغوس :**

«يا إله الحق ، ليأت كلمتك القدوس على هذا الخبز ، ليصبح **جسد الكلمة** ، وعلى هذه الكأس ، ليصبح **دم الحق**. امنح كل الذين يتناولونه دواء الحياة ، ليكن تناولهم شفاءً لهم من كل ضعف ، وليكن لأجل نموهم فى كل تقدم وفضيلة ، ولا يكون لدينونتهم ، ولا للحكم عليهم أو خزيهم ، يا إله الحق . إننا ندعوك أيها السرمدى ، بابنك ، فى الروح القدس ، أشفق على هذا الشعب ، لكى يتأهلوا لأمور أعظم . ولترسل ملائكتك ليسندوا شعبك ضد الشرير ، حتى تتوطد أركان كنيستك .

امنح أجسادنا نمواً فى النقاوة ، ونفوسنا نمواً فى الفهم والمعرفة ، اعطنا حكمة ، يا إله المراحم . بتناولنا الجسد والدم ، لك المجد والسلطان ، بالابن الوحيد ، فى الروح القدس» .

● **صلاة بعد التناول :**

«نشكرك يا سيد ، إذ دعوت إليك الساقطين ، أزلت الوعيد الذى كان علينا ، وبحبك للبشر نزعته ، وبصبرك أبطلته ، وبمعرفتك رذلته . نشكرك لأنك وهبتنا أن نتناول الجسد والدم . باركنا وبارك هذا الشعب ، وهب لنا أن نشترك فى الجسد والدم ، بابنك الوحيد ، الذى به يليق بك المجد والسلطان ، الآن وإلى الأبد . آمين» .[2]

● **وقبل أن أختم البراهين الدالة على صدق إيماننا الأرثوذكسى فى حقيقة** جسد ودم يسوع المسيح أود أن أذكر أن مارتن لوثر زعيم البروتستانت عندما كان يجادله أصحابه جدالاً عنيفاً فى هذا السر ، لم يخرج عن الاعتقاد الصحيح ولم يتحول عن فكره ، بل كان يقرر قول الرب : « هذا هو جسدى » ويكتبها فى المحضر بخطه أمام الجميع ، رافضاً كل فلسفة بشرية ، ويقول : « إنى أصرح بأنى اختلف عن خصومى فى تعليم عشاء الرب ، وإنى أختلف دائماً عنهم فإن المسيح قد قال هذا هو جسدى ، فليبينوا لى أن الجسد ليس هو جسده . وإنى أرفض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية فإن الله أعلى من الهندسيات . عندنا كلام الله فيجب علينا أن نكمله ونحترمه » .[3]

---

(١) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣) تاريخ الاصلاح للعلامة ميرل جـ ٢ ، ص ٣٨٢ ـ أورده أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

ثامناً : مفاعيل السر

١ـ فى الإفخارستيا ننال التطهير وغفران الخطايا :

ـ قال **القديس بولس** : «الذى فيه لنا الفداء بدمه» . (أف ١ : ٧)

ـ وقال **القديس يوحنا** : «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» . (١ يو ١ : ٧)

ـ وقال **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ ـ ٣٧٣ م) : «ثم أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب ، وهو القربان الذى يغفر الخطايا لمن تقرب إليه بإيمان به أنه جسد المسيح و دمه ... حقاً أعطانا إياه لمغفرة الخطايا» . (١)

ـ وقال **القديس أمبروسيوس** (٣٤٠ ـ ٣٩٧ م) : «إن تناولت منه قليلاً ، أو شربت منه كثيراً تنال نعمة الفداء عينها كاملة بالمقدار عينه» . (٢)

ـ كما يقول **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) : «هذه التى نسميها جسد المسيح ودمه هى فى أصلها مأخوذة من أثمار الأرض ، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس فهى تعطى لنا لخلاص نفوسنا» . (٣)

✥ وجاء فى قداس القديس باسيليوس (٤) ما ينص على أن ذبيحة القداس هى للتطهير ولمغفرة الخطايا :

● فعند تقديم الحمل يقول الكاهن : «امنح يا رب أن تكون ذبيحتنا مقبولة أمامك عن خطاياى خاصة وعن جهالات شعبك» .

● وفى وقت حلول الروح القدس على الخبز والخمر لينقلهما إلى جسد الرب ودمه يقول الكاهن مرتين وهو باسط يديه وخاضع برأسه : «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه» .

● وبعد السجود وحلول الروح القدس يصلى الكاهن قائلاً : «اجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا ، وأجسادنا ، وأرواحنا» .

● وفى الاعتراف الأخير يقول الكاهن وهو رافع الصينية بيديه : «آمين . آمين . آمين . أؤمن . أؤمن . أؤمن واعترف إلى النفس الأخير ، أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد

---

(١) القس منسى يوحنا : كمال البرهان على حقيقة الإيمان : القاهرة ١٩٤٧ ، ص٨٦ .

(٢) الرسالة ٧ إلى يوستوس : ٨ .

(٣) فى الثالوث كتاب ٣ : ف ٤ ، فقرة ١٠ .

(٤) قداس القديس باسيليوس الكبير ـ الخولاجى المقدس ، طبعة دير المحرق .

ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ... يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه» .

● وفى الصلاة التى قبل التناول يقول الكاهن : «اجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ، ومغفرة لخطايانا وآثامنا» ، «ولا يكون لنا دينونة لكن كما قلت لتلاميذك الأطهار خذوا من جسدى ودمى لمغفرة خطاياكم يكون لنا شركة مع تلاميذك الأطهار ، لننال بتناولنا من أسرارك المحيية مغفرة خطايانا وصفحاً لآثامنا ، وطهراً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا» .

٢- فى الإفخاريستيا ننال خبزاً روحياً يغذى الإنسان وينميه فى طريق القداسة :

● كما أن الجسد فى حاجة مستمرة إلى طعام يغذيه وهكذا النفس أيضاً فى حاجة إلى طعام يغذيها ، فإن الروح أيضاً فى حاجة إلى غذاء روحى ينميها ويدفع بها فى طريق القداسة ، هذا الغذاء الروحى هو الممارسات الروحية ، ويأتى سر الإفخارستيا فى مكانة كبرى من بينها :

- قال **السيد المسيح** : «أنا هو خبز الحياة ... والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى ... فمن يأكلنى فهو يحيا بى ...» . (يو ٦ : ٤٨ - ٥٨)

- وقال **القديس بولس** : «لذلك يسوع أيضاً لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب» . (عب ١٣ : ١٢)

ومن أقوال الآباء :

- قال **يوستينوس الشهيد** (١٠٠ - ١٦٥ م) : «هكذا تعلمنا أن الغذاء الذى يتقدس بألفاظ الصلوات التى نطق بها هو (أى يسوع المسيح) ، وبه يتغذى لحمنا ودمنا بواسطة الاستحالة هو لحم ودم يسوع ذاك المتجسد» . (١)

- قال **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ - ٢٢٠ م) : «إننا نتغذى بجسد المسيح و دمه» . (٢)

- يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧ م) : «شاء هو نفسه أن يغذينا بدمه» . (٣)

- «بهذه العطية تتزين نفوسنا وتتجمل» . (٤)

- «هذا الدم متى أخذناه بحق يطرد الشياطين ويبعدهم عنا ، بينما يدعو إلينا الملائكة ، فإذ يظهر دم الرب تهرب الشياطين وتجتمع الملائكة ، هذا الدم يطهر الموضع السرى وقدس الأقداس ...

---

(١) الدفاع الأول ليوستينوس : ف ٦٦ .

(٢) فى قيامة الأجساد : ف ٨ .

(٣) تفسير إنجيل متى مقالة ٨٣ : ٥ .

(٤) تفسير إنجيل متى مقالة ٥٠ : ٣ .

هذا الدم يقدس المذبح الذهبى ... هذا الدم يقدس الكهنة ، هذا الدم هو خلاص نفوسنا به تغتسل النفس وتتجمل وتلتهب به فيلتهب فهمنا كالنار وتتلألأ النفس أكثر من الذهب» . (١)

ـ وجاء فى **قداس الأسقف سرابيون** (القرن الرابع الميلادى) : «هب لأجسادنا نمواً فى النقاوة، ولنفوسنا نمواً فى الفهم والمعرفة ، خلال تناولنا الجسد والدم ، لك المجد والسلطان ، بالابن الوحيد ، فى الروح القدس إلى الأبد آمين» .

ـ «نقدم لك هذا الخبز ... وهذه الكأس ... اجعل كل المشتركين فيها أن يتناولوا دواء الحياة ، شفاء لكل ضعف ، وسنداً لكل تقدم وفضيلة ، وليس دينونة علينا» . (٢)

٣ـ فى الإفخارستيا نثبت ونتحد بالمسيح :

ـ قال **السيد المسيح** : «من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا أيضاً فيه» . (يو ٦ : ٥٦)

● من نصوص القداس الباسيلى :

ـ يقول الكاهن فى صلاة الخضوع قبل التناول: «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ... أن **توحدنا معك** عن طريق تناولنا من أسرارك الإلهية» .

ـ وفى إحدى الصلوت قبل التناول يقول الكاهن : «وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة **واحداً معك** إلى الأبد» .

ـ وفى صلاة أخرى : «اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا ، أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم ، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ... لكى نصير جسداً واحداً وروحاً **واحداً معك**» .

● ومن أقوال الآباء :

ـ يقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٧ ـ ٣٧٣ م) : «إن اتحادنا بالمسيح ، بتناولنا من جسده ودمه ، أسمى من كل اتحاد» . (٣)

ـ ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ ـ ٣٨٦ م) : «إننا بالتناول نصبح جسداً واحداً ، ودماً **واحداً مع المسيح**» . (٤)

ـ ويقول **القديس إفرآم السريانى** (تنيح فى ٣٧٩ م) : «إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به ، ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شراييننا ، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا» . (٥)

---

(١) تفسير إنجيل يوحنا مقالة ٤٦ : ٦ .

(٢) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ١٣ ، ٢٥ .

(٣) كمال البرهان على حقيقة الإيمان ، ص ٨٦ .

(٤) فى الأسرار ٤ : ١ .

(٥) جزء ٣ : ٤٢٤ .

- ويقول **القديس يوحنا ذهبي الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : «إنه لم يكتف أن يصير إنساناً ، ويُضرب ويُذبح عنا ، بل أراد أيضاً أن يمزج ذاته فينا ، وأن نصير معه جسداً واحداً ، ليس فقط بالإيمان بل فعلياً وفى الحقيقة أيضاً» . (١)

٤ ـ بالإفخاريستيا يتحد أعضاء الكنيسة فى الجسد الواحد :

● إذا كان سر التناول يوحدنا مع المسيح له المجد فى جسده الطاهر ودمه الكريم ، فهو سر الشركة بيننا وبينه من جهة ، وفيما بيننا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى :

- قال **القديس بولس الرسول** معبراً عن هذا السر بوصفه شركة جسد المسيح ودمه : «كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح ، الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ، فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد» .
(١ كو ١٠ : ١٦ ، ١٧)

- وفى هذا المعنى يقول الكاهن فى القداس الباسيلى عقب حلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد المسيح و دمه : «اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا ، أن نتناول من قدساتك ، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ، لنصير جسداً واحداً ، وروحاً واحداً ، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع قديسيك الذين أرضوك منذ البدء» .

- ويقول **القديس إغناطيوس** (استشهد ١٠٧ م) : «كونوا متمسكين بالإفخارستيا الواحدة ، فإن جسد ربنا يسوع المسيح واحد ، ويكون لكم كأس واحدة توحدنا بدمه ، مائدة واحدة وأسقف واحد مع الكاهن والشمامسة والخادمين معه ، وعليه إذن فكل ما تفعلونه فافعلوه حسب إرادة الله» . (٢)

- ويقول **القديس يوحنا ذهبي الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : «جعلنا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه ليس خلال الحب وحده (أف ٥ : ٣) وإنما بالفعل ذاته ... هذا يتحقق بالطعام المجانى الذى قدمه لنا ، مريداً أن يعلن حبه لنا ، من أجل حبه مزج نفسه بنا ، عجن جسده بجسدنا لكى نصير معه واحداً نصير جسداً واحداً متحداً بالرأس» . (٣)

- «إذا كان الخبز يحوى حبوباً كثيرة صارت متحدة معاً ، فلا تظهر الحبوب بعد بالرغم من أنها موجودة فعلاً لكن لا يظهر اختلافها بسبب اتحادها معاً ، هكذا ارتباطنا مع بعضنا البعض لأن جسده واحد يغتذى به الكل ، إنه شركة فى جسد الرب شركة مع المسيح نفسه» . (٤)

---

(١) تفسير إنجيل متى مقالة ٨٣ : ٢ .

(٢) الرسالة إلى فيلادلفيا ٤ .

(٣) تفسير إنجيل يوحنا مقالة ٤٦ : ٣ .

(٤) تفسير رسالة كورنثوس الأولى مقالة ٢٤ .

ـ يقول **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) : «ينشأ سر سلامنا ووحدتنا فوق مذبحه». (١)

٥ ـ في الإفخارستيا تنفتح أعيننا على السماء وننال الوعد بالحياة الأبدية :

● في الإفخارستيا نتحد بالمسيح الأبدى والسمائى ، ونتأمل فى السماء وأمجادها فتتفتح عيوننا نحوها مشتاقين للحياة الأبدية . وفى تقديس الإفخارستيا تترنم الكنيسة بتسابيح الملائكة السمائيين الحاضرين معنا ، وكذلك نذكر الآباء القديسين الذين سبقونا إلى الفردوس ، ونطلب شفاعتهم ، وهكذا نتذوق خلال القداس الإلهى السماء وأمجادها .

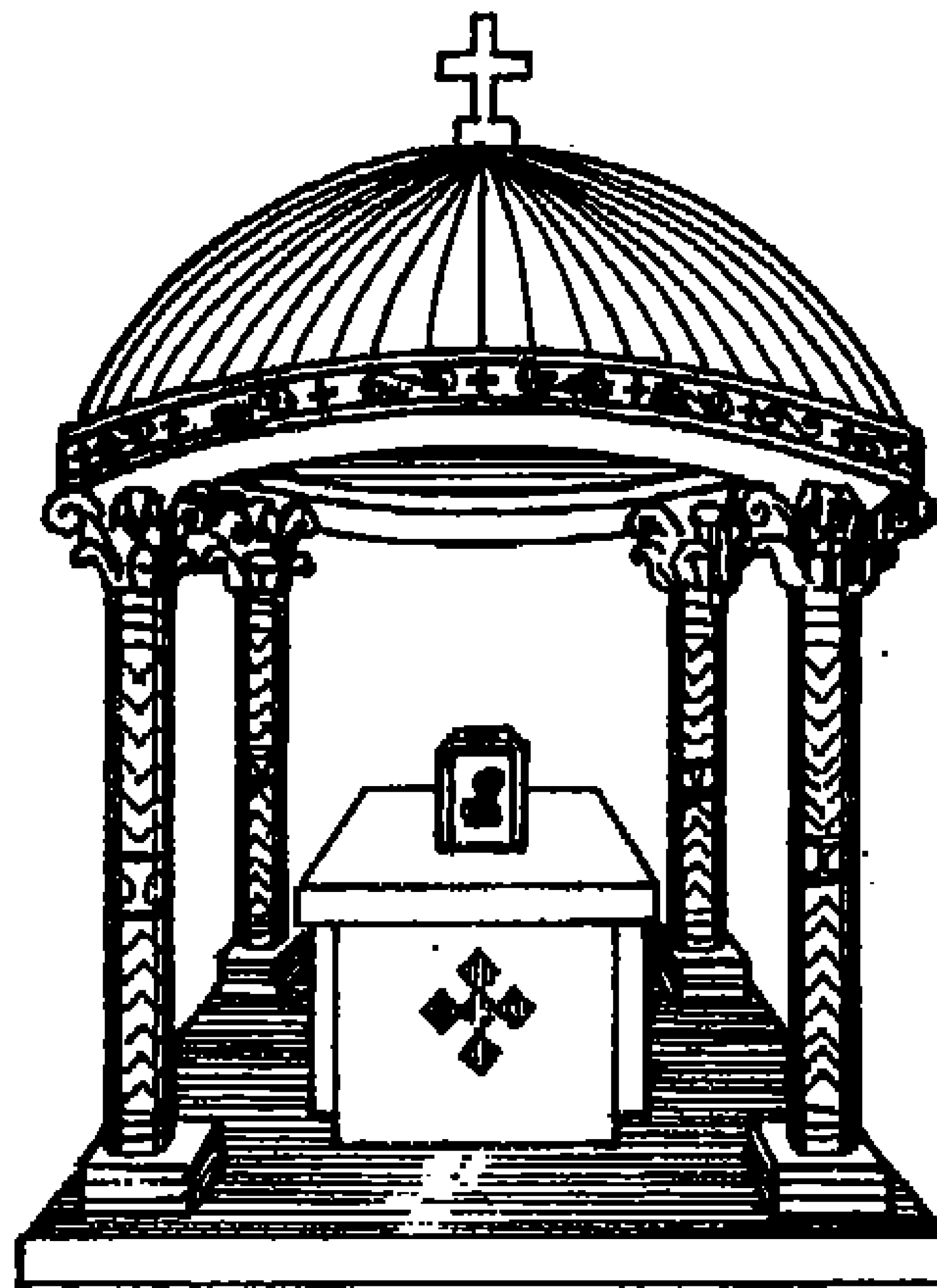
● كما أنه فى الإفخارستيا ننال الوعد بالحياة الأبدية من السيد المسيح رأساً :

ـ «إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» . (يو ٦ : ٥١)

ـ «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» . (يو ٦ : ٥٤)

ـ «من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد» . (يو ٦ : ٥٨)

● يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : «مادمنا قد صرنا سمائيين وحصلنا على ذبيحة كهذه فلنخف ، لأنه يليق بنا ألا نستمر فى زحفنا على الأرض فإنه يستطيع من يريد منا ألا يكون على الأرض من الآن ... إذ نقترب من الله نصير فى السماء ، بل ماذا أريد من السماء إن كنت أرى رب السماء و صرت أنا نفسى سماء» . (٢)



(1) Serm 272 to the nauly - babtized .

(٢) تفسير رسالة العبرانيين مقالة ١٦ : ٧ .

تاسعاً : الرد على أسئلة وادعاءات

(١) ما معنى الاستحالة وكيف تتم ؟

كيف أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ؟

الـرد :

● الاستحالة هى انتقال الشيء إلى غيره ، وهى نوعان ، حسية أى تدرك بالحواس ، وسرية لا تدرك بالحواس ، فالحسية هى تحويل طبع وصورة وفعل شيء ما إلى طبع وصورة وفعل الشيء الذى يتحول إليه ، كتحويل امرأة لوط إلى عمود ملح ، وتحويل عصا هرون إلى ثعبان، وتحويل ماء النهر فى مصر إلى دم ، وتحويل الماء فى عرس قانا الجليل إلى خمر . وأما الاستحالة السرية فهى التى لا تدخل تحت الحواس مثل استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فى سر الإفخارستيا ، وذلك بناء على قول الرب الصريح : « هذا هو جسدى وهذا هو دمى » . وإن قال المعترض كيف يكون ذلك؟ ، فنرد عليه بأن أعمال الله لا يسأل عنها بكيف . وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون استحالة امرأة لوط إلى ملح ، والماء إلى دم فى مصر ، وإلى خمر فى عرس قانا الجليل حسية ، لأن الغاية منها ظهور قوة الله علناً . وأما الاستحالة فى سر الإفخارستيا فليس من الضرورى ولا من المناسب ظهورها للحواس : إذ لا يمكن للإنسان أن يأكل لحماً ويشرب دماً على صورتهما الفعلية ، فهذه الاستحالة سرية لا تدرك بالحواس ، فمع أننا نأكل خبزاً ونشرب خمراً إلا أن هذا الخبز وهذا الخمر ليسا بعد التقديس خبزاً وخمراً عاديين بل هما جسد ودم المسيح كما قال الرسول : « لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » (٢ كو ٥ : ٧) والإيمان بأعمال الله السرية أعظم من الإيمان بأعماله الظاهرة ، لأن هذه يحكم عليها بالحواس ، وأما تلك فيراها العقل بنور الإيمان . (١)

كيف يتم هذا التحول؟

● بعمل الروح القدس العامل فى الأسرار إذن فهو عمل سرى من أعمال الروح القدس فى الكنيسة . الذى أعلن السيد المسيح عنه مسبقاً وقال : «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق» . (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧)

أولاً : أقوال الآباء الأولين عن هذا التحول السرى :

وهى كثيرة جداً . وها بعضها من القرون الأولى للمسيحية ، ومن أماكن مختلفة ومتباعدة عن بعضها ، وهى بتنوعها هذا توضح أن هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة منذ البداية :

(١) أ. حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٠.

١ ـ يقول **القديس يوستينوس الشهيد** من آباء القرن الثانى الميلادى فى دفاعه الأول ضد الوثنية : « هذا الطعام الذى ندعوه إفخارستيا لا يسمح لأحد أن يشترك فيه إلا للذى يؤمن أن ما نعلم به هو حق ، وأن يكون قد نال الاغتسال أى غفران الخطايا والتجديد ، وأن يكون سالكاً حسبما أمرنا السيد المسيح . فإننا لم نقبل هذه الأمور كخبز أو شرب عاديين ، وإنما كما تجسد يسوع المسيح مخلصنا إذ أخذ كلمة الله جسداً ودماً لأجل خلاصنا ، فإننا نتعلم أيضاً أن هذا الطعام الذى يتقدس خلال صلاة كلمته والذى يقوت دمنا وجسدنا بالتحول ، هو جسد ودم يسوع الذى صار جسداً . فقد سلمنا الرسل فى مذكراتهم التى تدعى بالأناجيل ما قد أمروا به ، ألا وهو أن يسوع أخذ خبزاً وشكر وقال : اصنعوا هذا لذكرى ، هذا هو جسدى . وأيضاً أخذ الكأس وشكر قائلاً لهم : هذا هو دمى . وأعطاها لهم وحدهم » . (١)

٢ ـ ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : « الذى يحول القرابين الموضوعة إلى جسد المسيح ودمه ليس إنساناً بل المسيح نفسه الذى صُلب عنا » . (٢)

٣ ـ ويقول **القديس إيريناؤس** (١٤٠ ـ ٢٠٢ م) : « الكأس المزوج والخمر المصنوع يتقبلان كلمة الله ويصيران إفخارستيا جسد المسيح ودمه » . (٣)

٤ ـ ويقول **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ ـ ٢٢٠ م) : « الخبز الذى أخذه وأعطاه لتلاميذه جعله جسده بعينه بقوله : هذا هو جسدى » . (٤)

٥ ـ ويقول **القديس أمبروسيوس** (٣٤٠ ـ ٢٩٧ م) : « كلما تناولنا القرابين المقدسة التى تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب » . (٥)

ثانياً : قداسات الكنيسة :

● إذا راجعنا جميع كتب القداسات المستعملة فى كل الكنائس شرقاً وغرباً ، وهى قديمة جداً . نجدها كلها متفقة فى تضرعاتها على صلوات التحول ، وها كلمات القداس الباسيلى فى هذا الشأن : « ليحل روحك القدوس على هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك ... وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له ... وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد

---

(١) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ٢١٩ .

(٢) مركز دراسات الآباء : أسرار الكنيسة : ص ١٠٥ .

(3) Aolv. Hear s : 2 : 3.

(4) Against Marcion : 4 : 15.

(٥) فى الإيمان ٤ : ١٠ : ١٢٤.

الجديد الذى له .. إلخ » وهذا يدل على إيمان الكنيسة الجامعة الذى لم يتغير منذ القديم حتى الآن .

✤ وهنا يبرز سؤال يثيره البعض :

هل دم المسيح الذى نتناوله فى الإفخارستيا يحتوى على كرات دم حمراء وهيموجلوبين وبلازما وبقية مكونات الدم الأخرى التى فى دم الإنسان العادى ؟

يجيب على هذا السؤال **نيافة الأنبا بيشوى** مطران دمياط وكفر الشيخ وبرارى بلقاس وسكرتير المجمع المقدس ، فيقول :

[● فى الإفخارستيا يتحول الخمر الذى فى الكأس إلى دم السيد المسيح . لكن هذا الدم لا يتكون من كرات دم حمراء وهيموجلوبين وصفائح دموية وبلازما ، لأنه لو كان كذلك لشممنا رائحة الدم ... بل هو خمر ممزوج بالماء ، تحول بفعل الروح القدس سرائرياً ، وأصبح دماً إلهياً حقيقياً محيياً للسيد المسيح فيه قوة الحياة الأبدية . أما من ناحية طعمه وتكوينه ومواصفاته تحت المجهر فهو لم يتغير ، بل بقى تحت أعراض الخمر والماء ...

● حينما يتحول الخمر فى الكأس يصير له فاعلية الحياة الأبدية التى لدم السيد المسيح ، بحيث إن الدم الذى سفك على الصليب والدم الذي فى الكأس هما دم ابن الله . لكن الدم الذى فى الكأس له أعراض الخمر مع أنه دم الله الكلمة المتجسد . فلا يجب أن تكون فيه كرات دم لكى نعتبره دماً ، فهو خمر غير عادى لأنه دم إلهى تحت أعراض الخمر والماء كما قلنا .

● وهذا يتفق مع مثل الحديد والنار ، فقبل أن يتحد الحديد بالنار لا تكون له فاعلية أن يحرق . هكذا الخمر أيضاً فى الكنيسة فإنه يكون خمراً عادياً قبل حلول الروح القدس لكن بعد استدعاء الروح القدس يكون دماً إلهياً مطهراً للخطية ومانحاً الحياة الأبدية . وهذا الدم هو نفس دم السيد المسيح الذى سُفك على الصليب ولكن سرائرياً ، بمعنى أننا لا نرى كرات الدم فيه حينما نضعه تحت المجهر ، فهذا تفكير مادى ولا يصح أن نفكر فى أسرار الكنيسة بهذه الطريقة الحرفية البعيدة عن الإيمان .] (١)

(٢) هل سر الشكر هو ذبيحة حقيقية ؟

هل من مذبح وذبيحة فى المسيحية ؟

الـرد :

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى): مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية ، ص ١٢٦ .

١ـ هل من مذبح فى المسيحية ؟

أ ـ يقول **القديس بولس** بكل وضوح : «لنا مذبح ـ نحن المسيحيين ـ لا سلطان للذين يخدمون المسكن ـ اليهود ـ أن يأكلوا منه» . (عب ١٣ : ١٠)

وهذه الآية تعنى أننا نحن ـ المسيحيين ـ لنا مذبح لا سلطان لليهود الباقين يهوداً والذين يخدمون المسكن (هيكل أورشليم) أن يتناولوا منه .

ب ـ ولقد **تنبأ ملاخى النبى** عن وجود المذبح المسيحى بين الأمم فقال فى مجال سخط الرب على اليهود : « ليست لى مسرة بكم ـ قال رب الجنود ـ ولا أقبل تقدمة من يدكم لأنه من مشارق الشمس إلى مغاربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة » (ملا ١ : ١٠ ، ١١) ، ولم يحدث هذا إلا فى المسيحية لأنه متى حدث فى كل أزمنة اليهود أن كانت تقدم للرب تقدمات ويرفع لاسمه بخور فى كل مكان بين الأمم ؟ .

جـ ـ ولقد وردت **نبوة لإشعياء النبى** عن وجود مذبح للرب فى أرض مصر الأمر الذى لم يتحقق عبر التاريخ الإنسانى إلا فى المسيحية : « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها . فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر... فيُعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون نذراً للرب » . (إش ١٩: ١٩ ـ ٢١)

ـ واضح طبعاً أن هذا المذبح ليس مذبحاً وثنياً أو فرعونياً ، فقد ذُكر أنه مذبح للرب .

ـ وواضح أيضاً أن هذا المذبح ليس يهودياً ، لأن اليهود ما كانوا يذبحون للرب فى أرض غريبة ، بل كانوا يعلقون قيثاراتهم على أشجار الصفصاف ويبكون . (مز ١٣٧)

إذن هذا المذبح الذى تنبأ عنه إشعياء فى مصر هو المذبح المسيحى .

د ـ وفى الموعظة على الجبل **تحدث السيد المسيح** عن المذبح والسلام مع الناس فقال : «فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » . (مت ٥ : ٢٣، ٢٤) وهذا تعليم عام قدمه السيد المسيح للمؤمنين فى كل عصر عن ارتباط المذبح بالصلح مع الناس .

٢ـ هل من ذبيحة فى المسيحية ؟

● مادام يوجد مذبح فى المسيحية إذن لابد من وجود ذبيحة تُقدم عليه ... وهذه الذبيحة هى جسد السيد المسيح ودمه الأقدسان ، وإليك الأدلة على هذا :

أ ـ قال **السيد المسيح** لتلاميذه أثناء تقديم الإفخارستيا :

- « جسدى الذى يُبذل عنكم » . (لو ٢٢ : ١٩)
- « جسدى المكسور لأجلكم » . (١كو١١ : ٢٤)
- « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يُسفك من أجل كثيرين » . (مر ١٤ : ٢٤)
ومادام هناك جسد مكسور ودم مسفوك إذن فهى ذبيحة حقيقية .
ب- أمر السيد المسيح الكنيسة بتقديم هذه الذبيحة إذ قال لتلاميذه :
- « اصنعوا هذا لذكرى » . (لو ٢٢ : ١٩) ، (١كو ١١: ٢٤ ، ٢٥)
جـ- ومارست الكنيسة الأولى هذا العمل الذبيحى : كما سبق وذكرنا هذا من قبل .
انظر (أع ٢ :٤٢ و أع٢٠ : ٧ و١كو١٠: ١٦ ، ١٧و ١كو١١) .
د- ويشير كتاب الديداكية [1] فى فصول عديدة إلى الإفخارستيا كذبيحة واضحة فى الكنيسة . [2]
هـ- الكنيسة المقدسة علمت منذ نشأتها هذه الحقيقة وهى أن سر جسد يسوع ودمه هو ذبيحة حقيقية وتعترف بذلك فى قداساتها بأنها تقدم لله ذبيحة مقدسة ناطقة غير دموية حيث تقول : « ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه .. نقرب لك قرابينك من الذى لك » وعندما يبسط الكاهن يديه يقول : « ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع ... يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه » وقوله أيضاً فى إحدى صلوات القسمة : « هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذى حمل خطية العالم كله » . [3]
و- ونجد هذا التعليم واضحاً أيضاً فى شهادات المجامع المسكونية فقد جاء فى قوانين المجمع المسكونى الأول هذا التصريح : « على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم ويذبح من خدام الله **ذبيحة** غير دموية» .
- وجاء أيضاً فى أعمال مجمع نيقية « لا الرب ولا الرسل ولا الآباء سموا الذبيحة غير الدموية المقدسة من الكهنة (صورة) بل هم يسمونها دائماً جسد الرب نفسه ودم الرب نفسه » . [4]
ز- قد شهد جميع الآباء الأولون بهذه الحقيقة فى تعاليمهم ، وها بعضها :
- فقد قال **القديس إغناطيوس (استشهد ١٠٧م)** : « إن جسد الرب يسوع واحد ، ودمه

(١) الديداكية : دراسات فى القوانين الكنسية ، الكتاب الأول ، الكلية الإكليريكية واللاهوتية للأقباط الأرثوذكس ، القمص صليب سوريال .
(٢) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، إسبورتنج ، ص ٢٢١ .
(٣) الخولاجى المقدس - طبعة دير المحرق .
(٤) أ . حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٤ .

المهرق عنا واحد . خبز واحد كسر ، وكأس واحدة وزعت للجميع . **ومذبح** واحد لكل الكنيسة » . (١)

ـ وقال **القديس يوستينوس الشهيد** (١٠٠ ـ ١٦٥ م) : « نقدم باسمه **ذبيحة** قد أمر الرب يسوع أن تقدم ، وذلك فى سر الخبز والكأس وهى **ذبيحة مقدمة** من المسيحيين فى كل مكان على الأرض **ذبيحة طاهرة ومرضية لله** » . (٢)

ـ وقال **القديس إيريناؤس** (١٤٠ ـ ٢٠٢ م) : « إن المسيح علمنا **ذبيحة** جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها فى كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الاثنى عشر وهو ملاخى حيث يقول لا إرادة لى بكم ... إلخ . وينادى بأن الشعب الأول (أى اليهود) سيكف عن أن يقدم لله ذبائح وأنه فى كل مكان ستقدم ذبيحة طاهرة لاسمه الممجد فى الأمم » . (٣)

ـ وقال **القديس هيبوليتس** (١٦٠ ـ ٢٣٥ م) :« إننا من بعد صعود المخلص نقدم بحسب وصيته **ذبيحة** طاهرة غير دموية » . (٤)

ـ وقال **القديس كبريانوس** (٢٠٠ ـ ٢٥٨ م) : « إن دم المسيح لا يقدم ما لم يكن فى الكأس خمر . وتقديس **ذبيحة الرب** لا يتم قانونياً ما لم يكن **قرباننا وذبيحتنا** مطابقين لآلامه .. لأنه إذا كان إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وهو رئيس الكهنة العظيم للإله الآب قد قدم نفسه **ضحية** للآب وأمرنا أن نصنع ذلك لذكره فلا يتمم الكاهن على الحقيقية (٥) عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع المسيح نفسه . أعنى أن يقدم فى الكنيسة للإله الآب **الذبيحة الحقيقية بتمامها** متبعاً فى ذلك مثال المخلص نفسه » . (٦)

ـ وقال **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧ م) : « ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين ؟ نعم نقدم ولكننا نصنع تذكار موته ، وهذه الذبيحة التى كل يوم نقدمها هى واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة مثل الذبيحة التى كانت تقدم إلى قدس القديسين (٧) . وكما أنه هو رسم لتلك هكذا هذه **الذبيحة** رسم لها . لأننا نقدمه نفسه دائماً حملاً واحداً ، ولا نقدم الآن

---

(١) رسالة لأهل فيلادلفيا فل ٤ . أوردها أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ .

(٢) فى خطابة إلى تريفو . أوردها أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ .

(٣) ضد الهراطقة . أوردها أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ .

(٤) فى المواهب فصل ٢٦ . أوردها أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ .

(٥) أى على الوجه الأكمل .

(٦) رسالة ٤٣ ، أوردها أ . حبيب جرجس فى كتابه أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ .

(٧) يقصد قدس الأقداس .

خروفاً آخر بل الحمل نفسه دائماً . **فالذبيحة** إذن هى واحدة . أو هل المسحاء كثيرون لأن **الذبيحة** تقدم فى محلات كثيرة ؟ حاشا . لأن المسيح واحد فى كل مكان ، وهو هنا بكليته جسداً واحداً ، كما أنه يقدم فى أماكن متعددة ولايزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة ، هكذا **الذبيحة** أيضاً واحدة هى » . (١)

- وقال **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦ م) : « إننا نصلى إلى الله لكى فى محبته للإنسان يرسل الروح القدس ليحل على هذه القرابين ، ويجعل هذا الخبز جسد المسيح وهذا الخمر دم المسيح ، لأنه يقيناً كل ما يمسه الروح القدس يتقدس .. الإفخارستيا هى **الذبيحة** الروحية غير الدموية » . (٢)

ونجد مثل هذ المعانى فى مئات ، بل آلاف من أقوال الآباء شرقاً وغرباً لأن الإفخارستيا هى حياة الكنيسة .

- ويقول **نيافة الأنبا بيشوى** سكرتير المجمع المقدس تحت عنوان ذبيحة العهد الجديد :

[● عندما نتحدث عن العهد الجديد نجد أن الذبائح فى العهد القديم كانت مجرد رمز لذبيحة العهد الجديد فبدلاً من دم الحيوانات التى كانت تقدم فى العهد القديم مثلما قيل : «فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران » (خر ٢٤ : ٥) ، أصبح العهد الجديد هو بدم المسيح . وكلنا كمسيحيين نؤمن أن دم المسيح هو العهد الجديد الذى بين الله وشعبه المفديين المخلصين الذين آمنوا بصلب السيد المسيح وقيامته ...

● لقد سلم السيد المسيح بنفسه دم العهد الجديد لتلاميذه فى ليلة آلامه . نفس الدم الذى سُفك على الصليب ، هو نفسه الذى سلمه السيد المسيح لتلاميذه يوم خميس العهد ، لذلك يسمى (خميس العهد) لأن هذا هو العهد الذى بين الله وشعبه .

● لذلك يقول **معلمنا بولس الرسول** : « لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها (للآلام والصلب) أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى . فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ » (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٦) . من الملاحظ فى هذا النص أن السيد المسيح لم يتكلم عن الدم فقط ، لكنه ربط الدم

---

(١) أ. حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) كيرلس الأورشليمى : فى الأسرار ٥ : ٧ . - N.P.N.F., Ser. II, Vol. 7, P. 154

بالكأس ، وهذا نفس ما ورد فى إنجيل معلمنا لوقا « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يُسفك عنكم » (لو ٢٢ : ٢٠) . لم يقل هذا الدم هو العهد الجديد ، لكن قال : « هذه الكأس » ... بالطبع لا يقصد الكأس الفارغة ، بل الكأس التى بها دمه .

● ولئلا يظن أحد - كما يدعى البروتستانت - أن العهد الجديد هو دم المسيح الذى سُفك محدوداً بيوم الصليب فقط ، ولا داعى للدم الذى يقول عنه الأرثوذكس فى القداس ، نقول رداً على هذا : لم يقل السيد المسيح : « هذا الدم هو العهد الجديد » بل قال : « هذه الكأس هى العهد الجديد » وبذلك ربط العهد الجديد بكأس التقديس ... لكن ليس الكأس الفارغة وحدها بل « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » فالأساس هو دم السيد المسيح الذى فى الكأس والذى هو نفسه المسفوك يوم الجمعة الكبيرة على الصليب .

● فإذا كان العهد الجديد مرتبط بكأس الإفخارستيا (سر الشكر) فكيف يكون الكأس رمزاً فقط وليس تذكاراً حقيقياً ؟! ... إن أى كنيسة لا يوجد فيها دم حقيقى فى كأس الإفخارستيا ، لا يكون فيها عهد الرب الجديد بوضع حقيقى » .] (١)

- ويقول **القمص تادرس يعقوب** عن سر الإفخارستيا (٢) :

[● ذبيحة حقيقية ، كما نلمس من عباراته ، إذ قال : « جسدى المكسور عنكم ... يعطى » ، « دمى المسفوك عن كثيرين لمغفرة الخطايا » ، « العهد الجديد فى دمى ... المسفوك عنكم » .

لهذا استخدمت الكنيسة الأولى الكلمتين اليونانيتين (ذوسيا أى ذبيحة) ، و (بروسفورا أى تقدمة) ، عند الحديث عن الإفخارستيا .

● وتحدث الرسول بولس بوضوح عن الإفخارستيا كذبيحة عندما قارن مائدة الرب بمائدة الشياطين (١ كو ١٠ : ٢٠ ، ٢١) ، وعندما رجع إلى ذبائح العهد القديم فى رسالته إلى العبرانيين الأصحاح العاشر ، كإشارة إلى الكفارة والإفخارستيا ، موضحاً أنهما تحقيق لما سبق التنبؤ عنه .

هكذا علمت المجامع المسكونية ، وهكذا علم آباء الكنيسة الأولى أن الإفخارستيا ذبيحة حقيقية غير دموية .

- **والقديس إغناطيوس** يدعو اجتماع الكنيسة الإفخارستى بـ (سوزسنزيون) أى (موضع

---

(١) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى ، ص ١٣١.

(٢) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ٢٠٣ .

الذبيحة) ، من لا يحضر فيه يُحرم من الخبز . [1]

- ويقول **القديس إكليمندس الرومانى** [2] : « إن عمل الأسقف هو تقديم (بروسفيرتيا) القرابين»] .

(٣) ما علاقة ذبيحة الإفخارستيا بذبيحة الصليب ؟

الرد :

ذبيحة الإفخارستيا هى امتداد لذبيحة الصليب

● لقد قدم السيد المسيح جسده مرة واحدة على الصليب ذبيحة لله الآب ، وترك جسده يقدم كل يوم على مذابح لا تعد ولا تحصى .. إنه مثل الشجرة التى زرعت وأعطت ثمراً وتعطى كل يوم فروعاً جديدة .

- يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** فى هذا المجال : « يقولون (المعترضون) إن ذبيحة المسيح واحدة لا تتكرر : نقول حقاً إنها واحدة ولكنها مستمرة . إنها ذبيحة مستمرة معنا إلى أن يجئ الرب والدليل على هذا أن الرب قال عن هذا السر المقدس : اصنعوا هذا لذكرى . فلو كان لا يريد الاستمرار ما كان يقول : اصنعوا هذا ... إلى أن أجئ . وما كان سلمه لبولس الرسول بعد سنوات من قيامته (١ كو ١١) وهذا السر يستمر لأن الرب كاهن إلى الأبد يقدم ذبيحته على طقس ملكى صادق (مز ١١٠ : ٤٤ ، عب ٧ : ٢١) . إن عبارة أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق تعنى دلالة على استمرار كهنوته بهذا الطقس (تك ١٤ : ١٨) » . [3]

- ويقول **نيافة الأنبا بيشوى** فى هذا المجال :

[● ذبيحة الصليب هى واحدة لا تتكرر ، لكنها تمتد . لم تمتد ذبيحة الصليب بعدها فقط ، بل امتدت قبلها أيضاً ، بدليل أن السيد المسيح قدم جسده ودمه فى ليلة آلامه بنفسه قبل صلبه . فذبيحة الإفخارستيا (سر الشكر) من الممكن أن تمتد عبر الزمان لأن هذا سر فائق وسر إلهى فوق الزمان والمكان نقول عنه فى القداس الإلهى : « ووضع لنا هذا السر العظيم الذى للتقوى » « عظيم هو سر التقوى » . (١ تى ٣ : ١٦)

● ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧ م) : « ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين ؟ نعم نقدم ، ولكننا نصنع تذكار موته . وهذه الذبيحة التى نقدمها كل يوم هى واحدة لا أكثر

---

(1) Ignatius : Ep. to Eph. 5 : 2 Dix p. 113.

(2) I Clem 44 .

(٣) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

لأنه قُدّم مرة واحدة . لأننا دائماً نقدم حملاً واحداً بعينه ، ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر ، بل الحمل نفسه دائماً . فالذبيحة إذن هى واحدة .
أو هل المسحاء كثيرون ، لأن الذبيحة تقدم فى محلات كثيرة ؟ حاشا ، لأن المسيح واحد فى كل مكان وهو هنا بكليته جسد واحد . وكما أنه يقدم فى أماكن متعددة ولايزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة هكذا الذبيحة هى أيضاً واحدة » . (١)
● عندما نقدم قرباناً فى كنيسة فى القاهرة وقرباناً فى كنيسة فى الإسكندرية مثلاً ، ونعمل قداساً هنا وقداساً هناك ، فهذا ليس معناه أن هذه ذبيحة وتلك ذبيحة أخرى ، أو أن هذا حمل وذاك حمل آخر ، بل إنه حملٌ واحد ومسيحٌ واحد الذى هو « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) .
● لقد تكلم المزمور عن ذبيحة العهد القديم : « أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذورى » (مز ٦٦ : ١٣) فهو هنا يتكلم عن الذبائح والمحرقات بصيغة الجمع ، ولكن عندما تنبأ إشعياء النبى عن ذبيحة العهد الجديد فى مصر كان دقيقاً جداً فى تعبيره إذ ذكر أنها ذبيحة بصيغة المفرد : « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها . فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر ... فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ، ويقدمون ذبيحة وتقدمة ، وينذرون للرب نذراً ويوفون به » (إش ١٩ : ١٩ ـ ٢١) . إذن فهى ذبيحة واحدة فقط .] (٢)
● ويقول **الأرشيدياكون حبيب جرجس** : «غير أن بين ذبيحة سر الشكر والذبيحة التى قدمت على الصليب فروقاً بالنظر إلى ظروفهما وطريقة تقديمهما :
(١) فإن المخلص قدم لأبيه على الصليب جسده ودمه الكريمين ذبيحة منظورة . وأما فى سر الشكر فلا يقدمهما تقديماً حسياً منظوراً بل سرياً تحت شكلى الخبز والخمر .
(٢) على الصليب قدم هو بنفسه الذبيحة الاستغفارية لأنه رئيس الكهنة الأعظم . وهنا على المذبح تقدم تلك الذبيحة بواسطة كهنته .
(٣) هناك على الصليب قدمت ذبيحة بذبح الحمل وهرق دمه ، وهنا بما أنه قام من الأموات ولا يسود عليه الموت مرة ثانية تقدم الذبيحة فى سر الشكر باستحالة سرية بدون هرق دم ولا موت . ولهذا سميت هذه الذبيحة « ذبيحة غير دموية » .
(٤) بذبيحة الصليب قُدم الخلاص لكل الجنس البشرى وتم وفاء العدل الإلهى ، وأما ذبيحة

(١) من عظات للقديس يوحنا ذهبى الفم على العبرانيين ، مقالة ١٧ .
(٢) الدكتور سامح حلمى (حالياً القس بيشوى حلمى) : مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

سر الشكر فإنها للصفح عن خطايا الذين يتناولون منها ...
نستنتج مما تقدم أن الذبيحتين هما ذبيحة واحدة ، الأولى أصل والثانية شجرة نابتة من ذلك الأصل ، غطت أغصانها كل كنيسة المسيح وتغذى جميع الذين يطلبون الحياة الأبدية بالتناول منها . [1]

(٤) ما معنى : اصنعوا هذا لذكرى ؟

الـرد :

الذكرى هنا عينية أى من عين الشيء أى هى نفس الشيء ، والذكرى هنا أيضاً هى حية وفعالة.

- يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** فى هذا المجال : « السيد المسيح يقول : اصنعوا هذا لذكرى. فكيف يكون تذكار الذبيحة هو الذبيحة نفسها ؟

نقول لا مانع مطلقاً فى أن يكون الشيء تذكاراً لنفسه . ومثال ذلك المن الذى كان يرمز إلى المسيح المن الحقيقى . كان بنو إسرائيل يضعون فى تابوت العهد قسط المن يحتفظون فيه ببعض المن تذكاراً للمن الذى أكلوه أربعين سنة فى البرية . وذلك حسب أمر إلهى أعلنه موسى النبى لرئيس الكهنة هرون (خر ١٦ : ٣٣ - ٣٥) وهكذا كان المن فى القسط تذكاراً للمن الذى أكلوه » . [2]

- ويقول **نيافة الأنبا بيشوى** فى هذا الأمر : [المقصود أنه تذكار حى قائم وليس تذكاراً رمزياً. فى كل صلاة قداس ، يكون دم المسيح حاضراً فى الكأس ، لذلك قال : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » . نعيش العهد الجديد ، ليس كتذكار ضاع وانتهى ، ولكن كتذكار حى قائم ممتد . لذلك قال : « اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى » . (١ كو ١١ : ٢٥)

● وقد شرح **القديس بولس الرسول** هذا الأمر بأكثر وضوح وقال : « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ » (١ كو ١١ : ٢٦) . لذلك نقول إنه تذكار حى وليس مجرد تذكار رمزى ... فنحن نُخبر بموت الرب لأن ذبيحة الصليب بجسد الرب ودمه تكون حاضرة بالفعل فى وسطنا . فإذا كان دم المسيح الذى سُفك على الصليب هو نفسه الذى يكون حاضراً فى القداس ، فليس هناك تذكار أقوى من ذلك ... ونُخبر بموت الرب عندما نشرب من هذه الكأس لأننا نؤمن أن ما بداخل الكأس هو دم حقيقى تحت أعراض الخمر . ولا يمكننا أن نُخبر بما لم نراه ونختبره . فالذين أخبروا بالقيامة

---

(١) أ. حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة ، ص ٨٦ .

(٢) قداسة البابا شنوده الثالث : الكهنوت ، ص ١٠١ ، ١٠٢.

هم شهود القيامة ، والذين يخبرون بموت الرب هم شهود موته . لذلك فنحن نُخبر بموت الرب وقيامته وأيضاً بمجيئه الثانى لأننا نختبر هذه الأمور اختباراً حقيقياً فى سر التناول المقدس .

● ويقول **القديس بولس الرسول** : « أقول كما للحكماء ، احكموا أنتم فى ما أقول : كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ ، ١٦) . فما الذى سوف نباركه ؟ إن كان هذا رمزاً ؟

● لقد بارك **السيد المسيح** على الكأس فى ليلة آلامه وقال : « اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٧ ، ٢٨) . فإذا كان السيد الرب نفسه يقول هذا هو دمى ، فمن يستطيع أن يقول إن هذا هو رمز فقط ؟ ألا نؤمن بصدق كلمات السيد المسيح ؟ وكيف للرمز أن يغفر الخطايا ؟ فنحن نتناول من جسد الرب ودمه لمغفرة الخطايا كما قال السيد المسيح : «هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . (مت ٢٦ : ٢٨)

● يقول **القديس بولس الرسول** : « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ » (١ كو ١١ : ٢٦) ، نفهم من هذه الآية أن فاعلية موت المسيح المحيى الذى قتل الموت بموته تسرى فى كياننا وفى داخلنا عندما نتناول من هذا الدم . لذلك يكمل القديس بولس كلامه ويقول : « إذاً أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه » . (١ كو ١١ : ٢٧) . فكيف يكون مجرماً إن كان هذا دماً ليس حقيقياً أو جسداً ليس حقيقياً !! ... ويقول أيضاً : « ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب » . (١ كو ١١ : ٢٨ ، ٢٩) أى أنه غير مميز إن كان جسد الرب الذى بالصينية هو جسد حقيقى أم أن هذا مجرد شىء رمزى أو تذكارى » .] (١)

ـ ويقول **القمص تادرس يعقوب** : « كلمة (أنامنسيس) فى اليونانية لا تعنى مجرد التذكر أو الذكرى لأمر نتطلع إليه غائباً عنا ، بل تحمل إعادة دعوته أو تمثيله فى معنى فعال .
الأنامنسيس هنا يعنى تذكر المسيح المصلوب القائم من الأموات ، أو تذكر ذبيحته لا كحدث ماضٍ بل تقديم ذبيحة حقة حاضرة وعاملة أى ذكرى فعالة . هذا ما أوضحه لنا آباء الكنيسة ». (٢)

---

(١) نيافة الأنبا بيشوى : سر التناول المقدس : ص ١٥ ـ ١٩ .

(٢) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ٢٦ .

(٥) لماذا الخبز والخمر كمادة لذبيحة الإفخارستيا ؟

الـرد :

لقد سلم السيد المسيح جسده ودمه الأقدسين لتلاميذه تحت شكلى الخبز وعصير الكرمة .

✣ الخبز:

● لقد أمرت الكنيسة أن يكون الخبز :

١ ـ مصنوعاً خصيصاً لهذا الغرض ، وذلك احتراماً وتقديراً لمكانة السر .

٢ ـ مصنوعاً من دقيق القمح النقى ، وذلك لعظمة السر .

٣ ـ مصنوعاً بغير ملح ، وذلك لأن الملح يوضع فى الطعام لحفظه من الفساد ولجعله مقبول المذاق ، والخبز الذى سيتحول إلى جسد المسيح ليس فى حاجة لهذا أو لذاك لأن جسد المسيح لم ير فساداً ، وكذلك لأن المسيح حلقه حلاوة وكله مشتهيات .

٤ ـ مصنوعاً خبزاً مختمراً وليس فطيراً ، وذلك للأسباب الآتية :

أ ـ لأن السيد المسيح لما صنع هذا السر صنعه من الخبز المختمر ، إذ جاء فى (مت ٢٦ : ٢٦) ، (مر ١٤ : ٢٢) ، (لو ٢٢ : ١٩) أن الرب يسوع أخذ خبزاً وبارك ، ولم يقل أحد من البشيرين أن السيد المسيح أخذ فطيراً .

ب ـ وجاء أيضاً عن الآباء الرسل فى (أع ٢ : ٤٢ ، ٤٦) ، (أع ٢٠ : ٧) أنهم استعملوا خبزاً مختمراً وليس فطيراً .

جـ ـ وقال القديس بولس الرسول إنه تسلم أن الرب فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر . (١ كو ١١ : ٢٣)

د ـ والكلمة التى وردت فى هذه الشواهد جميعها هى كلمة (أرطوس αρτοσ) اليونانية ، والتى تعنى الخبز المرتفع ، وهى تطلق على الخبز المختمر ، وليس على الفطير الخالى من الخميرة .

هـ ـ جميع الكنائس الرسولية حتى الكنيسة الغربية نفسها سارت على استعمال الخبز المختمر حتى القرن الحادى عشر ، الذى فيه سمحت الكنيسة الغربية بجواز استعمال الفطير إلى جانب الخبز المختمر فى تقدمة الحمل .

و ـ آباء الكنيسة الأولون أيدوا هذا وأثبتوه كثيراً جداً فى كتاباتهم .

ز ـ والواقع أن السيد المسيح حمل خطايانا فى جسده على الصليب ، وقدم ذاته ذبيحة خطية وذبيحة إثم لله الآب ، لذلك فإنه من المعقول جداً ، بل ومن المناسب أيضاً ، أن يكون قربان

القداس به خميرة إشارة إلى الخطية التى حملها السيد المسيح فى جسده .
ـ ولم تكتف الكنيسة بوضع الخمير فى القربان بل تلزم أن يدخل الخبز إلى النار ، حتى تموت هذه الخميرة كما ماتت الخطية فى جسد المسيح القائم من الأموات ، فالخميرة موجودة فى قربان القداس لكنها ميتة بفعل النار ، وكما أبطلت النار فعل الخميرة كذلك أبطل السيد المسيح الخطية بذبيحة نفسه : « الله الذى أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » . (رو ٨ : ٣)

✥ الخمر :

● طريقة عمل الخمر هى أنهم ينقعون زبيب العنب مدة يسيرة حتى يبدأ فى الاختمار ، ثم يعصرونه دون استخدام النيران أو إضافة أى مادة غريبة . وهذه الطريقة تُعرف بالتخمير ، وهى تختلف عن التقطير .

● **ولقد أمرت الكنيسة أن يكون الخمر :**

١ ـ نقياً ـ كالخبز أيضاً ـ كما يليق بعظمة السر .
٢ ـ ألا تدخل عليه أية مادة أخرى ماعدا الماء (مجمع قرطاجنة ق ٤٦) [١].
٣ ـ ألا تزيد كمية الماء عن الثلث ، حتى لا يفقد الخمر شكله أو لونه .
٤ ـ وأن يكون الخمر من عصير الكرمة دون غيره ، للأسباب الآتية :

أ ـ لأن الرب يسوع وقت تأسيس السر صنعه هكذا ، وجاء لفظ (نتاج الكرمة) فى (مت ٢٦ : ٢٩) ، (مر ١٤ : ٢٥) .

ب ـ ولأنه جاء فى قوانين الآباء الرسل : « ألا يبدل عصير الكرمة بشىء من الأنبذة المسكرة المطبوخة بالنار » . [٢] (رسطا ٣ من ٨٢)

جـ ـ ولأن أقوال الآباء الأولين تؤيد هذا : فمثلاً يقول ذهبى الفم : « وقد قال المسيح من عصير الكرمة ، أما الكرمة فلا تعصر ماءً بل خمراً » . [٣]

د ـ الواقع أن عصير العنب هو مادة مناسبة جداً للتحول إلى دم السيد المسيح ، فقد شبه رب المجد ذاته بالكرمة والمؤمنين بالأغصان . (يو ١٥ : ٥)

هـ ـ وعصير العنب يشابه السيد المسيح فى احتماله لأنه لابد للعنب من أن يمر فى أدوار كثيرة حتى يصير خمراً فهو يجفف وينقع ويجوز فى المعصرة وينقى ... يذكرنا هذا بالمسيح الذى

---

(١) القمص يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة ، جـ ١ ، ب ١ ف ١٣ .
(٢) العلامة ابن العسال : المجموع الصفوى ، الكتاب الأول ، الباب ١٣ ، ص ١٤٦ .
(٣) يوحنا ذهبى الفم : على متى ٢٦ : ٢٩ ـ اللآلئ النفيسة ـ القمص يوحنا سلامة ، جـ ١ ، ب ٤ ، ف ١٣ .

قال : « قد دستُ المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد » (إش ٦٣ : ٣) ... لقد عُصر دمه على الصليب كما تعصر حبات العنب .

✠ نبوات العهد القديم عن استخدام الخمر فى ذبيحة العهد الجديد :

ـ يقول يعقوب عن شيلون (رئيس السلام) أى السيد المسيح : « رابطاً بالكرمة (شجرة العنب) جحشه وبالجفنة (شجرة العنب) ابن أتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه » . (تك ٤٩ : ١١)

ـ يقول **السيد المسيح** على لسان الحكيم : « هلموا كلوا من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها » . (أم ٩ : ٥)

ـ وجاء بسفر الأمثال عن السيد المسيح : « الحكمة بنت بيتها (الكنيسة) نحتت أعمدتها السبعة . ذبحت ذبحها . مزجت خمرها . أيضاً رتبت مائدتها » . (أم ٩ : ١ ، ٢)

ـ وقال إشعياء : « من ذا الآت من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته ... ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة » . (إش ٦٣ : ١ ، ٢)

✠ طقس مزج الخمر بالماء :

● طقس مزج الخمر بالماء يشير إلى الدم والماء اللذين خرجا من جنب السيد المسيح المطعون . (يو ١٩ : ٣٤) ... والكنيسة منذ العصر الرسولى تتمم سر الإفخارستيا بمزج الخمر بالماء ... **وإليك بعض الأدلة :**

ـ قال **القديس إيريناؤس** (١٤٠ ـ ٢٠٢ م) : « عندما ننال الكأس الممزوجة والخمر المقدم تصير الإفخارستيا جسداً » . (١)

ـ وقال **القديس كبريانوس** (٢٠٠ ـ ٢٥٨ م) : « حالما تمتزج الخمر التى فى الكأس بالماء حينئذ يتحد الشعب بالمسيح ... من التقليد أن يمزج الخمر بالماء فى القداس » . (٢)

ـ وجاء فى **قوانين القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ ـ ٣٧٩ م) : « والذى يعمر الكأس لا يجعله خمراً صرفاً ولا يمزجه بماء كثير زائد عن الثلث » . (قانون ٩٩) (٣)

ـ وجاء فى **مجمع قرطاجنة** (٤١٩ م) : « لا يقدم فى القداسات أكثر من جسد الرب ودمه كما سلم الرب نفسه أعنى الخبز والخمر الممزوجة بالماء » . (قانون ٣٧) (٤)

---

(١) إيريناؤس : ضد الهرطقات ٥ : ٢ : ٣ . - Ante Nicene Fathers, Vol. 1, P. 528

(٢) كبريانوس : رسالة ٦٢ . - Ante-Nicene Fathers, Vol. 5, P. 359

(٣) القديس باسيليوس : حياته ، نسكياته ، قوانينه الكنسية ـ دير السريان ـ ص ٤١٣ .

(٤) مجمع قرطاجنة ـ مجموعة الشرع الكنسى ـ ص ٦٨٢ .

وقد اختار الرب الخبز والخمر كمادتين للسر والتحول [1] :

١ ـ تحقيقاً لنبوات العهد القديم السابق ذكرها .

٢ ـ الخبز والخمر يتحولان طبيعياً فى الإنسان إلى جسد ودم ، وهكذا بالروح القدس يتحولان فى التقديس إلى جسد الرب ودمه .

٣ ـ تقول **الديداكية** [2] إن السيد المسيح الذى هو رأس جسد « الكنيسة » يضمنا فى جسده كما تضم « الخبزة » حبات كثيرة من القمح ، ويضم الخمر الكثير من حبات العنب .

ـ ويقول **القديس كبريانوس** (٢٠٠ ـ ٢٥٨ م) : « عندما دعى الرب الخبز ـ الذى هو حصيلة اتحاد كثير من حبات الحنطة ـ جسده أشار إلى شعبنا الذى حمله ، إذ صاروا فى وحدة . وعندما دعى الخمر ـ الذى هو حصيلة عصير كثير من الحبات والعناقيد ـ دمه ، عنى بهذا قطيعه الذى يرتبط معاً بامتزاج الجموع فى وحدة معاً » . [3]

٤ ـ الخبز والخمر يمثلاننا كتقدمة للرب ، فكما أن الخبز عند تقديمه يمر بمراحل كثيرة ، والخمر لا يقدم إلا بعد عصر العنب ، هكذا نحن لكى نقدم للرب تقدمة ، يليق بنا أن ندخل مع الرب نيران آلامه كالخبز ونجتاز معه معصرة صليبه كالعنب .

٥ ـ عندما تحدث ربنا عن موته شبه جسده بحبة القمح قائلاً : « إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها » . (يو ١٢ : ٢٤)

٦ ـ كما أن الخبز هو عماد الحياة الزمنية ، فإن الإفخارستيا هى عماد الحياة الروحية .

(٦) هل السجود أمام الخبز والخمر الموضوعين على المذبح هو عبادة وثنية ؟

● بما أن الخبز والخمر فى هذا السر الأقدس يصيران بعد التحول جسد المسيح ودمه الحقيقين ، إذن فيجب أن تقدم لهما بعد التحول العبادة والسجود .

ـ قال **القديس يوحنا ذهبى الفم** : « هذا الجسد لما كان بعد فى هذا المذود خجل منه المجوس . ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقاً طويلة ، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له . فلنقتدى إذن بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السموات . لأن أولئك مع أنهم رأوه فى مذود وضمن كوخ ، ولم يروا شيئاً مما تراه أنت الآن تقدموا برعب كثير . وأما أنت فلست تراه فى مذود بل على مذبح ، ولست ترى امرأة حاملة إياه بل كاهناً واقفاً وروحاً

---

(١) القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الإفخارستيا ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(2) Did 9 : 2 - 4 .

(3) Ep. 75 (Exford 69) .

طائرة على الموضوعات ونازلاً عليها بغزارة لأنك لست تنظر الجسد وحده فقط على بسيط الحال مثل أولئك ، لكنك تعلم أيضاً قدرته وكل التدبير ، وليس خافياً عليك شيء مما تمم به لأنك متعلم جميع الأسرار بتدقيق » . (١)

- وقال **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤ - ٤٣٠ م) : « ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم يقدم له عبادة إلهية » . (٢)

● ومن الجدير بالذكر أنه حينما يقول الأب الكاهن : «الجسد المقدس» ، ويرد الشعب : «نسجد لجسدك المقدس» ، ويستكمل الكاهن : «والدم الكريم» ، ويرد الشعب : «ولدمك الكريم فإن هذا يكون بعد حلول الروح القدس وتحول الخبز إلى جسد المسيح بالحقيقة وعصير الكرمة إلى دم المسيح بالحقيقة .

فهنا السجود ليس للخبز والخمر العاديين ، بل هنا السجود لجسد المسيح ودمه الحقيقيين ولأن شخص المسيح واحد فما ينسب لجسده ينسب لهذا الشخص الواحد ... فلسنا مثل نسطور نؤمن بشخصين شخص إلهى وشخص إنسانى ، فحينئذ يكون الاعتراض فى محله إذ كيف نسجد سجود العبادة لإنسان .

فصاحب هذا الاعتراض إما أنه لا يؤمن بالتحول وهو بهذا ينكر أسرار الكنيسة وفاعلية الروح القدس فيها ، الأمر الذى أجبنا عنه تفصيلاً من قبل ، وإما أنه يؤمن بفكر نسطور أى يؤمن بوجود شخصين منفصلين فى المسيح شخص إلهى وشخص إنسانى ، فلهذا هو يستصعب أن نسجد للناسوت فقط منفصلاً عن اللاهوت . **وللإجابة على الفكر النسطورى (وقد سبق أن تعرضنا لهذا الأمر فى الفصل الثانى من هذا الكتاب) نورد هنا العبارات المركزة الآتية :**

- السيد المسيح شخص واحد وليس شخصين .
- حينما جاء أقنوم كلمة الله المتجسد لم يضف شخصاً آخر إليه ، بل شخصن الطبيعة البشرية فى شخصه الإلهى ، أى أن الطبيعة البشرية وجدت شخصها فيه .
- السيد المسيح لم يأخذ شخصاً بشرياً ، ولكنه أخذ الطبيعة البشرية من العذراء مريم بعمل الروح القدس ، وصاغها فيه وصارت خاصة به شخصياً .
- اتحدت الطبيعة اللاهوتية بالطبيعة البشرية اتحاداً طبيعياً فى شخص السيد المسيح الواحد ، ونتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة .

---

(١) مقالة على تفسير ١ كو ٢٤ : ٥ .

(٢) على مزمور ٩٨ .

ـ وُجد جسد المسيح فى الاتحاد ، فلم ولا يوجْد جسد المسيح بدون لاهوته .

ـ ولأننا نؤمن بمسيح واحد وشخص واحد فإن كل ما ينسب إلى جسد الله الكلمة الخاص به فإنه ينسب إليه . فحينما نقول : «نسجد لجسدك المقدس» فهذا يعنى أننا نسجد لشخص ابن الله الكلمة ، لأن كل ما يقال عن جسد ابن الله الكلمة نقصد به الجسد المتحد باللاهوت .

إذن نحن لا نسجد لجسد المسيح منفصلاً عن لاهوته ، لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى داخل رحم السيدة العذراء هو اتحاد أبدى منذ اللحظة الأولى للتجسد ، وهو اتحاد مستمر بغير انفصال .

ـ يقول **القديس أثناسيوس الرسولى** : « نعترف بابن الله المولود من الآب أزلياً قبل الدهور ، وولد من العذراء بالجسد فى آخر الزمان من أجل خلاصنا . وهذا الواحد هو الإله ... وليس نقول عن هذا الابن الواحد إنه طبيعتان واحدة نسجد لها والأخرى لا نسجد لها . بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد ، ونسجد له مع جسده سجدة واحدة . ولا نقول باثنين واحد هو ابن الله بالحقيقة وله نسجد وآخر هو إنسان من مريم ولسنا نسجد له » . (١)

ـ ولأن الجسد الموضوع على المذبح هو نفسه الجسد الذى أخذه الابن الوحيد فى تجسده وليس آخر ، لهذا نحن نسجد له ، فالأب الكاهن يعلن فى الاعتراف الأخير هذا الأمر إذ يقول : «آمين آمين آمين أؤمن أؤمن أؤمن واعترف إلى النفس الأخير ، أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، من سيدتنا وملكتنا كلنا القديسة العذراء مريم ، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . واعترف الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى ، وسلمه عنا على خشبة الصليب المقدسة بإرادته وحده عنا كلنا . بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين» .

إذن الجسد الموضوع على المذبح هو بعينه جسد المسيح الذى أخذه من العذراء مريم ، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، وهو بعينه الجسد الذى سلمه على الصليب بإرادته وحده عنا كلنا ، وهو بالحقيقة الجسد المتحد باللاهوت اتحاداً أبدياً مستمراً بغير انفصال .

لهذا كله نحن نسجد للجسد الموضوع على المذبح .

---

(١) القس بيشوى حلمى : إيماننا المسيحى صادق وأكيد ، ص ١١٠ .

المصادر المراجع

المصادر والمعاجم

١ ـ نصوص الكتاب المقدس :

+ فى الأصل اليونانى ، وترجمة King James Version **الإنجليزية :**

Alfred Marshall : The Interlinear Greek English New Testament, London, Samuel Bagster and Sons limited, 3rd Edition, April, 1975 .

+ فى ترجمات عربية عديدة :

ـ الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط ،

Arabic Bible 073 ç UBS - E P F 1994 .

ـ الكتاب المقدس (الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية) دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط ،

Arabic Bible GNA 063 DC, UBS - EPF 1999 - 9M .

ـ الأسفار القانونية التى حذفها البروتستانت ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف .

٢ ـ نصوص آبائية :

- Anti-Nicene Fathers :VoL 1, V, VII, Edited by Philip Schaff, D.D., LL.D, Hendrickson Publishers. Inc. U.S.A., 1994 .

- Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, VoL IV, V, VII, VIII, IX, X, Edited by Philip Schaff, D.D., Henry Wace, Hendrickson Publishers. Inc. U.S.A., 1994 .

٣ ـ قواميس ومعاجم كتابية :

ـ **قاموس الكتاب المقدس** : الدكتور بطرس عبد الملك وآخرون .

ـ **معجم العهد الجديد اليونانى المصغر :** ولبر جنجريش . ف ، شيكاجو ـ لندن ، ١٩٥٧ و ١٩٦٥ .

٤ ـ كتب كنسية :

ـ **الخولاجى المقدس (صلوات القداس الإلهى) :** بحسب طبعة دير المحرق ، ١٩٩٣ م .

ـ **الأجبية (السبع صلوات اليومية) :** بحسب طبعة دير مار مينا العجايبى ، ١٩٩٧م .

ـ **سنكسار الكنيسة القبطية** ـ جـ ١ ، جـ ٢ ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

ـ **كتاب الإبصلمودية (التسبحة) السنوية :** بحسب طبعة جمعية نهضة الكنائس الأرثوذكسية بالقاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٩٩٠ م .

ثانياً - المراجع

أولاً - المراجع العربية :

- **العلامة ابن العسال :** المجموع الصفوى ك ١ ، الناشر أ . جرجس فيلوثاؤس عوض ، القاهرة ، ١٩٠٨ م .
- **العلامة ابن المكين :** الموسوعة اللاهوتية الشهيرة بالحاوى ، جـ ١ ، جـ ٢ ، الناشر راهب من دير المحرق ، دير المحرق ، ١٩٩٩ م .
- **القديس أثناسيوس الرسولى :** تجسد الكلمة ، ترجمة د . چوزيف موريس فلتس ، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ، القاهرة ، أغسطس ٢٠٠٢ م .
- **القديس أثناسيوس الرسولى :** تجسد الكلمة ، ترجمة القس مرقس داود ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، الطبعة الخامسة ، د . ت .
- **السيدة أ . ل . بتشر :** تاريخ الأمة القبطية ، جـ ١ ، مطبعة مصر ، ١٩٠٦ م .
- **المطران إلياس معوض :** الآباء الرسوليون ، منشورات النور ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- **الشماس الدكتور إميل ماهر (القس شنوده ماهر حالياً) :** سلسلة الخلاص الذى ننتظره الكتاب الثانى : حالة أرواح الراقدين ، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية ، القاهرة ، مارس ١٩٩٦ م .
- **الشماس الدكتور إميل ماهر (القس شنوده ماهر حالياً) :** بحث فى التقليد المقدس ، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، مايو ١٩٩٦ م .
- **العلامة الأنبا إيسيذوروس :** مرآة الحقائق الجلية فى حياة الكنيسة القبطية ، دير البرموس العامر ، د . ت .
- **نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى :** تأملات فى حياة وخدمة السيد المسيح من ميلاده إلى صعوده وإرساله الروح القدس ، مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى ، أبريل ١٩٩٦ م .
- **نيافة الأنبا بيشوى :** لماذا الصليب بالذات ؟ دار الناسخ الحديث ، ١٩٩٧ م .
- **نيافة الأنبا بيشوى** خدمة الكهنوت ، دار الناسخ الحديث ، ١٩٩٨ م .
- **نيافة الأنبا بيشوى :** مذكرة (لاهوت عقائدى ، لاهوت مقارن ، حوارات مسكونية ، أقوال آباء) ، معهد الدراسات القبطية بالقاهرة ، الطبعة الرابعة عشر ، ٢٠٠١ م .
- **نيافة الأنبا بيشوى :** مذكرة (المجامع المسكونية والحوارات المسكونية) معهد الدراسات القبطية بالقاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- **نيافة الأنبا بيشوى :** سر التناول المقدس ، بيرما جرافيك للطباعة ، ٢٠٠٤ م.
- **القس بيشوى حلمى (د . سامح حلمى) :** مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى ، القاهرة ، طبعة أولى ، ٢٠٠٤ م .

- **القس بيشوى حلمى (د . سامح حلمى) :** كنيستى الأرثوذكسية .. ما أجملك !! ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، أكتوبر ٢٠٠٦ م .
- **القس بيشوى حلمى (د . سامح حلمى) :** إيماننا المسيحى صادق وأكيد ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، أكتوبر ٢٠٠٧ م .
- **القس بيشوى حلمى (د . سامح حلمى) :** عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، نوفمبر ٢٠٠٧ م .
- **القمص تادرس يعقوب :** المسيح فى سر الإفخارستيا ، مار جرجس إسبورتنج ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٥ م .
- **القمص تادرس يعقوب :** الكنيسة بيت الله ، مار جرجس إسبورتنج ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٥ م .
- **أ . جرجس حلمى عازر :** شخصيات قبطية صنعت التاريخ ، ص ٢٣ .
- **الأستاذ حبيب جرجس :** أسرار الكنيسة ، مكتبة المحبة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ م .
- **الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب :** مجموع الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة ، منشورات النور ، ١٩٨٥ م .
- **الأنبا ساويروس بن المقفع :** تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ص ٧٧ .
- **قداسة البابا شنوده الثالث :** الكهنوت ، الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- **قداسة البابا شنوده الثالث :** روحانية الصوم ، الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، أكتوبر ١٩٨٧ م .
- **قداسة البابا شنوده الثالث :** اللاهوت المقارن ، جـ ١ ، الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٩١ م .
- **قداسة البابا شنوده الثالث :** أسئلة لاهوتية وعقائدية (ب) ، الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، نوفمبر ٢٠٠١ م .
- **القمص صليب سوريال :** دراسات فى القوانين الكنسية ، الكتاب الأول ، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- **نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان :** روحانية طقوس الأسرار فى الكنيسة ، أسقفية الشباب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥ م .
- **القمص مرقس داود :** الدسقولية ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥ م .
- **القمص مرقس داود :** سيرة القديس أنطونيوس بحسب القديس أثناسيوس ، محبة المحبة .
- **مرقس سميكة باشا :** دليل المتحف القبطى والأديرة الأثرية ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٣٠ م .
- **الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس :** إغناطيوس حامل الإله ، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

- **الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس :** الفكر اللاهوتى عند القديس بولس الرسول ، جـ ١ ، مكتبة دار أنطون بشبرا ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- **الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس :** علم اللاهوت العقيدى ، جـ ١ ، مكتبة أسقفية الشباب ، القاهرة ، يوليه ٢٠٠٥ م .
- **نيافة الأنبا موسى :** سمات التعليم الأرثوذكسى ، أسقفية الشباب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ديسمبر ١٩٩٦ م .
- **القس منسى يوحنا :** كمال البرهان على حقيقة الإيمان ، ١٩٤٧ م .
- **القمص ميخائيل مينا :** موسوعة علم اللاهوت ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- **القديس يوحنا ذهبى الفم :** الكهنوت المسيحى ، ترجمة كنيسة العذراء بالفجالة ، القاهرة ، أغسطس ١٩٨٤ م .
- **نيافة المتنيح الأنبا يوأنس :** المسيحية والصليب ـ مطرانية الغربية ، ١٩٨٥ م .
- **نيافة المتنيح الأنبا يوأنس :** العبادة فى كنيستنا دلالتها وروحانيتها ، مطرانية الغربية ، الطبعة الثانية ، سبتمبر ١٩٩٠ م .
- **نيافة المتنيح الأنبا يوأنس :** المجامع المسكونية ، الأنبا رويس بالعباسية ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- **القمص يوحنا سلامة :** اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، جـ ١ ، طبعة أولى ، مطبعة عين شمس بالدرب الواسع بالقاهرة ، د . ت .
- **يوسابيوس القيصرى :** تاريخ الكنيسة ، تعريب القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة بالقاهرة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، مارس ١٩٩٨ م .

ثانياً ـ أديرة ومعاهد ومراكز :

- **دير السريان :** القديس باسيليوس الكبير ، مطبعة دير السريان بوادى النطرون ، ١٩٦٠ م .
- **سكرتارية المجمع المقدس :** دليل بيانات الآباء الكهنة بالكرازة المرقسية ، يونيو ٢٠٠٦ م .
- **معهد الدراسات القبطية ومعهد الرعاية والتربية :** قداسة البابا شنوده الثالث وحصاد السنين (٢) ، القاهرة ، يولية ٢٠٠٨ م .
- **اللجنة المجمعية للإيمان والتعليم والتشريع :** مؤتمر العقيدة (١١) ، سبتمبر ٢٠٠٨ م.
- **اللجنة المجمعية للإيمان والتعليم والتشريع :** مؤتمر العقيدة (١٢) ، سبتمبر ٢٠٠٩ م.

ثالثاً ـ مجلات كنسية :

- **معهد الدراسات القبطية :** المجلد السابع ، ٢٠٠٨ م .

رابعاً ـ المواقع الإلكترونية :

www.stmeryztn.org

الفهـــرست

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

إصدارات المؤلف

١ـ إيماننا المسيحى صادق وأكيد :

يشرح الخمس عقائد الكبرى فى المسيحية ، وهى : استحالة تحريف الكتاب المقدس ، التثليث والتوحيد ، التجسد الإلهى ، الفداء ، ألوهية السيد المسيح .

٢ـ إيماننا المسيحى صادق وأكيد : عرض مختصر :

فى حجم مختصر يناسب الشباب .

٣ـ كيف أحيا طاهراً ؟

وهو الكتاب الفائز بالمركز الأول فى مسابقة الألفية الثالثة لأبحاث الخدام على مستوى الكرازة المرقسية . ويقدم منهج روحى حياتى فى الطريق لحياة الطهارة .

٤ـ كنيستى الأرثوذكسية ... ما أجملك !! :

يشرح طقوس الكنيسة الأرثوذكسية وهى : الكنيسة مفهومها ، مبناها ، أسرارها ، قداساتها ، صلواتها ، ألحانها وتسابيحها ، أصوامها ، وأعيادها .

٥ـ مائة سؤال وجواب فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية لنيافة الأنبا بيشوى :

وهو يجيب على ما ئة سؤال هام فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية وذلك من خلال كتابات ومحاضرات نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ .

٦ـ مدخل إلى العقيدة الأرثوذكسية ، إصدار أسقفية الشباب ، الكورسات المتخصصة :

وهو عرض مختصر لسبع من موضوعات العقيدة الهامة .

٧ـ كتاب التربية الدينية المسيحية :

للصف الثالث الإعدادى المهنى ـ إصدار وزارة التربية والتعليم بمصر .

٨ـ ماذا قال السيد المسيح عن شخصه ؟ :

وهو يرد على هؤلاء الذين ينكرون أن يكون السيد المسيح قد قال عن نفسه إنه

الله ، وهو ملخص لرسالة الماچستير فى اللاهوت التى حصل عليها المؤلف من معهد الدراسات القبطية فى أبريل ٢٠٠٦ م .

٩ـ عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية :

وهو عرض لمجمل عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية فى تركيز معقول ، مدعماً بالفكر الكتابى والآبائى لكل عقيدة .

١٠ـ كنيستى الأرثوذكسية ما أجملك (٢) :

وهو الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ ، ويشمل شرح خمسة موضوعات هامة فى الكنيسة الأرثوذكسية وهى : خشبة الصليب ، العذراء والقديسون ، الأيقونات ، سر الكهنوت ، سر التناول ، ويتناول هذه الموضوعات عقائدياً وطقسياً ، ويقوم كذلك بالرد على الأسئلة المثارة على الساحة حول هذه المواضيع . كتابياً وآبائياً .

تطلب الكتب :

من مكتبة كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا
وجميع المكتبات المسيحية

الثمن ١٠ جنيهات

عـزيزى القـارئ : هذا الكتـاب يعرض لخمس من عقـائدنا الأرثوذكسية الهامة ، وهى : إكرام الصليب ، إكرام العـذراء والقديسين ، إكرام الأيقونات ، سر الكهنوت ، سر التنـاول . كما يشرح الطقوس المتعلقة بها . ويجيب أيضـاً على أربعيـن سؤالاً هاماً تتعلق بهذه العقائد ، من بينها :

- هل السجود أمام الصليب هو لون من العبادة ؟
- هل إنشاد التسابيح والتماجيد للصليب هو لون من العبادة ؟
- هل حينما نسمى "باسم الصليب" فنحن نشرك بالله إلهاً آخر ؟
- هل الاحتفاظ برفات القديسين فى دور العبادة هـو لـون من العبادة ؟
- هل نحن نُقدم الصدقات والصلوات والأصوام للقديسين ؟
- هل نحن نُقدم التسبيح والتمجيد والتعظيم للقديسـين بمـا يعنى عبادتهم ؟
- هل ظهـورات القديسين هى عمـل شيطانى ، وهل لم يـذكـر الكتاب المقدس أية ظهورات لملائكة أو قديسين ؟
- هل آباء الكنيسة قديماً حاربوا استخدام الصور والأيقونات ؟
- هل السجود أمام الأيقونات هو لون من العبادة الوثنية ؟
- كيف يستجيب الله من الأيقونات ؟
- لماذا الرئاسات فى الكنيسة ؟
- لماذا تخاطب الكنيسة الآباء الكهنة بكلمة "أبونا " ؟
- لماذا تخـاطب الكنيسـة الأب البطـريرك والأسـاقفة بـ "سيدنا" ؟
- هل سر الشكر هو ذبيحة حقيقية ؟
- ما معنى "اصنعوا هذا لذكرى" ؟
- هل السجود أمـام الخبز والخمـر الموضوعـين على المذبـح هو عبادة وثنية ؟

